جامعة أم درمان الأسلامية

كلية الآداب

الدراسات العليا

قسم التاريخ والحضارة الأسلامية

مَظّاهِر الحضارة فِي سِجلْماسّة فِي عَهْد (إمّامة بنّي واَسُول الصُفَرِيّة)

﴿١٤٠-٣٦٦هـ﴾ - ﴿٧٥٧ - ٩٧٨م﴾

رسالة أعدها الباحث:

أبو هريرة عبدا لله محمود يعقوب

لنيل درجة الماجستير فى التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية

إشراف :

الدكتور /التوم الطالب محمد يوسف

١٤١٤هـ/١٩٩٤م

شُكر وعِرفان :-

الحمد لله الذى وهبنى الصحة، ونعمة الصبر لأنجز هذه الدراسة العلمية.

ثم الشكر والتقدير والعرفان للسيد الدكتور / التوم الطالب محمد يوسف الذى أشرف على الدراسة منذ أن كانت فكرة مختمرة، وتابعها بالاشراف الدقيق والمتابعة الصبورة، حتى ظهرت فى صورتها النهائية هذه.

وبكثير من التقدير والعرفان ازجى شكرى لوالدى الشيخ / عبدالله محمود يعقوب ولوالدتى حازه محمد أحمد اللذين كان لدعواتهما وتشجيعهما لى خير عون وزاد لمواصلة الدراسة.

كما أخص بالشكر أهلى بالخرطوم (برى أبو حشيش) الذين غمرونى بالود والترحاب.

وآيات شكرى اجزيها لكل المؤسسات التعليمية داخل وخارج السودان والتى أمدتنى بالمعلومات المطلوبة فى نطاق الدراسة.

وفى الختام الشكر لكل من أعاننى ولو بإبداء نصح ساهم فى إثراء المادة المكتوبة.

الباحث/

أبوهريرة عبدا لله محمود

المحتويات

الفصل الرابع:

الحياة الفكرية

١٣٩-١٥٥

الملاحـــــق:

١٦٣-١٨٣

المُقَدِّمَة

المقدمة :-

مشكلة البحث :

جاء إهتمام الباحثين بدراسة التاريخ الاسلامى منذ نشأته متتبعين مراحل نموه ونضجه مرورا بعوامل ركوده وانحطاطه ، واخيرا انبعاثه من جديد خلال القرن الرابع الهجرى . فاستطاعوا كشف كثير من الحقائق التى اكتنفها الغموض بسبب الاهمال أو بسبب تعمد اخفاء الحقائق ، خاصة من قبل الباحثين المستشرقين . فدحضوا كثيرا من الافتراءات الباطلة والتهم المزيفة والاحكام المسبقة التى كانت تسعى للحط من شأن الامة الاسلامية ودورها الحضارى الرائد وتقلل من شأنهم كأمة صاحبة تاريخ وحضارة .

تلاحظ أن معظم الدراسات فى التاريخ الاسلامى قد اهتمت بالنواحى السياسية واولتها اهتمامها الاكبر ولم تهتم كثيرا بالحضارة الاسلامية مما دفع الباحث لولوج هذا الباب رغم الصعاب التى تكتنف مثل هذه الدراسات .

الباحث سيتناول التاريخ الحضارى لمنطقة سجلماسة لان دراسات الباحثين لم تتناول التاريخ الحضارى لهذه المنطقة الا بقدر ضئيل ضمن اطار المغرب العربى الكبير .

الدراسة سوف تهتم بمظاهر الحضارة لمنطقة سجلماسة التى كانت معقلا للخوارج الصفرية الذين أسسوها سنة (١٤٠ هـ / ٧٥٧م). فصارت تنمو وتتطور حتى أصبحت مدينة متسعة الاطراف ، عامرة باهلها . واكسبها موقعها الجغرافى الممتاز فى طرف الصحراء بأن تكون معبرا للقوافل المغربية وغيرها والتى تجتازها الى بلاد السودان الغربى . كما استطاع أئمة سجلماسة أن يقيموا علاقات ودية مميزة مع اغلب الدول التى عاصرتهم. وبفضل استقرارها السياسى ، نجح أئمة سجلماسة فى بناء اقتصاد قوى للمنطقة ساعد كثيرا فى تقدم وازدهار المنطقة .

أهمية البحث :

لقد تم اختيار الباحث لهذا الموضوع بغرض المساهمة فى ابراز مظاهر الحضارة فى منطقة سجلماسة فى عهد إمامة بنى واسول الصفرية فى الفترة (١٤٠هـ - ٣٦٦هـ / ٧٥٧م - ٩٧٨م) .

والباحث فى اختياره لهذه الفرقة لدراسة تاريخها الحضارى لا يقصد الدعاية او الميل العاطفى تجاهها ولا التنقيص من غيرها من الفرق .

فالدارسة سوف تعنى بالمظاهر الحضارية لفرقة الخوارج الصفرية والتى تعد من جملة فرق المسلمين الكثيرة المنتشرة فى ارجاء العالم الاسلامى . فكان للخوارج الصفرية اثر واضح فى تاريخ المغرب خلال الفترة التى تم فيها مراحل التكوين الاسلامى واعتناق البربر الدين الاسلامى حتى اصبحوا قوة فاعلة فى توجيه الاحداث الكبرى فى العالم الاسلامى ، فاصبح للفكر السياسى فى بلاد المغرب خصائصه المميزه وثماره الواضحة حيث توجه الى بلاد المغرب العلماء من شتى ارجاء العالم الاسلامى للافادة والاستفادة .

وفى الحقيقة فقد ساهم الخوارج (الإباضية والصفرية) معا فى ظهور واثراء الفكر السياسى والثقافى فى بلاد المغرب حيث نجحت هاتان الفرقتان فى اقامة دولتين احدهما فى بلاد الجزائر (إمامة إباضية) واخرى فى سجلماسة (إمامة صفرية).

وقد وجدت هاتان الفرقتان فى ارض المغرب مناخا ملائما لنشر افكارهم ، مستقلين بعدهما عن مركز الخلافة والظروف المحيطة بالمغرب والمتمثلة فى ظلم وفساد ولاة الخلافة الذين ارهقوا كاهل المواطنين بالضرائب ، إضافة لعدم تطبيقهم للعدل والمساواة التى اقرها الدين الاسلامى . وقد استغل بعض المؤرخين المستشرقين تلك الظروف فى الكيد للامة الاسلامية. غير أن فساد الولاة ليس ناجما عن مبادىء الاسلام وانما من الخطأ الفادح والمقصود فى تطبيق المبادىء الاسلامية .

نطاق الموضوع :

انتشر مذهب الخوارج الصفرية فى بلاد المغرب العربى فى اواخر القرن الاول وبداية

القرن الثانى الهجرى ، بعد أن تقبل البربر اراء هذه الفرقة فرفعوا علم الثورة ضد الظلم الذى لحق بهم من جراء سياسة الخلافة الاموية ومن بعدها العباسية فقد تركت تلك السياسات الجائرة اثارا قلما يمحوها الزمن . وانتهى الامر بتأسيس إمامة خارجية صفرية مستقلة عن نفوذ الخلافة فى منطقة سجلماسة جنوب المغرب الاقصى وذلك سنة : (١٤٠هـ - ٧٥٧م) وقد تمتعت المنطقة لفترة قرنين ونيف (١٤٠هـ - ٣٦٦هـ / ٧٥٧م - ٩٧٨م) بالاستقلال السياسى والازدهار الاقتصادى والاجتماعى والثقافى . وظلت محافظة على استقلالها الى ان قضى عليها نهائيا فى سنة (٣٦٦هـ/٩٧٨م).

الدراسات السابقة ومكانة الدراسة منها :

لم يعثر الباحث على دراسة وافية عن تاريخ الخوارج الصفرية بيد اننى اطلعت على دراسة بعنوان :(دولة بنى مدرار فى سجلماسة) : لمحمد حسين مراد وقد كانت الدراسة محاولة ضمن محاولات الباحثين لكشف الغموض عن تراثنا الاسلامى وابرازها الى حيز الوجود وقد ركزت الدراسة على الجانب السياسى . فتناولت ثورات الخوارج واثرها فى تشكيل الحكومات المستقلة . كما تطرقت لنظام الحكم والادارة . وفى تناولها للسياسة الخارجية ركزت على علاقة سجلماسة بالدولة الفاطمية ودورها فى اسقاط الامامة الصفرية . اما الجانب الحضارى فلم تتطرق له الدراسة الا اشارات مقتضبة.

بجانب ذلك اطلعت على عدد من البحوث والدراسات والمقالات التى تناولت تاريخ المغرب وافردت حيزا ضيقا لتاريخ سجلماسة الا ان اغلبها اهتمت بالنشاط التجارى وقليل منها اشارت لمظاهر الحياة الاجتماعية ولكن بايجاز شديد.

وعلى الرغم من هذه الجهود المقدرة من الباحثين الا ان الباحث يرى ان هذه الجهود لم تعطى سجلماسة حقها الذى كان يجب ان تأخذه .

الباحث فى معالجته لهذا الموضوع حاول الابتعاد عن الكتابة التقليدية والاسلوب العاطفى. ولا أدعى القول بأننى اوفيت هذه الدراسة حقها من جوانبها المختلفة ولكن استطيع القول بأننى كشفت جوانبا كثيرة كانت غامضة وقد اعاننى على ذلك ذهابى الى جمهورية مصر العربية

حيث تمكنت من الاطلاع على امهات الكتب العربيـة ، بالاضافـة للمخطوطـات النـادرة المحفوظة بدار الكتب المصرية بالاضافة للنصائح والارشادات التى تلقيتها من اسـاتذة التاريخ الاسلامى بجامعة القاهرة وغيرها.

فى تناولى لهذا الموضوع اعترضتنى العديد من الصعوبات و التى ترجع اهمهـا الـى عدم وجود اقلام محايدة فى تناولها لتاريخ الخوارج الفكرى فى بلاد المغرب. فمعظم الذيـن تنـاولوا تاريخ الخوارج تنقصهم المصادر الاصلية كما انعدمت المادة التاريخيـة التـى تؤرخ للخـوارج الصفريـة فلم اعثر علـى كتـاب وضعه احد ائمـة الخـوارج الصفريـة لشـرح تعـاليم المذهـب الخارجى الصفرى فاغلب الظن ان جل المصنفات المغربيـة المعـاصرة لموضـوع البحث قد ضـاعت مثل: كتـاب (مغـازى افريقيـا) : لعيسـى ابـى المهـاجر (ت اواخــر القــرن الثــانى الهجرى). وكتاب اليحصبى: (ت فى الربع الاول من القرن الثالث الهجرى) . ومـن الكتـب الهامة كتاب : محمد يوسف الوراق (ت ٣٦٣ هـ/ ٩٧٣ م) الذى ألف تاريخا ضخما فى مسالك افريقيا وممالكها وتناول فيه تاريخ تاهرت ووهران ونكور وسجلماسـة وغيرهـا. وقد اعتمد عليه البكرى وابن عزارى و ابن خلدون .

فقلة المصادر واهمية المحجوب او المفقود او المبـاد واهتمـام الكتـاب بطائفة معينـة مـن المجتمـع وتعرضهـم ومعـالجتهم لقضايــا خاصــة . زد علــى ذلـك امتــلاء بعـض المؤلفـات بالاساطير، والخرافات والبدع ، والكرامات ، التى لا تستقيم ومنطق التـاريخ . كـل ذلـك جعل الباحث امام اشكالات وخيارات صعبة.

تقييم لاهم المصادر والمراجع :

استعنت بمصادر عربية قديمة متعددة ومتنوعة المخطوطة منها والمطبوعة وسأقدم الاهـم منها :

يأتى طبقات الإباضية من أهم المخطوطـات التـى رجعت اليهـا مثـل : (مخطـوط السـيرة واخبار الائمة فى انتشار مذهب الاباضية بالمغرب) لابى زكريا يحى بن بكر الورقلانى : مـن رجالات القرن (الخامس الهجرى) / (الحادى عشر تنميلادى) بالرغم من انه ارخ اساسا للدولة الرستمية الا ان المخطوط أمدنـى بمعلومـات طيبـة عن اخبـار عبيداللـه المهدى ورحلتـه مـن المشرق حتى وصوله سجلماسة ويحدثنا بغزو الفاطميين لسجلماسة (٢٥٧هـ -٩٠٩م).

كذلك مخطوط (المجالس والمسايرات) لابن حيون المغربى : الذى تناول علاقة ائمة بنى واسول وخاصة الشاكر لله مع الفاطميين وكيف تم غزو سجلماسة من قبل الفاطميين.

المؤلف من رجالات الدولة الفاطمية . لذا مجدهم كثيرا لذلك لم يكن موفقا فى تناوله للمواضيع التاريخية بتجرد تام .

كما استعنت بمخطوط (السير الإباضية) لابى العباس احمد بن سعيد الشماخى : الذى استفتح الكلام بقدوم الخوارج الى بلاد المغرب وفصل الكلام عن مذهب الإباضية ثم تناول سير أئمة الإباضية بخاصة الذين يقطنون جبل نفوسة . وقد افادنى المخطوط فى معرفة زمن دخول الخوارج ارض المغرب. وفى معرفة اراء الخوارج الإباضية والصفرية . والعلاقات السياسية بين الدولتين.

أما مخطوط (منهج المعارك لاخبار الخوارج) : للشيخ عثمان بن عبدالعزيز الناصرى : فقد تناول اراء الخوارج جميعهم ثم بدأ فى توضيح فهم الخوارج الخاطىء – حسب زعمه – لبعض نصوص القران الكريم وتفسيرها على حسب معتقداتهم . وقد اعتمد فى الرد على القران الكريم والاحاديث النبوية الشريفة. فلا غنى لاى دارس يريد دراسة فكر الخوارج عامة من الرجوع لهذا المخطوط . افادنى المخطوط فى تناوله للثورات التى خاضها البربر ضد ولاة بنى امية والتى تمخضت عنها قيام الدول الخارجية المستقلة .

كما أفادنى مخطوط (طبقات الإباضية) : لابى العباس احمد. ومخطوط (ابانة المناهج فى نصيحة الخوارج) : لجعفر بن احمد اللذين تناولا اراء الخوارج وعلاقة الخوارج الإباضية بالصفرية .

كما استفدت من مخطوط (الجواهر المنتقاة فى اتمام ما أخل به كتاب الطبقات للدرجينى): لابى القاسم بن ابراهيم البرادى فى اماكن متفرقة من البحث.

بجانب ذلك امدنى مخطوط (تاريخ الاغالبة بتونس) : لابن وردان : بالتعريف بدولة الاغالبة وعلاقاتها الخارجية .

كما استفدت من مخطوط (مفتاح الراحة فى علم الفلاحة) لمؤلف مجهول فى النشاط الزراعى .

الى جانب المخطوطات اعتمدت كثيرا على مجموعة من المصادر العربية المطبوعة والتى شملت المصادر الجغرافية والتاريخية وكتب التراث من هذه المصادر نذكر :

كتاب : (فتوح البلدان) للبلاذرى : تناول فى الجزء الخاص بفتح بلاد المغرب سياسة الولاة الداخلية ، جاءت افادتى منه فى اعطائى صورة للاوضاع فى بلاد المغرب قبل ظهور الخوارج . هذا فضلا عن تناوله لثورات الخوارج فى بلاد المغرب.

اما (فتوح مصر والمغرب والاندلس) لابن عبدالحكم : فيعد المؤلف اقدم وادق رواية عن فتح بلاد المغرب ، ويعد ابن عبدالحكم من خيرة مؤرخى الإسلام دقة وموضوعية ، حيث كان فى وضع اجتماعى مكنه من الاطلاع على ديوان الفسطاط الذى حوى بعض الوثائق الرسمية والسجلات الخاصة عن فتح المغرب. جاءت افادتى منه فى تناوله للفتح العربى لبلاد المغرب. علاوة على سياسة الولاة الداخلية .

(تاريخ اليعقوبى) : تجواله فى شمال افريقية اكسبه فوائد كثيرة حيث دون الحقائق ميدانيا، وجاءت افادتى منه فى وصفه لطريق الذهب الذى يربط غانة بسجلماسة ومعلومات اخرى متناثرة فى ثنايا البحث.

اما كتاب :(المسالك والممالك) للاصطخرى : فقد اعتمد فى منهجه على المشاهدة والوصف حيث حوى مؤلفه وصفا دقيقا لكل جزء من اجزاء العالم الاسلامى ، وقد افاد البحث فى اماكن متفرقة .

اما كتاب (مروج الذهب) للمسعودى : الذى جمع مؤلفه الحقائق التاريخية والجغرافية فتكلم عن الفرق الدينية والخلافة . الا انه لم يوفق فى تناوله لتاريخ بلاد المغرب فقد اشار بالرجوع الى بعض مؤلفاته مثل : (اخبار الزمان) و(كتاب الإستبصار) وغيره. وقد بذل الباحث مجهودا فى العثور على هذه المؤلفات بدون جدوى.

اما كتاب : (رسالة إفتتاح الدعوة) للقاضى النعمان : يرجع أهمية المؤلف الى قربه النسبى من الدعوة الفاطمية واختصار المؤلف الحديث عن الدعوة العبيدية مكنه من التركيز على تاريخ هذه الدولة وقد اقترن بها منذ نشأتها حتى اصبح أحد قضاتها.

فجاء مؤلفه متكاملا عن الدولة الفاطمية ومعلوماته دقيقة ومركزة عنها وبما انه من انصار الدولة الفاطمية فلا ننتظر منه ان يكون محايدا . فالامانة العلمية تتطلب التدقيق والتريث عند أخذ معلوماته.

امدنى بمعلومات طيبة عن نشأة سجلماسة ، وعلاقة الدولة الفاطمية بائمة سجلماسة فقد كانت علاقة كليهما بالاخرى متوترة وكثيرا ما نشبت الحرب بينهما .

اما كتاب :(صورة الارض) لابن حوقل: وهو أحد الرحالة التجار الموهوبين إتخذ التجارة ليتفهم خصائص الاقاليم وطبائع الشعوب ، يعد اول جغرافى عربى يصل بلاد السودان الغربى ، استفدت من الكتاب فيما يتعلق بالنشاط الزراعى وبعضا من مظاهر الحياة الاجتماعية هذا فضلا عن معلوماته الثرة عن النشاط التجارى حيث وصف الطرق التى تربط سجلماسة بالبلاد الاخرى وتناول جانبا من نظم التجارة والضرائب.

اما كتاب :(أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم) للمقدسى : يعد الكتاب من كتب الجغرافيا والتاريخ حيث اعتمد المقدسى على مشاهداته فى اسفاره متناولا الاقاليم الاسلامية بشىء من التفصيل : امصارها – طرقها – مسافاتها – تجارتها ...الخ . وقد ساعده فى ذلك اتصاله بعلماء المسلمين وخدمته لهم ، وحضوره مجالس القضاص فجاءت كتاباته محكمة مسنودة بدعائم قوية . جاءت افادتى من الكتاب فيما يتعلق بالنشاط العمرانى ، كما امدنى بمعلومات طيبة عن النشاط الزراعى . ويعد المصدر الوحيد الذى تكلم عن مدن سجلماسة . وبما ان المصدر من كتب الجغرافيا الا انه غض الطرف عن الجانب التجارى الا عرضا حين اشار بالطريق الذى يربط زويلة وسجلماسة بمراكز المغرب التجارية الكبرى .

اما كتاب: (المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب) لابي عبيدالله البكرى : يعد من خيرة جغرافي المغرب، والاندلس ، يرجع اهمية مؤلفه الى معلوماته التفصيلية ويعزى ذلك الى مصادره التي استمد منها كتاباته خاصة كتاب:(مسالك افريقية وممالكها) : لمحمد بن يوسف الوراق . جاءت افادتي من المصدر كبيرة حيث افرد البكرى حيزا لتاريخ سجلماسة تناول فيه تاريخها السياسي والاقتصادي والذي ركز فيه على النشاط التجاري حيث ذكر المراكز التجارية والمسافات والعلاقات التجارية كما تعرض للسلع التجارية ونظم التعامل التجاري .

كتاب :(نزهة المشتاق) للادريسي : امتاز مؤلفه بغزارة المادة ودقتها ووضوحها فقد اماط اللثام عن كثير من الحقائق التاريخية الى جهلها الاخرون . في تناوله لتاريخ سجلماسة امدني بمادة طيبة عن النشاط الزراعي والتجاري وبعضا من مظاهر الحياة الحضارية .

اما كتاب :(الكامل في التاريخ) لابن الاثير ساعدة كثرة الترحال ، الالمام بثقافة واسعة في العلوم الاسلامية سيما التاريخ والنحو، امتاز ابن الاثير بشدة التثبت والنقد فقدم مادة طيبة في تناوله لتاريخ المغرب خاصة فيما يتعلق باحوال بلاد المغرب في عصر الولاة ، وثورات البربر جاءت افادتي منه في اماكن متعددة من البحث.

اما كتاب :(الاستبصار في عجائب الامصار) لمؤلف مراكشي مجهول الاسم : احتوى الكتاب على معلومات تاريخية وجغرافية . أمدني بمعلومات عن دور اليهود في سجلماسة . عدا ذلك فمادة الكتاب لا تختلف عما ذكره البكري.

أما كتاب :(معجم البلدان) لياقوت : استفاد من رحلاته في تاليف كتابه الذي لا يعد معجما جغرافيا فحسب بل كتاب تاريخ وادب ، فقد حوى المعجم معلومات كثيرة عن الارض وهيئتها والبلاد المفتوحة ومحطاتها التجارية ، كما أعطى تفاصيل عن الاوضاع السياسية والنشاطات التي يمارسها السكان ، والمسافات بين المدن ، كما ذكر اسماء الجبال والاصقاع والاودية والقرى والبحار والانهار ، استقيت من المعجم معلومات كثيرة افادتني في اماكن متفرقة من البحث .

كتاب :(تقويم البلدان) لابى الفداء : ذكر فى مؤلفه الجغرافى ، المراكز التجارية وتحديد اقاليمها وضبط الاسماء كما تناول تجارة الذهب بين بلاد السودان الغربى وبلاد المغرب العربى . يعاب عليه عدم ذكره للطرق التجارية . الا ان الباحث استفاد منه كثيرا فى ثنايا البحث .

كتاب :(نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر) للدمشقى: يتضمن الكتاب معلومات دقيقة فى تناوله لمراكز التجارة على جانبى الصحراء والمسافات بين المراكز افادنى كثيرا فى هذا الجانب.

كتاب :(تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط) لابن الخطيب : تناول تاريخ وحضارة المغرب الاسلامى فى فترة العصور الوسطى ، يعد المؤرخ الوحيد الذى تناول تاريخ سجلماسة السياسى خاصة التسلسل التاريخى لائمة بنى واسول وسياستهم الداخلية والخارجية . عدا ذلك لم يهتم كثيرا بالنواحى الاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

اما كتاب :(العبر وديوان المبتدأ والخبر) لابن خلدون : امتاز ابن خلدون بالملكة التاريخية لرجوعه فى تحقيق اخباره لامهات الكتب مثل الطبرى واليعقوبى والشهرستانى وخلافه . لذلك يعد كتابه:(العبر) من اهم المصادر فى تاريخ المغرب حيث تناول باسهاب غير ممل قبائل البربر وممالكها ومساهمتهم فى الحركة التجارية اعتمدت عليه كثيرا فى اغلب فصول البحث.

كتاب :(صبح الاعشى فى صناعة الانشاء) للقلشقندى : يعد المصدر كتاب تاريخ ، وسير ، ولغة ، وادب ، وفقه ، وتفسير للقران الكريم والحديث النبوى الشريف وفى الحقيقة فهو دائرة معارف ادبية . أمدنى بمعلومات سدت بعض الثغرات وكملت كثيرا من جوانب النقص .

أما كتاب :(وصف افريقية) للحسن الوزان : أورد معلومات وافية ودقيقة عن الصحراء من المحيط حتى نهر النيجر شرقا . كما تكلم عن ممالك السودان الغربى وصلاتها التجارية بمراكز الصحراء المغربية . استفدت منه كثيرا فى المجال العمرانى حيث وجدت فيه معلومات طيبة عن قصور سجلماسة والحياة داخلها .

كتاب :(البيان المغرب فى اخبار المغرب) لابن عزاري المراكشــى : يحتل كتابـه مكانـة بارزة وسط كتب التاريخ ويعد من المؤلفات الشـاملة عن عهـود الاسـلام فـى بـلاد المغـرب . يعاب عليه الاختصار كما تنقصه ملكة النقد ، فهو يذكر الحوادث فى شكل حوليات . ومع ذلك لا يقلل من كونه مؤرخ موهـوب أسدى خدمـة جليلـة لتاريخ المغرب . اعتمـدت عليـه كثيرا خاصة فيما يتعلق بالحياة السياسية .

الى جانب ذلك استفدت مـن مجموعـة مختـارة مـن الكتب التـى تنـاولت تـاريخ المذاهـب الاسلامية نذكر منها :

كتاب :(الكامل) : للمبرد . وكتاب : (الملل والنحل) : للشهرستانى . وكتاب : (المذاهـب الاسلامية) : للامام ابوزهرة . هذه الكتب امدتنى بمادة غزيرة عن طبيعـة المذهـب الخـارجى وكيف انتشر فى بلاد المغرب .

كما امدتنى بعض كتب التراجم والتراث بمعلومات لا اقول كاملة الا انها سدت النقص فى بعض جوانب البحث خاصة فيما يتعلق بالحياة الثقافية . نذكر منها : كتاب :(عنوان الدرايـة) : لابى العباس احمد الغبرينى . وكتاب :(الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام) : للعباس بن ابراهيم السملالى. وكتاب :(تاج المفرق فـى تحليـة علمـاء المشـرق) : لخـالد ابـن عيسى البلوى .

كما ساهمت الرسائل الجامعية فى اثراء البحث نذكر منها : (جماعات الخـوارج فـى بـلاد المغرب حتى نهاية القرن الرابع الهجرى) : لعبدالرحمن حسب اللـه. (والعلاقـات بيـن مملكـة غانة والمغرب العربى) . و(الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى) : لاحمد الياس حسين . و(وعلاقة مصر ببلاد المغرب من الفتح العربى حتى قيام الدولة الفاطمية): لحورية عبده .

كذلك ساهمت بعض المراجع العربية الحديثة فـى توجيـه البـاحث لامهـات الكتـب ، وفهـم نصوصها نذكر منها :(تاريخ المغرب الكبير) : للسيدعبدالعزيز سالم . ومؤلـف سـعد زغلـول عبدالحميد :(تاريخ المغرب العربى) . و(تاريخ المغـرب الكبير) : تـاليف محمـد علـى دبـوز.

و(الإباضية فى موكب التاريخ) : ليحى بن معمر . ومؤلف الحبيب الجنحانى :(المغرب الاسلامى – الحياة الاقتصادية والاجتماعية).

واذا كانت الاشارة لم ترد لكل المصادر والمراجع التى ساهمت فى البحث فان ذلك لا يعد هضما لما ساهمت به فى بناء الافكار فالباحث يدين لها بالشىء الكثير ويعترف بفضلها .

المنهج وخطة البحث :

أسلوب الكتابة اتبعت فيه المنهج الوصفى التحليلى حيث ذكرت الاحداث وحولتها الى حقائق تاريخية وذلك بتحليل الحقائق وفق الرؤية المنهجية والتى من خلالها تم ترجيح بعض الحقائق التاريخية مع تقديم العلل والاسباب للحوادث والظواهر .

أما خطة البحث فتمت معالجة الموضوع بمقدمة وتمهيد واربعة فصول وخاتمة .

فى التمهيد والذى يعد ذات صلة وثيقة ببقية فصول البحث وعلى ضوئه تكتمل صورة البحث ، فقد تناولت الدراسة فيه التعريف ببلاد المغرب من حيث الموقع الجغرافى ، وعناصر السكان ، وتتبعت الدراسة مراحل الفتح الاسلامى وانتشار الإسلام والثقافة الاسلامية .

كما تطرقت الدراسة فى التمهيد للتعريف بسجلماسة من حيث الموقع الجغرافى ، والوضع الاجتماعى والسياسى والفكرى قبل الاسلام ، ثم تتبعت مراحل الفتح الاسلامى فى منطقة جنوب المغرب الاقصى وانتشار الاسلام فى ربوع سجلماسة. واختتم التمهيد بتأسيس سجلماسة على يد الخوارج الصفرية .

أما الفصل الاول فقد جاء مخصصا لدراسة الحياة السياسية حيث تناولت الدراسة الاحوال العامة فى المغرب قبل ظهور الخوارج ثم قيام امامة بنى واسول الصفرية . وابرزت الدراسة الظروف والملابسات التى ساعدت الخوارج الصفرية فى اقامة دولتهم والتى تعد اول دولة اسلامية تنشأ جنوب المغرب الاقصى ، حيث مثل قيامها منعطفا جديدا فى تاريخ المغرب تميز بظهور الروح القومية والحركات الانفصالية . كذلك تناولت الدراسة فى هذا الفصل تولى ائمة بنى واسول الحكم وسياستهم الداخلية . فاوضحت التسلسل الزمنى للائمة ومدى مساهمتهم وكيف عاشت المنطقة ردحا من الزمن فى امن وسلام . ولكن ما لبثت ان انهارت وذلك

بتضافر بعض العوامل الداخلية والخارجية ولكن يبقى الانهيار الداخلى هو بداية النهاية وعاملها الاكبر . أما السياسة الخارجية فقد اتسمت بحسن الجوار وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاخرى ، كما اكسبها حكم وصداقة الجميع .

الفصل الثانى ناقشت فيه الدراسة الحياة الاجتماعية من حيث عناصر السكان وطبقات المجتمع وتطرقت فيه لمظاهر الحياة الاجتماعية العامة والخاصة . ثم اختتم الفصل بمظاهر النشاط العمرانى .

فى **الفصل الثالث** تعرضت الدراسة للحياة الاقتصادية التى تعد عصب الحياة واساس نهضة الامم فتناولت الدراسة النشاط الزراعى واوضحت ان المنطقة اغلبها عبارة عن اراضى صحراوية . الا ان ذلك لم يقف حجر عثرة امام النشاط الزراعي فتغلب اهالى سجلماسة على تلك الظروف الطبيعية باستخدام الاساليب المتطوره للرى فى ذلك الوقت فازدهرت المنطقة زراعيا واكتفى السكان ذاتيا فشجع ذلك على اقامة بعض الصناعات الخفيفة . فإزدهرت التجارة حتى أصبحت المنطقة معلما بارزا فى النشاط التجارى على الصعيدين المحلى والاقليمى .

أما **الفصل الاخير** فقد جاء مخصصا للحياة الفكرية فشرحت الدراسة اثر تعاليم الخوارج فى الحياة الفكرية ومن ثم تطرقت لتعاليم الخوارج الصفرية وانتشارها بالمغرب وتناولت ابعاد النشاط الفكرى من خلال المؤسسات التعليمية . واثر العلماء فى الحياة الفكرية .

ثم ختم البحث بما توصلت اليه الدراسة من نتائج وتوصيات . والحق ببعض الملاحق الضرورية فى نطاق الدراسة .

تمهيد :

١- التعريف ببلاد المغرب العربي.

٢- التعريف بسجلماسة.

(أ) التعريف ببلاد المغرب العربي[١] :

عرفت بلاد المغرب منذ أقدم العصور بأسماء مختلفة ، فالإغريق مثلا كانوا يسمون القسم الشمالي منها والذي يسكنه العنصر الابيض باسم ليبو أو ليبيا[٢]، وفي القرون الوسطى عرفت باسم بلاد البرابرة[٣] .

والمغرب مصطلح قصد به الاقاليم الواقعة غرب مصر، والتي تشمل شمال القارة الافريقية، وتتضمن البلاد الليبية ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب[٤]. ويمتد من برقة[٥] شرقا حتى المحيط الاطلسي غربا ، ويطل على البحر المتوسط شمالا ، ومن جهة الجنوب تحدها التلال الرملية الفاصلة بينها وبلاد السودان الغربي[٦]. والمغرب عموما اقليم كبير مترامي الاطراف كثير المدن والقرى[٧].

١- أنظر الملحق الاول : ص ١٦٣.

٢- السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير : ج ٢ : ص ١٢٥ الدار القومية للطباعة والنشر : القاهرة (١٩٦٦م) .

شارل أندري جوليان : تاريخ افريقية الشمالية : ص ١١ - ١٢ : الدار التونسية النشر : تونس : (١٩٦٩م) : تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة .

٣- السيد عبدالعزيز سالم : المرجع السابق والصفحة.

٤- المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم : ط٢ : ص ٢١٥ : مطبعة بريل : ليدن :(١٩٠٦م)

٥- برقة : تنطق بفتح الباء ، وسكون الراء ، وفتح القاف ، ثم هاء : مدينة تقع بين الإسكندرية وافريقية (تونس) وهي بلدة متوسطة الحجم في مستو من الأرض ، تربتها حمراء ، ارضها خصبة ، كثيرة الخيرات . يسكنها طوائف من بربر لواتة ومزاتة وهوارة .

ابو الفداء : تقويم البلدان : ص ١٤٨ - ١٤٩ : باريس (١٨٤٠م) ياقوت : معجم البلدان ج١ : ص ٣٨٨ - ٣٨٩ . دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر : بيروت : (١٩٥٧م).

ابن حوقل : صورة الارض : ص ٦٩ : مكتبة الحياة : بيروت . الدمشقي : نخبة الدهر : ص ٢٣٤ . مكتبة المثنى : بغداد .

٦- عن التعريف ببلاد السودان الغربي أنظر ص ٢٦.

٧- الأصطخري : مسالك الممالك :ص ٣٧ . مطابع دار القلم : القاهرة : (١٩٦١م) : السلاوي : الاستقصا لاخبار دول الاقصى : ج١ : ص ٢٢ : دار الكتاب : الدار البيضاء : (١٩٥٤م) .

أشتملت بلاد المغرب على ثلاثة أقاليم[١]، حسب ما جاء فى كتابات الجغرافيين المسلمين وهى :-

أولا :- إقليم إفريقية :-

وهو ما يعرف بالمغرب الادنى ، يمتد من برقة حتى ديار مصر ، وكانت حاضرته فى صدر الاسلام مدينة القيروان[٢] وقد اشتمل على عدة مدن نذكر منها : باجة وبونة وبنذرت[٣] .

ثانيا :- المغرب الأوسط :-

يقع شرق وهران[٤] ، كانت حاضرته مدينة تلمسان [٥] وقد اشتمل على عدة مدن أهمها : جيجل، وطبنة وغيرها[٦].

١- أنظر الملحق الثانى : ص :١٦٤.

٢- القيروان : : بفتح القاف ، وسكون الياء ، وفتح الراء ، ثم واو والف ، وفى اخرها نون : مدينة محدثة بنيت فى صدر الإسلام ، بناها عقبة بن نافع الفهرى ، تقع فى قلب الصحراء حيث تصلح لسكنى العرب ، سورها الاشعث بن العقبة الخزاعى سنة (١٤٤هـ) والقيرون لعظم مدينة بالمغرب ، واحسنها منازلا واسواقا ، واكثرها تجارة واموالا وتجارتها مع سائر البلدان.

ابو الفداء : تقويم البلدان : ص١٤٤. ابن حوقل : صورة الارض : ص٩٤ .

٣- ابو الفداء : المصدر السابق : ص ١٢٢.

٤- وهران : بفتح أوله وسكون ثانية ، واخره نون : مدينة متوسطة الحجم على البر الإعظم من المغرب ، على ضفة البحر ، بناها محمد بن أبى عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الاندلسيين . ووهران مدينة حصينة ذات مياه غزيرة ، اكثر اهلها تجار ، لها ومسجد جامع. ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ : ص ٣٨٥.

٥. تلمسان : تنطق بكسر التاء واللام ، وسكون الميم ، وفتح السين ، ثم الف ونون أسم لمدينتين متجاورتين مسورتين بسور بعد من أوثق الاسوار ، بينهما رمية حجر احداهما قديمة والأخرى حديثه. وهى بلدة كثيرة البرد والثلوج فى الشتاء. وتتمتع المدينة بالمياه الغزيرة ، والبساتين الكثيرة ، والاسواق العامرة ، والمساجد الجامعة ، والحمامات النظيفة ، واشتهر سكانها بالخير والكرم .

أبو الفداء: المصدر السابق : ص ١٢٨ـ ١٢٩ . الزهرى : كتاب الجغرافيا : ص ١١٢ـ ١١٤ : مكتبة الثقافة الدينية : القاهرة : تحقيق : محمد حاج صادق . الدمشقى : نخبة الدهر : ص ٢٢٧ .

٦- أبو الفداء المصدر السابق : ص١٢٢ . السلاوى :الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى : ج١ : ص٢٣.

ثالثا :. المغرب الاقصى :.

يمتد من ساحل المحيط الاطلسى الى تلمسان غربا وشرقا ، ومن سبتة الى مراكش ، ثم الى سجلماسة: شمالا وجنوبا. كانت حاضرته أولا فاس[١] ثم مراكش . لها من المدن مكناسة : فاس ، وسلا[٢] وغيرها[٣].

سكن بلاد المغرب العديد من القبائل ثم تشعبت منها بطون وافخاذ كثيرة لا يسمح المجال بذكرها . وقد إختلف النسابون فى نسبتهم اختلافات كثيرة وبحثوا فيها طويلا . ويرى اليعقوبى[٤] أن ((سكان المغرب جيل قديم من ولد فاروق بن بيصر بن حام ، خرجوا نحو الغرب فلما تجاوزوا أرض برقة أخذ كل قوم منهم على بلد ، ثم انتشروا بعد ذلك بأرض المغرب)) . بينما ذهب أبو الفداء الى القول بأن [٥]:((سكان المغرب أخلاط من كنعان ، لما قتل ملكهم جالوت ، تفرقت جموع كنعان فقصدت طائفة منهم بلاد المغرب . وعرفوا فيها بعد بالبربر)). يتفق ابن خلدون مع هذه الرواية إذ يقول [٦] : ((والحق الذى لا ينبغى التعديل على

---

١. فاس : بفتح الفاء ، ثم ألفا وسين : أعظم مدينة من مصر الى اخر بلاد المغرب . وفاس أسم لمدينتين تقع كل واحدة على سفح جبل ، احدلهما عدوة الاندلس والتى بنيت عام (١٩٢هـ) ، والاخرى عدوة القرويين ، وبنيت عام (١٩٢هـ) فى عهد ادريس بن ادريس وصارت عاصمة دولة الادارسة . اشتهرت بالخصب والرخاء واهلها ظرفاء واكثرهم فقهاء . بها مساجد جامعة ، وتجارتها غير منقطعة مع جميع الاقطار ولاسيما اليمن والشام والعراق والاندلس .

أبو الفداء : تقويم البلدان : ص١٢٢ - ١٢٢ . مجهول المؤلف : الاستبصار : ص١٨٠-١٨١. مطبعة جامعة الإسكندرية : (١٩٥٨م).

ابن حوقل : صورة الارض : ص٨٩. الزهرى : كتاب الجغرافية : ص١١٤.

٢. سلا : بفتح السين واللام وفى اخرها الف : مدينة متوسطة بأقصى المغرب ليس بعدها معمور ، تقع على زاوية من الارض قد حازلها البحر والنهر ، لها نهر كبير يشقها نصفين سمى أحدهما رباط الفتح والاخر قصر الفرج .

ياقوت : معجم البلدان : ج٣ : ص٢٣١. ابو الفداء : المصدر السابق : ص١٢٠-١٢١.

الدمشقى : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر : ص٢٣٥.

٣. أبو الفداء : المصدر السابق : ص ١٢٢.

٤. تاريخ اليعقوبى : ج١ : ص١٩٠ . دار صادر ودار بيروت للطباعة : بيروت : (١٩٦٠م). ابن حوقل : المصدر السابق : ص٩٧.

٥. المختصر فى اخبار البشر : ط١ : ج١ : ص٩٧ : المطبعة الحسينية : مصر .

٦. العبر : ج٦ : ص١٨٩-١٩١ : دار الكتاب اللبنانى : لبنان : (١٩٥٦م) .

البلاذرى : فتوح البلدان : ص٢١٥. دار النشر للجامعيين : بيروت : (١٩٥٨م).

غيره فى شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح ، وأن الشيطان نـزغ بين بنى حام وبنى سام ، وكانت الغلبة فيها لبنى حام فخرج سام الى ديار المغرب حتى بلـغ المغرب الاقصى ، فخرج بنوه فى أثره يطلبونه فكل طائفة من ولده بلغت موضعا وانقطع عنهم خبره اقاموا بذلـك الموضع وتناسلوا فيه ، وجاءتهم طائفة اخرى فأقاموا معهم وتناسلوا هنالك)).

أما شعوب هذا الجيل وبطونهم فأن علماء النسب متفقون على انهم قسمان : برنس ويقـال لشعوبه البرانس، ومادغيس ويلقب بـالابتر ، فلذلـك يقـال لشعوبه البتر . وهمـا لاب واحـد [١] ولاخـلاف بين نسـابة العـرب ان شـعوب بـلاد المغـرب جميعهـم مـن البربر الا صنهاجــة [٢] وكتامة[٣] فأنهم من اليمن [٤] يؤيد ابن خلدون ذلك بقوله[٥]: ((والحق الذى شهد به المواطن

---

١. إن امة البربر امة يجمعها شعبان لا يخرج بربرى عنهما وهما : برنس وماذغيس الذى يلقب بالابتر . فاما البرانس فتنقسم الى سبع قبائل هى : أدربة ، وصنهاجة ، وكتامة ، ومصمودة ، وعجيسة ، واوريغة ، وارداجة (ورداجة) . واما البتر فينقسم شعبهم الى اربع قبائل هى : ضريسة ، ونفوسة ، واداسة ، وبنولواى . على العموم إن شعوب البتر والبرانس ، فريقين يختلفان فى كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية وغيرها . فالبرانس أقاموا فى المناطق الساحلية ، ومن ثم احتكوا بالمدنية وامتهنوا حرفتى الزراعة والتجارة ، وكانت ديانتهم المسيحية ، وثقافتهم الاغريقية اللاتينية ، وقد قاوموا الفتح الاسلامى دفاعا عن معتقداتهم الدينية وموروثاتهم الحضارية . بينما اقام شعوب البتر فى المناطق الداخلية وعاشوا حياة بدوية وقد اعتنقوا اليهودية ولكن الغالبية العظمى كانوا على الوثنية . قاوموا الحكم البيزنطى ولكنهم رحبوا بالفتح الاسلامى .

ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص١٧٦، صالح بن قربة : حسان بن النعمان ودوره فى نشر الاسلام فى المغرب : بحث نشر بمجلة الاصالة العدد (٦٤) : ص٦١، جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى : ج٥ : ص١٩، مطابع مؤسسة دار الهلال (١٩٦٨م).

٢. صنهاجة : من بطون البرانس من ولد برنس بن بر . سكنوا الصحراء ما بين المغرب الاوسط وافريقية . وصنهاجة اكثر قبائل البربر عددا ، وبطونها كثيرة أشهرها : بلكانة وأنجفة ، وشرطة ، ولمتونة ، ومسوفة .

ابن خلدون : المصدر السابق : ج٦ص ٢٠٩-٢١١.

٣. كتامة : من بطون قبائل البربر البرانس ، مواطنهم بالمغرب الاقصى وبطونها كثيرة نذكر منها : غرس ، ويسودة . ناصروا دعاة الشيعة وقامت الدولة الشيعية بالمغرب على اكتافهم . ولما تملكوا المغرب زحفوا نحو الشرق فدانت لهم مصر والشام واختطوا القاهرة لعظم أمصار مصر وعاشوا فى ترف وبزخ.

ابن خلدون : المصدر السابق . ص٢٠١-٢٠٢.

٤. اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى : ج١ : ص١٩٠.

٥. العبر : ج٦ : ص١٧٥ وما بعدها .

والعجمة انهم بمعزل عن العرب الا ما تزعمه نسابة العرب في صنهاجة وكتامة)).

مهما يكن من أمر فأن هذه القبائل استقرت في بلاد المغرب منذ قديم الزمان وتناسلت ، وملات الارض والجبال والارياف والضواحي [١] ، وكانت منازلهم متواضعة بنيت من الحجارة والطين والشجر ومن الشعر والوبر[٢].

شهدت بلاد المغرب قبيل الفتح الاسلامي حالة من الضعف وتكاثرت عليها المشاكل، فالادارة البيزنطية في المنطقة أصبحت عاجزة عن مواجهتها والتي تمثلت في ثورات القبائل المغربية ضد الادارة البيزنطية[٣]. ويضاف الى ذلك تعدد الاديان والمعتقدات ، فالبربر كانوا يدينون بدين من تغلب عليهم . فقد اعتنق بعضهم الدين المسيحي في حين أن سوادهم الاعظم كان على الوثنية [٤]. فتطور الامر الى حدوث التدهور والانحلال والتفكك والخواء الروحي داخل المجتمع المغربي ، واصبحت البلاد في امس الحاجة لانتشالها من تلك المشاكل، بل وكأنها تغري الفاتحين بفتحها .

إنطلق الفتح الاسلامي وراحت الجيوش الاسلامية تغذو العالم من شرقه وغربه الى شماله وجنوبه ، فاستولت على ايوان كسرى وهزمت البيزنطينيين ، ودكت حصون هرقل وقلاعه ، فاستطاع المسلمون أن يزيلوا ظلم الملوك عن رعاياهم ، وان يحسنوا السياسة ويؤدوا الامانة ، فكسبوا بذلك قلوب الناس دون ان يكرهوهم على الاسلام ، حتى إشتهرت بلاد الاسلام بحرية الاديان . يشير المستشرق غوستاف لوبون لذلك بقوله [٥] : إن القوة لم تكن عاملا في انتشار القران ، كما أن العرب تركوا المغلوبين احرارا في اديانهم ، فاذا حدث أن اعتنق بعض الشعوب النصرانية الاسلام واتخذوا العربية لغة لهم فذلك لما كان يتصف به الاسلام من

---

١. ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص١٧٥ - ١٧٦. أنظر الملحق الثالث : ص: ١٦٥.

٢. المصدر نفسه والصفحات .

٣. شارل اندري جوليان : تاريخ افريقية الشمالية : ص ٢٦٥.

٤. حسن علي حسن : تاريخ المغرب -عصر الولاة : ط١ : ص٢٩٩: مكتبة الشباب : القاهرة : (١٩٧٧م).

٥. حضارة العرب : ط٤ : ص٨ : مطابع عيسى البابلي : مصر (١٩٦٤م) . تعريب : عادل زعيتر.

ضروب العدل الذى لم يكن لهم عهد بمثله من سادتهم السابقين ، ولما كان عليه الاسلام من السهولة التى لا تعرفها الاديان الاخرى .

فى الواقع بعد أن استقرت الدولة الاسلامية فى المشرق أخذت حركة المد الاسلامى تتداح صوب بلاد المغرب ، بهدف نشر العقيدة الاسلامية ، وانتشال أهل المغرب من الاضطهاد البيزنطى خاصة وان المغرب ، كانت ولاية تابعة لها(١) ، فبعد أن فتحت العراق والشام ومصر كان طبيعيا أن يتابع المسلمون فتوحاتهم فى شمال افريقية (٢) .

أما فيما يتعلق بالفتح الاسلامى لبلاد المغرب فالحق يقال أن العهد الاموى يعتبر عهد الفتوح الحقيقية لبلاد المغرب ، ويرجع الفضل فى ذلك للخلفاء الاوائل امثال : معاوية بن أبى سفيان ، وعبدالملك بن مروان ، وسليمان بن عبدالملك ، وعمر بن عبدالعزيز. فلهؤلاء الفضل الاكبر فى توطيد دعائم الاسلام باتباعهم سياسة اللين ، فاكتسبوا قلوب البربر ونشروا الاسلام بينهم وادخالهم فى الجيوش الاسلامية جنودا ومحاربين اشداء .

عموما إستغرق إخضاع بلاد المغرب وقتا طويلا إمتد حتى العقد الاخير من القرن الاول الهجرى ويعزى ذلك لتحصنها ومناعتها . زد الى ذلك ان المغاربة قد ألفوا حياة الفوضى والتمرد والعصيان فلم يستكينوا للجيش الاسلامى بسهولة(٣) فمرت الفتوحات الاسلامية بعدة مراحل . فى المرحلة الاولى ، كانت عبارة عن شن الغارات لتأمين الحدود الغربية للدولة الاسلامية ، ولصد هجمات البيزنطيين ، ثم بدأت الاعمال العسكرية المنظمة حيث تمكنت الخلافة الاسلامية من اخماد الاضطرابات الداخلية والقضاء على الحروب الاهلية ، واصبحت

---

١. أحمد مختار العبادى : تاريخ المغرب والاندلس : ص٣٧ : مؤسسة الثقافة الجامعية : الإسكندرية.

٢. البلاذرى : فتوح البلدان : ص٢١٧.

٣. المصدر نفسه : ص٢٠٩.

لديها القدرة الكافية على حشد القوات العسكرية ، برية وبحرية . فبدأت تتجه صوب شمال افريقية [١].

أول من ارسل لشمال افريقية هو عمرو بن العاص ، يبين البلاذرى ذلك بقوله[٢] :((لما فتح عمرو بن العاص الاسكندرية سار فى جنده يريد المغرب ، حتى قدم برقة ، فحاصرها وصالح اهلها على الجزية)). ثم تقدم بجيوشه نحو طرابلس الغرب فحاصرها شهرا فاستعصت عليه [٣] ، ولكنه اقتحمها عنوة ، وبدأ يبث السرايا لاخضاع المناطق المجاورة [٤] . ثم استأذن الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) للزحف نحو افريقية [٥] ، الا ان الخليفة لم يوافقه على ذلك بقوله له :((ما هى بافريقية ولكنها مفرقة غادرة مغدور بها)) [٦]. اكتفى عمرو ابن العاص بما فتح وغنم من طرابلس وما حولها ورجع الى مصر بعد أن ترك عقبة بن نافع مع بعض الجيوش فى برقة للمحافظة على ولائها للمسلين . فأصبحت برقة مركزا متقدما للجيوش الاسلامية[٧] تمكن عبدالله بن ابى السرح ان يغزو افريقية بعد أن سمح له الخليفة عثمان ابن عفان (رضى الله عنه) بذلك وامده بجيش كبير استطاع أن يفتح به طرابلس الغرب[٨].

---

١. البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٢١٤.

٢. المصدر نفسه والصفحة.

٣. أبن الاثير : الكامل فى التاريخ : ج٣ : ص٢٥: بيروت :(١٩٦٥م).

٤. ابن عبدالحكم : فتوح افريقية والاندلس : ص١٧١ ـ ١٧٢ . دار الكتاب اللبنانى : بيروت : (١٩٦٤م) : تحقيق : عبدالله أنيس الطباع.

٥. افريقية : اطلقه العرب على ما يعرف الان بتونس فقط ، أما بقية الشمال فكان يشتمل على المغرب الاوسط وهو يقابل بلاد الجزائر الحالية ، والمغرب الاقصى وهو يقابل المملكة المغربية الحالية (مراكش).

جرجس زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى : ج٥ : ص١٨.

٦. البلاذرى : المصدر السابق : ص ٢١٦.

٧. السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير : ج٢ : ص١٥٢.

٨. شارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية : ص١٢٦ ـ ١٢٧: دار العلم للملايين : بيروت : (١٩٨٨م) : تعريب : امين فارس.

توقف تيار الفتح الاسلامى فترة لان المشرق الاسلامى مر بمرحلة عدم استقرار ، بدأت بمقتل الخليفة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) ولم تهدأ الاوضاع فى خلافة على بن ابى طالب حتى قتل ، واخيرا استقرت الامور عند تولى معاوية بن ابى سفيان مقاليد الحكم [١].

أعد معاوية العدة للتوجه نحو شمال افريقية ، واسند قيادة الحملة الاسلامية لمعاوية ابن حديج[٢]، ومعه عسكر عظيم استطاع ان يصد غارات الروم ، لم يمكث ابن حديج طويلا لاتمام ما بدأه ، فقد عزل وعين مكانه عقبة بن نافع الفهرى[٣] الذى يعتبر الفاتح الحقيقى لبلاد المغرب بعد معاوية بن حديج . قام خلال الفترتين اللتين قضاهما فى ولاية افريقية بحروبات كثيرة ضد البربر حتى اخضعهم [٤].

وصل عقبة بن نافع الى افريقية فى عشرة الاف من المسلمين فافتتحها ووضع السيف على رقاب النصارى وقال :(إن افريقية اذا دخلها امام اجابوه للاسلام ، فاذا تركها رجع من كان اجاب منهم الى الكفر ، فأرى لكم يا معشر المسلمين ان تتخذوا مدينة تكون عزا للاسلام الى اخر الدهر)[٥]. فاختار مدينة القيروان وتمكن من تعميرها فاصبحت مركزا للمسلمين فىقلب افريقية ، تتجمع فيها القوات الاسلامية ومن ثم تشن الهجمات ضد الروم والبربر[٦] .

---

١. ابن خلدون : العبر : ج٢ : ص١١٢٨ - ١١٢٩.

٢. ابن عزارى : البيان المغرب فى اخبار المغرب : ج١ : ص١١ . مكتبة صادر : بيروت (١٩٤٧ - ١٩٥٠م).

٣. عقبة بن نافع الفهرى : من كبار القادة فى صدر الإسلام ، ولد قبل وفاة النبى (صلى الله عليه وسلم) بسنة واحدة . وهو ابن خالة عمرو بن العاص ، شهد فتح مصر ، ووجهه عمرو بن العاص الى افريقية سنة (٤٢هـ) فبنى مدينة القيروان وافتتح كثيرا من البلاد المغربية ، وتقدم فى المغرب الاقصى حتى بلغ المحيط وعند عودته تقدمته العساكر الى القيروان وبقى معه عدد قليل فاطبق عليه الفرنج فقتلوه ومن معه .

خير الدين الزركلى : الاعلام : ج٢ : ص٦٤١.

٤. ابن عزارى : المصدر السابق : ص١٢.

٥. المصدر نفسه والصفحات .

٦. حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام فى القارة الافريقية : ط٢ : ص٨٧ : دار الكتاب الجديد : بيروت : (بدون تاريخ).

أرسل عقبة الحملات العسكرية حيث تمكنت ان تحد من حركة الروم والبربر ومقاومتهم [١] واصل أبوالمهاجر دينار – الذى تولى أمر افريقية عام (٥٥هـ/٦٧٤م) بعد عزل عقبة بن نافع – فى خطة تثبيت أقدام المسلمين فى افريقية وتمكن من كسر شوكة البربر ودخلت جموع كثيرة من البربر فى الاسلام وحقق بذلك نصرا كبيرا للمسلمين [٢] .

كما هاجم الروم فى قرطاجنة[٣] فطلبوا الصلح فصالحهم أبو المهاجر وامرهم باخلاء جزيرة شريك[٤] لتنزل فيها جنوده وتكون للمسلمين ، ولم يصالحهم بالاموال، لان غرضه هو الفتح والاستقرار وفى رأيه يكون ذلك بامتلاك الارض لا الاموال [٥].

وفى عام ستين للهجرة توفى الخليفة معاوية ، فتولى الخلافة من بعده ابنه يزيد الذى كان مقتنعا بفضل عقبة وحسن بلائه فى فتح افريقية ، لذلك أعاد عقبة الى ولاية افريقية ، وعزل ابا المهاجر دينار عام (٦٢ هجرية) ، وبذلك بدأت ولاية عقبة الثانية ومدتها سنتان[٦]. قصد عقبة القيروان ولم يواصل فى سياسته التى وضعها فى السابق والتى تتمثل فى تركيز نفوذ المسلمين فى الاماكن المفتوحة إنما بدأ يخطط لشن الحملات غربا[٧]. توغل عقبة فى بلاد

---

١. ابن عبدالحكم : فتوح افريقية والاندلس : ص١٤ ـ ١٥.

٢. ابن عزارى : البيان المغرب فى اخبار المغرب : ج١ : ص١٧.

٣. قرطاجنة : بالفتح ثم السكون ، وطاء مهملة وجيم ونون مشددة : بلدة قديمة فى نواحى افريقية ، تقع على ساحل البحر ، بينها وبين تونس اثنا عشر ميلا ، كانت شامخة البناء أسوارها من الرخام الابيض ، قيل ان حسان بن النعمان قاتل اهلها قتالا شديدا حتى طلبوا الامان فأعطاهم ثم غدروا فرجع اليهم فملكها ثم هدمها سنة (٧٠هـ).

ياقوت : معجم البلدان : ج٤ : ص٣٢٢.

٤. تقع جزيرة شريك شرق قرطاجنة . محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير : ط١ : ج٢ :ص٢٤ : مطبعة عيسى البابلى : مصر : (١٩٦٤م).

٥. المرجع نفسه والصفحة .

٦. ابن الاثير : الكامل فى التاريخ : ج٤ : ص١٠٥.

٧. المصدر نفسه والصفحة . احمد الياس حسين : العلاقات بين مملكة غانة والمغرب : ص٢٢ . رسالة (دكتوراة) : جامعة القاهرة : معهد البحوث والدراسات الافريقية : (١٩٨٢م).

السوس باقصى المغرب وخاض هناك معارك عنيفة مع قبائل البربر ، فقد فيها طائفة من خيرة رجاله ، ثم رأى ضرورة العودة الى القيروان بعد أن وصلته أخبار مقلقة من افريقية ، اضطر بسببها الى بعث معظم جنده الى القيروان على عجل ، ولم يبقى معه الا جزء قليل من جيشه[1] حاول بهذا الجيش القليل ، أن يجعل من الجزائر قاعدة عسكرية دائمة علـى غرار القيروان ، الا أن أمنيته لم تتحقق فقد ظهر على مسرح الاحداث الزعيم البربرى كسيلة على رأس جيش كبير من البربر والبيزنطيين فاطبقوا على جيش عقبة فقتل ومن معه[2].

أستشهاد عقبة ترك اثرا عميقا فى نفوس المسلمين ، خاصة فى مدينة القيروان التى رأى قائدها زهير بن قيس البلوى أن كسيلة لابد أن يهاجمه فى القيروان ، ولن يستطيع رده ، فأنسحب بجنده الى طرابلس . وبقيت القيروان تندب حظ بانيها[3]. وصدق حس زهير فقد تمكنت قوات كسيلة من دخول القيروان . وبذلك فقد المسلمون افريقية واستفحل سلطان البربر فيها[4] .

لم تستطع الخلافة فى المشرق عمل شىء ازاء كسيلة لان الخلافة نفسها كانت تعانى من المشاكل المتلاحقة ، والتى تمثلت فى موت يزيد بن معاوية وأخذ البيعة لابنه معاوية الذى رفض الخلافة . ثم كانت ولاية مروان بن عبدالحكم وفتنة ابن الزبير . واخيرا ولى عبدالملك ابن مروان ، فحين استقام له الامر ولى أخاه عبدالعزيز على مصر[5] وقام بتولية زهير ابن قيس البلوى واليا على افريقية استطاع زهير أن يفتح تونس وفى برقة اصاب سبيا كثيرا حتى اشرف على الروم ، فاذا هم فى خلق عظيم ، فلم يستطع الرجوع ، فالتحم الجيشان وانهزم جيش زهير فقتل ومن كان معه[6].

١- البلاذرى : فتوح البلدان : ص٢٢٠.

٢- المصدر نفسه والصفحة .

٣- ابن عبدالحكم : فتوح افريقية والاندلس : ص١٩٩ - ٢٠٠.

٤- المصدر نفسه والصفحات .

٥- البلاذرى : المصدر السابق : ص٢٢١.

٦- ابن عذارى : البيان المغرب فى اخبار المغرب : ج١ : ص٢١.

موت زهير أحدث هزة كبيرة في قلوب المسلمين فمضوا الى دمشق ودخلوا على عبدالملك بن مروان ، واخبروه أن أميرهم واشراف رجالهم قد استشهدوا ، فعظم ذلك عليه ، واجتمع اشراف العرب وسألوا عبدالملك أن ينظر لافريقية من يسد ثغرها ، ويصلح امرها ، فقال لهم عبدالملك :(لا أرى أحدا كفؤا لافريقية من حسان بن النعمان)[١].

قدم حسان بن النعمان افريقية في جيش عظيم ، فقد ذكر ابن عزارى ذلك بقوله[٢] :((لم يدخل المسلمون قط افريقية بمثل ما دخلها حسان بن النعمان)). فلما نزل القيروان قال : أى مدينة بافريقية أشد ؟ قيل له : ليس مثل قرطاجنة فأنها دار الملك . فنازلها وقاتل أهلها قتالا شديدا ، ثم طلبوا الامان فاعطاهم اياه ثم غدروا فرجع اليهم حتى ملكها وهدمها وذلك سنة (٧٠ هجرية)[٣]. ثم غزا ملكة البربر الكاهنة [٤] ، فهزمته ، ومن معه من المسلمين الشجعان ، وقتلت منهم خلقا كثيرا واسرت عددا كبيرا[٥] الا أن حسان غزاها ثانية حين وصله المدد فظفر بها وقتلها وسبى منهم كثيرا[٦]. ثم انصرف حسان الى القيروان بعد أن أطمأن على حسن اسلام البربر فهناك دون الدواوين ، واستقامت له الامور حتى اصبح لا يغزو أحدا ولا ينازعه أحد . واخيرا عزله عبدالعزيز بن مروان . بعد أن ساهم مساهمة كبيرة في شمال افريقية بالقضاء على الروم والبربر والكاهنة. كما كانت لفتوحاته اثارا عميقة على حياة سكان المغرب في شتى مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

---

١. ابن عزارى : البيان المغرب فى أخبار المغرب :' : ص٣٢.

٢. البيان المغرب : ج١ : ص٣٢.

٣. ياقوت : معجم البلدان : ج٤ : ص٣٢٣.

٤. لما دخل حسان القيروان سأل أهلها عمن بقى من اعظم ملوك افريقية ليسير اليه ليبيده أو يسلم . فدلوه على امرأة كاهنة بجبل أوراس تدعى دهيا بنت ماتيا بن تيفان . جميع من بافريقية من الروم منها خائفون ، والبربر لها مطيعون فان قتلتها دان لك المغرب كله .

ابن عزارى : المصدر السابق : ص٢٥ . ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص٢١٨. محمد الحبيب بن الخوجة : يهود المغرب : ص١١. معهد البحوث والدراسات العربية،جامعة الدول العربية : (١٩٧٣م).

٥. البلاذرى : فتوح البلدان : ص٣٢١.

٦. ابن عزارى : المصدر السابق : ص٢٥ - ٢٦.

ومن الذين قاموا بجهد مقدر فى تثبيت نفوذ المسلمين فى بلاد المغرب ، موسى بن نصير الذى ولاه الوليد بن عبدالملك[١]. خرج موسى غازيا من افريقية الى طنجة[٢] حتى بلغ السوس، قتل وسَبى البربر ، فلما رأى البربر ما نزل بهم استأمنوا واطاعوا فولى عليهم واليا.وأمر العرب أن يعلموا البربر القران الكريم وشرائع الاسلام. استطاع موسى بما أوتى من حنكة ومراس سياسى ومقدرة ادارية أن يضبط شئون الحكم ، وبفضل جهوده تم اسلام بقية مناطق المغرب الاقصى ، وبذلك اصبح المغرب يستمد مقوماته الفكرية من المشرق العربى . ويعول عليه فى كل مظاهر حياته الحضارية. ولم يبقى يخشى عليه الانتفاض بعد هذه الجهود العظيمة والمتاعب الجسيمة[٣].

(٢) التعريف بسجلماسة [٤] :-

سجلماسة مدينة متوسطة الحجم ، حسنة الموقع . تقع فى قلب الصحراء على حدود المغرب الجنوبية الشرقية فى طرف بلاد السودان الغربى[٥] ، فى اخر مرحلة فى اتجاه الطريق الصحراوى[٦] ، مما جعلها ملائمة لعبور القوافل القاصدة بلاد السودان الغربى ،

---

١. ابن عبدالحكم : فتوح افريقية والاندلس : ص١٤-١٥.

٢. طنجة : بفتح الطاء وسكون النون ، وفتح الجيم ، ثم هاء : تقع على ساحل الاطلسى ، وهى مدينة قديمة بنيت بالحجارة ، معظم أهل طنجة يعملون بالزراعة وأصل زراعتهم الحنطة والحبوب . كما تكثر فيها الفواكه سيما العنب والكمثرى .

إبن حوقل : صورة الارض : ص٨٠ . أبو الفداء : تقويم البلدان : ص١٢٢.

٣. ابن عذارى : البيان المغرب فى اخبار المغرب : ج١ : ص٣٦-٣٧.

Hallett, R.: "A'frica to 1975". Vol. 1.p.121. Heinmann, educational books, London.

٤. سجلماسة : تنطق بكسر السين والجيم ، وسكون اللام ، وفتح الميم ، ثم الف وسين وهاء .

ياقوت : معجم البلدان : ج٣ : ص١٩٢. ابو الفداء : المصدر السابق : ص١٣٦.

٥. فى الواقع أن لفظ السودان يرجع أصله الى الاسم العام الذى اطلقه العرب للجنس الاسود الوارد عليهم من افريقية ، ثم اصبح هذا اللفظ يستخدم اصطلاحا للدلالة على المنطقة الجغرافية التى تمتد من ساحل البحر الاحمر وتنتهى فى الغرب عند ساحل المحيط الاطلسى ، وتشمل السودان ، اثيوبيا ، تشاد ، افريقية الوسطى ، النيجر ، غينيا ، السنغال الخ . أما السودان الغربى فهى المنطقة الواقعة بين المحيط الاطلسى غربا وبحيرة تشاد شرقا ، وتضم غانة ، مالى ، النيجر ، السنغال .

أبن حوقل : المصدر السابق : ص١٥-١٦ . ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص٤١٢.

٦. البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص١٤٩ . مكتبة المثنى : بغداد : (١٨٥٧م).

خاصة غانة[١] . وكذا للقوافل الراجعة منها[٢].

أما حدودها فقد اشتملت على مناطق درعة كما ضمت كل المناطق الشمالية جنوب الاطلس الكبير فى جنوب المغرب الاقصى ، وامتدت جنوبا الى قلب الصحراء[٣] مما جعل رقعتها واسعة[٤] قدرها ابو الفداء [٥] :((بأربعين ميلا)).

ولسجلماسة من المدن : درعة ، تادنقوست ، أثرإيلا ، ويلميس ، حصن إبن صالح ، النحاسين ، حصن السودان ، هلال إمصلى ، دار الامير ، حصن برارة (البرار) ، الخيامات، تازروت (بادروب)[٦] .

يتوسط سجلماسة سهلا رمليا إمتاز بالخصب لوفرة المياه التى يوفرها نهر زيز[٧] ، حيث

١.غانة : بفتح الغين والالف ثم نون وهاء : مدينة كبيرة تقع جنوبى بلاد المغرب ، وغانة مدينتان احدهما مدينة الملك وتسمى الغابة والاخرى مدينة الرعية والتى يقصدها التجار من سائر البلاد لتحكمها فى طرق القوافل المؤدية الى مناجم الذهب الكبرى التى تقع فى جنوبها الغربى . حيث كانت تصدر الذهب والرقيق ، وتستورد الملح والنحاس الاحمر والفواكه المجففة .

أبو الفداء : المصدر السابق : ص١٥٦ ـ ١٥٧.

البكرى :المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب : ص ١٧٤ ـ ١٧٥.

مجهول المؤلف : الاستبصار فى عجائب الامصار : ص٢١٩ ـ ٢٢.

٢. الجنحانى : المغرب الاسلامى . الحياة الاقتصادية والاجتماعية : ص ١٤٩ .

الشناوى واخرون : دائرة المعارف الاسلامية : ج١١ : ص٢٠٠ ـ ٢٠١: مطبعة الاعتماد : مصر : (١٩٣٢م).

٣. محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير : ج٢ : ص٤٤٥ ـ ٤٤٦.

٤. المرجع نفسه والصفحات.

٥. تقويم البلدان : ص١٢٧.

٦. المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم : ص٢١٩.

الزهرى : كتاب الجغرافية : ص١١٧.

٧. نهر زيز : نهر عظيم ينبع من مرتفعات الاطلس ، ويجرى نحو الجنوب مخترقا عدة جبال ، يزيد وينقص كنيل مصر.

الدمشقى : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر : ص١١١.

غرسوا البساتين على طول النهر اكثر من اربع فراسخ[١] خارج البلدة ، جادت بمختلف انواع الفواكه والثمار[٢] .

أما من حيث المناخ فأن فصل الصيف تشتد فيه الحرارة ، ويكثر الغبار الى حد يسبب التهاب العيون[٣] ، فغالبا العمش[٤] الذى يصيبهم نتيجته الحرارة[٥] . أما الشتاء فهو شديد الرطوبة كثيرا ما يسبب الامراض[٦]. اما بقية فصول السنة فالمناخ معتدل[٧].

اعطى المؤرخون والجغرافيون المسلمون صورا مشرقة لسجلماسة ، فأبو الفداء مثلا يقول[٨] :((سجلماسة قاعدة ولاية مشهورة ، لها ثمانية ابواب من ايها خرجت ترى النهر والنخيل وعلى جميع بساتينها حائط لمنع الغارات))، أما صاحب كتاب الاستبصار فيقول[٩] : ((سجلماسة مدينة ازلية من أعظم مدن المغرب ، على طرف الصحراء ، فيها قرى متصلة، وعمارات متقاربة ، وقصور شاهقة ، وانواع كثيرة من الفواكه مختلفة الالوان ، يقال يسير

---

١. الفرسخ : مقياس قديم من مقابيس الطول ، يقدر بثلاثة اميال . ابراهيم أنيس واخرون : المعجم الوسيط : ج٢ : ص٦٨١.

٢. ياقوت : معجم البلدان : ج٣ : ص١٩٢. الحسن الوزان : وصف أفريقية : ط٢ : ج٢ : ص١٢٠ . ١٢١ : دار الغرب الاسلامي : بيروت : (١٩٨٣) : ترجمة : محمد حجى ومحمد الاخضر.

٣. الحميرى : الروض المعطار : ط٢ : ص٣٠٦ : مكتبة لبنان : بيروت : (١٩٨٤م) : الحسن الوزان : المصدر السابق : ج٢ : ص١٢٦.

٤. العمش : بفتح العين وكسر الميم ، وفتح الشين : ضعف بالبصر مع سيلان الدموع فى اكثر الاحيان . ابراهيم انيس واخرون المصدر السابق : ج٢ :ص٦٢٨.

٥. الادريسى : نزهة المشتاق : ج١ : ص٢٢٦.

٦. ابن حوقل : صورة الارض : ص٩٦. الحسن الوزان : المصدر السابق ج١ : ص١٢٧-١٢٨.

٧. نفس المصدرين والصفحات.

٨. تقويم البلدان : ص١٢٧.

٩. مجهول المؤلف : ص٢٠٠ ، ٢٠١ . ابن الوردى : خريدة العجائب وفريدة الغرائب : ص١٥-١٦ . المكتبة التجارية الكبرى : مصر : (بدون تاريخ).

السائر فى اسواقها نصف يوم فلا يقطعها)). وذهب المقدسى الى القول بأن [١] :((سجلماسة قصبة جليلة عليها سور من الطين ، وسطها حصن يسمى العسكر ، فيه الجامع ، ودار الامارة لها باب القبلى وباب الغربى ، وباب غدير الجزارين)). وأضاف[٢] :((أن سجلماسة كثيرةالفواكه كالاعناب ، والرمان ، وان اهلها قوم كرام فيهم العلماء والعقلاء)).

أما ابن الخطيب فقد جاء وصفه بالقول [٣] :((ان سجلماسة كورة[٤] وقاعدة مذكورة ومدينة محمودة مشكورة ، بلد تبر وأديم، معدن التمر بحكمة صاحب الخلق والامر ، البلد الذى يحار فى ساحته النجاب ، سماؤها مخضرة ذات كواكب ، ومنازلها لا تنال بهوان ، سوائمها الفة للسمن موجودة بنذر الثمن ، وسورها حصين مشيد وجسرها يعجز عن مثله معتصم رشيد ، أم البلدان المجاورة لحدود السودان ، تقصدها بالتبر القوافل ، الرفاهية بها فاشية ، المطر معدود من الكروب ، لبناء جدرانها من الطوب)).

أوضحت الدراسة أن البربر أمة قديمة سكنت أرض المغرب ، فى الجبال والصحارى والكهوف ، حيث عاشوا حياة بدوية قبلية ، سكنوا الخيام ، وامتهنوا حرفة الرعى ، وقام معاشهم على الحرب والسلب[٥] . ومرت المنطقة بمرحلة من الفوضى السياسية وقد صاحب ذلك اضطرابا فى العقيدة ، فكانوا على اديان مختلفة يدين كل واحد منهم بما شاء من الاديان الفاسدة ، فعند ظهور المسيحية سنة (٥٧٦م) نجح البزنطيون[٦] فى تحويل عقيدة الكثيرين

---

١. أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم : ص٢٢١.

٢. المصدر نفسه والصفحة.

٣. مشاهدات ابن الخطيب فى بلاد المغرب والاندلس : ص١٨٠-١٨١: مطبعة جامعة الاسكندرية : الاسكندرية : سنة (١٩٥٨م).

٤. الكورة : كل منطقة تشتمل على قرى ومساكن ولابد لهذه القرى من قصبة أو مدينة.ياقوت: معجم البلدان :ج١ :ص٢٦ .

٥. ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص١٧٥-١٧٦.

٦. كانت بلاد المغرب تخضع للادارة البيزنطية ، وكانت عبارة عن مزيعة تحكمهم بالغلال ، فقد ولى عليها الامبراطور البيزنطى حاكما واعطاه مطلق السلطات . فقسم البلاد الى سبع مناطق يساعده فى ادارتها موظفون لتحصيل الضرائب .

السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ المسلمين واثارهم فى الاندلس : ص٢٢-٢٣.

منهم الى المسيحية ، خاصة البربر المستقرين فى المناطق والمدن الساحلية (١) . بينما انتشرت الديانة اليهودية داخل البلاد ، حيث وجد اليهود تجارا ومرابين ، وقد اشتهرت مدن كثيرة منها سجلماسة بكثرة اليهود(٢) . اما الوثنية أو عبادة الكائنات والظواهر الطبيعية فقد كانت منتشرة بين غالبية السكان(٣). ولكن أغلب الظن أن هذه الديانات والمعتقدات كانت فى الواقع منتشرة انتشارا سطحيا ، فالشعب البربرى لم يناضل خلف كنيسة ، ولعل هذا يفسر السرعة المذهله فى اقبالهم على الاسلام والترحيب به .

بدأ الاسلام يدخل المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية منذ بدايات الربع الثانى من القرن الاول الهجرى(٤) . حيث كان حملة لواء الفتح الاسلامى على خلق قويم وايمان بالاسلام عميق ، فلم يكرهوا المغلوبين على اعتناق الاسلام بالسيف ، انما رفعوا شعار الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة(٥) . فقد اختلف المسلمون الفاتحون عن سابقيهم من الغزاة الذين اضطهدوا البربر وجعلوهم عبيدا ، ونهبوا خيرات بلادهم فاحس البربر لاول مرة فى تاريخهم وفى ظل الاسلام أنهم سادة . وليسوا عبيدا . ونتيجة لهذه المعاملة الكريمة اقبل معظم شعوب البربر على الاسلام بايمان تام ويقين راسخ (٦) .

من المعلوم عند منتصف القرن الهجرى الاول تدرج المسلمون فى داخل الصحراء الغربية، حتى وصل عقبة بن نافع الى بلاد السوس بأقصى المغرب ، غزا فيها المغرب من أدناه الى اقصاه ، فكان أول قائد اسلامى تطأ أقدامه هذه المناطق ، يؤكد إبن عزارى ذلك

---

١. السلاوى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى : ج١ : ص٥٩.

عبدالباقى محمد احمد كبير : المرابطون ودورهم فى نشر الاسلام فى غرب افريقية : ص٨. رسالة (ماجستير) جامعة الازهر : كلية الاداب : (١٩٨٤م).

٢. حسن على حسن : تاريخ المغرب -عصر الولاة : ص٢٩٩.

٣. أحمد شلبى : التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية : ج٢ : ص١٩١ : مكتبة النهضة المصرية : القاهرة : (١٩٧٨م).

٤. أحمد الياس حسين : العلاقات بين المغرب وغانة : ص١٧٣ - ١٧٤.

٥. صابر محمد دياب : بلاد المغرب فى القرن الاول الهجرى : ص١٢٥.

٦. أحمد توفيق المدنى : كتاب الجزائر : ط٢ : ص٢٢. دار المعارف : الجزائر : (١٩٦٤م).

بقوله (١) :((لم يدخل المغرب الاقصى أحد من ولاة بنى امية بالمشرق الا عقبة بن نافع الفهرى)). خاض عقبة معارك عنيفة مع قبائل البربر ، فقد الجانبان كثيرا من الرجال (٢). ولكن استطاع عقبة أن يدخل جزءا كبيرا منهم فى الاسلام خاصة الذين جاءوه طوعا . فترك بعض اصحابه يعلموهم القرآن الكريم وشرائع الاسلام فأنتشر الإسلام وبدأ يصارع الوثنية المستحكمة فى المغرب(٣). ثم تقدم عقبة نحو الجنوب وتوغل فى الصحراء حتى وصل منطقة سجلماسة ، سنة (٦٢هـ / ٦٨١م) (٤). وكانت المنطقة حتى وصول عقبة لم تكن قد عرفت الاسلام بعد – فغالبا أن الاسلام دخل هذه المنطقة على يد عقبة إبن نافع الفهرى.

فى نهاية القرن الاول الهجرى ساد الاسلام المغربين الادنى والاوسط ، مغيرا نمط الحياة الاجتماعية والسياسية التى أوشكت على الانهيار(٥) . جاء موسى بن نصير خلفا لعقبة بن نافع وواصل فتوحاته فى المغرب الاقصى فسبى عدد كبيرا منهم ، وإدوا اليه فروض الطاعة(٦) ، يقول ابن عزارى(٧) فى سبى موسى :((لم يسمع قط بمثل سبايا موسى بن نصير فى الاسلام)). ثم انتهت خيله الى مناطق سجلماسة . وفتح سجلماسة مرة اخرى عام (٨٩هـ/٧٠٨م)(٨).

فتح سجلماسة مرة أخرى يؤكد ما ذهب اليه ابن خلدون ان البربر لم يستقر اسلامهم بعد

---

١. البيان المغرب فى اخبار المغرب : ج١ :ص٣٧.

٢.البلاذرى : فتوح البلدان : ص٢٢٠.

٣. ابن عزارى : البيان المغرب فى اخبار المغرب : ج١ : ص٣٧.

٤. ابن خلدون : العبر : ج٦ :ص٢١٧.

سعد زغلول عبدالحميد: تاريخ المغرب العربى:ج١ : ص٢٠٠ : منشأة المعارف الإسكندرية: (١٩٧٩م). انظر الملحق الرابع:ص:١٦٦.

٥. أحمد الياس حسين : العلاقات بين غانة والمغرب : ص١٧٤.

عبدالباقى محمد احمد كبير : المرابطون ودورهم فى نشر الإسلام فى غرب افريقية : ص٨.

٦. البلاذرى : فتوح البلدان : ص٢٢٢ ـ ٢٢٣.

٧. البيان المغرب فى اخبار المغرب : ج١ : ص٣٨.

٨ـ محمود اسماعيل عبدالرازق : دعوة الخوارج فى بلاد المغرب : ص٧٠ .

وانهم ارتدوا كثيرا حتى جاء موسى بن نصير ورسخ الاسلام فى قلوبهم ، يقول[١]:((إن البربر ارتدوا اثنتى عشر مرة ولم يستقر اسلامهم حتى أجاز طارق بن زياد وموسى بن نصير الى الاندلس ومعهما كثير من رجالات البربر برسم الجهاد ، فحينئذ استقر الاسلام بالمغرب واذعن البربر لحكم موسى بن نصير ، ورسخت فيهم كلمة الاسلام وتناسوا الردة)).

يمكن القول أن الدعوة الاسلامية أخذت مكانها الطبيعى فى بلاد المغرب ، وذلك بفضل الجهود التى بذلها المسلمون ، الذين اذا ما فتحوا بلدا اتبعوا جيشها بجيش من الدعاة المخلصين وبفضل هؤلاء الدعاة خرج شعب البربر من العزلة التى كانت مفروضة عليه ، ومن عبادة الاوثان والمعتقدات الفاسدة الى عبادة رب العباد ، كما تخلص البربرى من النظرة القبلية الضيقة وراح يمتزج فى جسم الدولة الاسلامية ، هذا فضلا عن أن للاسلام القدح المعلى فى رفع الظلم عن كاهل اهل المغرب برد حقوقهم المسلوبة ، ووضع المساواة فى الحق عند التقاضى بين المسلمين وغيرهم .

نخلص من ذلك أن المصادر التاريخية والجغرافية أكدت أن منطقة سجلماسة قبيل الفتح الاسلامى ، كانت تعيش فى عزلة تامة واضطراب فى العقيدة ، شأنها شأن البلاد المغربية الاخرى . ولكن بفضل جهود المسلمين استقر الاسلام فى سجلماسة فى موجة الفتح الاولى بقيادة عقبة بن نافع الفهرى سنة (٦٢هـ/٦٨١م) ، والموجة الثانية بقيادة موسى بن نصير سنة (٨٩هـ/٧٠٨م).والتى تعد الفتح الحقيقى لسجلماسة فقد قبض موسى على السلطة بيد من حديد وضبط الشئون واستصلح الاحوال ، فاصبحت المنطقة تعيش فى امن واستقرار.

. إختلفت الروايات التأريخية والجغرافية حول مؤسس مدينة سجلماسة ، فالحسن الوزان يقول[٢] :((مؤسس هذه المدينة هو قائد رومانى ذهب من موريتانيا فأحتل نوميديا بأسرها ، ثم زحف غربا حتى ماسة فأسس المدينة وسماها سجلوم ماسة[٣]. فتحول الاسم الى سجلماسة)).

---

١. العبر : ج٦ : ص٢٢.

٢. وصف أفريقية : ج٢ : ص١٢٧.

٣. لم توضح المصادر المتاحة أن سجلماسة كانت تعرف باسم سجلوم وماسة ثم حرفت . الا أن الشناوى واخرون ذكروا ان سجلماسة كانت تعرف باسم سجل وماسة ثم حرفت . أنظر : دائرة المعارف الإسلامية : ج١١ : ص٢٩٨.

غير أنه عاد وذكر أن[١] :((المدينة فى الواقع أسسها الاسكندر الاكبر (ذوالقرنين) لتكون موطنا للمرضى والعاجزين من جنوده)).

وذهب السلاوى الى القول[٢] :((أن جماعة من الصفرية فى جنوب المغرب الاقصى التفوا حول زعيم أسود يدعى عيسى بن يزيد وبايعوه اماما واستقلوا بمنطقة جنوب المغرب الاقصى ، واسسوا مدينة سجلماسة)).

بينما زعم صاحب كتاب الاستبصار واخرون ان[٣]:((مؤسس سجلماسة هو مدرار ابن عبدالله [٤] ، وكان مدرار هذا صاحب ماشية ينتجع مواضع سجلماسة ، وكان الموضع سوقا يجتمع فيه بربر تلك الناحية ، فاجتمع اليه قوم من الصفرية فلما بلغوا اربعين رجلا قدموه اماما وشرعوا فى بناء المدينة)). والراجح أن مؤسس مدينة سجلماسة هو أحد شيوخ مكناسة[٥]

---

١. الحسن الوزان : وصف افريقية : ج٢ : ص١٢٧.

٢. الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى : ج١ : ص١١٠-١١١.

٣. مجهول المؤلف : ص١٢٠ . الحميرى : الروض المعطار : ص٣٠٥-٣٠٦.

ابن حيون : رسالة إفتتاح الدعوة : ط١ : ص١٢٨: دار الثقافة : بيروت : (١٩٧٠م).

٤. مدرار بن عبدالله كان رجلا من اهل الحديث لقى عكرمة مولى ابن عباس (رضى الله عنهما) وسمع منه . مجهول المؤلف : الاستبصار : ص١٢٠ .

٥. مكناسة : جاء فى اخبار ابن خلدون ان لورصطف بن يحى ثلاثة من البطون هى : مكناسة ، وورتناجة ، واوكتة . ولمكناسة بطون كثيرة منها : صولات ، وبنوحوات ، وبنوورفلاس ، وبنوويدولى ، وقنصارة ، وورنيفة ، ووريفلتة . كانت مواطن مكناسة على وادى ملوية من اعلى سجلماسة الى مصبه فى البحر ، وكانت رئاستهم فى بنى ابن ابى يزول واسمه مجدول بن فراديس ابن ونيف بن مكناس . ثم اجاز منهم العدوة عند الفتح الاسلامى امم وانقسمت قبائل مكناسة تبعا لذلك ، وصارت رئاسة مكناسة فى مواطن سجلماسة من بنى واسول بن مصلان بن ابى يزول ، واسسوا لهم دولة وسلطان .

ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص٢٦٥-٢٦٧ . ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ : ط١ : ج١ : ص ١٤٩. دار السلمى : الدار البيضاء : (١٩٦٥م).

يدعى أبو القاسم سمكو بن واسول المكناس الصفرى (١).

اتفقت الروايات على أن سنة تأسيسها كان عام (١٤٠هـ/٧٥٧م) على أيدى قبيلة مكناسة الصفرية وقد شيدت على مسيرة مائتين ميل جنوب شرق فأس ، على تخوم الصحراء ، على الشاطىء الايسر لوادى زيز (٢). واصبحت سجلماسة المستحدثة هى العاصمة ، وقدر حجمها وما يتبعها خارج الاسوار بخمسة أيام فى ثلاثة (٣). وبدأت تنمو سريعا بفضل استقرارها السياسى ونشاطها التجارى . واصبحت بحق اهم مدينة فى جنوب المغرب ، وعاشت فى تفاعل مستمر مع محيطها السياسى والاقتصادى متحدية كل الظروف التى واجهتها .

---

١. ذكرت الروايات التاريخية ان ابو القاسم سمكو كان من انصار ميسرة السقاء ، وميسرة هذا اخذ العلم من عكرمة مولى بن عباس (رضى الله عنهما) حتى اصبح من علماء البربر ثم استجاب لآراء الخوارج حين وجدها ملائمة لتوجهاته . ترك ابو القاسم القيروان واتجه الى احدى واحات الصحراء المغربية الجنوبية واسس هناك امارة صفرية مستقلا الاوضاع السياسية التى كانت بالمغرب .

ابن خلدون : العبر : ص٢٢٩. ابن عذارى : البيان المغرب : ج١ : ص٥٢. الجنحانى : المغرب الاسلامى : ص١٤٨.

٢. البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص١٤٨.

٣. ابن خلدون : المصدر السابق : ص٢٦٧.

الفصل الأول:-

الحياة السياسية :-

١- الأحوال العامة فى المغرب قبيل ظهور الخوارج.

٢- ظهور الخوارج وقيام إمامة بنى واسول الصفرية.

٣- أئمة بنى واسول وسياستهم الداخلية.

٤- سياسة أئمة بنى واسول الخارجية.

١- الاحوال العامة فى المغرب قبيل ظهور الخوارج:[١]

من الملاحظ ان الفتح الاسلامى لبلاد المغرب كان عسيرا وبطيئا ,على عكس انتشار الاسلام الذى كان سريعا فى المشرق ، حيث توالى المسلمون الفاتحون على بلاد المغرب باطباق الهداية والنور[٢]. ففى ايام عمرو بن العاص كان اول لقاء وصدام بين البربر والمسلمين وبدات بعده المعاملة الطيبة عندما فرض عمرو بن العاص على البربر بعد انتصاره عليهم ضريبة مناسبة كانوا يدفعونها عن طيب خاطر قبل ان يأتيهم جابى الخراج [٣].

يؤكد ابن عبدالحكم ذلك حيث يقول[٤] :((كانوا يبعثون بالجزية اذا جاء وقتها)). ثم كان العقد السابع من القرن الاول الهجرى حيث استمرت العلاقات على احسن حال فى ايام عقبة بن نافع الذى نجح فى نشر الاسلام وكسب كثير من البربر وذلك استنادا على ما اورده ابن عزارى بقوله[٥] : ((ان البربر أسلموا طوعا على يديه)). عندما احسوا بان المسلمين يعاملونهم بدون تمييز أو تكبر .

---

١. الخوارج : جمع خارج : وهو الذى خلع طاعة الامام الحق واعلن عصيانه وألب عليه. والمراد طائفة من أهل الاهواء خرجوا على أمير المؤمنين على ابن ابى طالب (كرم الله وجهه) وقد كانوا من اصحابه وانصاره فى الجمل وصفين قبل التحكيم . ويطلقها فريق من المتكلمين فى اصول العقائد والديانات ويقصدون بها الخروج من الدين استنادا الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم :((ان ناسا من امتى يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية)). وقد ورد الحديث بروايات متعددة . أنظر :

ابن ابى الحديد : نهج البلاغة : ط١ : ج٤ : ص١٣٢. دار احياء الكتب العربية : (١٩٥٩م).

الشهرستانى : الملل والنحل : ط١ : ج١ : ص١٩٥ . مطبعة الازهر (١٩٥١م).

الزبيدى تاج العروس : ج٢ : ص٢١.

الذهبى : سيرة اعلام النبلاء : ط٧ : ج٥ : ص٢١ : مؤسسة الرسالة : بيروت : (١٩٩٠م).

٢. محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير : ج١ : ص٤٥٣.

٣. ابن عزارى : البيان المغرب : ج١ : ص٨.

٤. فتوح افريقية والاندلس : ص٢.

٥. البيان المغرب فى اخبار المغرب : ج١ :ص٤٨.

فكانت من نتائج فتوحات عقبة بن نافع ان ثبت سلطان المسلمين، فى المناطق الصحرواية، ومن ثم انتشر الاسلام بين قبائل البربر[١].

أما عبدالله بن سعد فقد استطاع ان يكسب البربر الذين رحبوا بالمسلمين ،وعقدوا الصلح معهم ،بل أبدوا إستعدادهم لقبول الإسلام[٢]. ثم تطورت العلاقات بين المسلمين والبربر دون أن يظهر ما يعكر صفوها . وهكذا استمر الإسلام فى انتشاره بفضل جهود هؤلاء الولاة ومن خلفهم البربر الذين أسلموا وحسن أسلامهم [٣]، الى ان جاء ابوالمهاجر دينار ،الذى استطاع إدخال الكثير من البربر فى الاسلام ، وذلك بفضل السياسة الرشيدة التى سار عليها ،فابن عزارى يورد وصفا لعمل ابوالمهاجر فيقول[٤]:((علم اهل البلاد الحلال والحرام، وبعث معه الخليفة عمر عشرة من التابعين من اهل العلم والفضل ... وكانت الخمر حلالا حتى وصل هؤلاء التابعين فبينوا تحريمها)).

نجح ابوالمهاجر فى توسيع رقعة الدولة الإسلامية فى بلاد المغرب ،وازداد عدد المسلمين بفضل جهوده ودخل زعماء البربرفى الإسلام ،ومن ثم دخلت قبائلهم بالتبعية[٥]. وفى أيام حسان بن النعمان وبعد إنتصاره على الكاهنة، سعى لنشر الاسلام بين البربر بإرسال عددا من الفقهاء والدعاة الى سائر البلاد المغربية، ونتيجة لذلك حسن إسلامهم ،حتى صار معظم جند المسلمين من البربر ، كما اتبع حسان سياسة المساواة بين جند المسلمين والبربر بان قسم

---

١. النويرى : نهاية الأرب فى فنون الادب : ج٢٢ : ورقة ٥. (مخطوط) بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩.

عبدالرحمن حسب الله : جماعات الخوارج فى بلاد المغرب : ص٢٩ .(رسالة دكتوراة) : جامعة عين شمس .: كلية البنات : قسم التاريخ الإسلامى : [١٩٨٩م].

٢. ابراهيم العدوى : بلاد الجزائر : ص٧٢.

٣. ابن عزارى : البيان المغرب : ج١ : ص٤٨.

٤. المصدر نفسه والصفحة .

٥. عبدالرحمن حسب الله : المرجع السابق : ص٢٧-٢٨.

الفيء والاراضي بالمساواة التامة[١]. ونتيجة لهذة المعاملة الكريمة من الولاة بدأت اعداد البربر تزداد إقبالا على الاسلام[٢] . وقد كان الخليفة عمر بن عبدالعزيز موفقا في اختياره لاسماعيل ابن عبدالله بن ابي المهاجر واليا على المغرب ، حيث كان اسماعيل خير وال ، بذل جهودا مقدرة في دعوة البربر للاسلام واجتهد كثيرا في حملهم على التعاليم الإسلامية[٣].

بجهود هؤلاء الولاة انتشر الاسلام في ربوع بلاد المغرب حتى ان الروايات بالغت في القول :((بانه لم يبقى منهم احدا الا وقد اسلم))[٤]. فقد كان البربر يتطلعون للمساوة التي نادى بها الاسلام، ووجدوها في معاملة الولاة الكريمة لهم حتى تحولوا الى جماعة اسلامية رأوا في الاسلام الرحمة ، والعدل ،والمساواة والشورى . فتفتحت له قلوبهم واختلطوا با لعرب المسلمين فكونوا مجتمعا واحدا هو مزيج من العرب المسلمين والبربر[٥]. وساهموا بجهود مقدرة مع اخوانهم العرب المسلمين في نشر الاسلام[٦] .

---

١. ابن عزارى : البيان المغرب : ج١ : ص٣٨ . السلاوى : الاستقصا : ج١ : ص٩٤.

المالكى : رياض النفوس : ج١ : ص٣٦. دار الغرب : بيروت : (١٩٨٣م).

٢. السلاوى : المصدر السابق والصفحة .

٣. ابن عزارى : المصدر السابق : ج١ : ص٤٥.

٤. ابن عبدالحكم : فتوح افريقية والاندلس : ص٨٧.

الرقيق : تاريخ افريقية والمغرب : ص٩٧. مطبعة الوسط : تونس (بدون تاريخ).

ابن خلدون : العبر : ج٤ : ص١٨٨.

٥. محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير : ج١ : ص٤٥٣.

٦. النويرى : نهاية الارب فى فنون الادب : ج٢٢ : ورقة ٥.

٢- ظهور الخوارج وقيام امامة[١] بنى واسول الصفرية :-

ترجع نشأة الخوارج بالمشرق عقب استشهاد سيدنا عثمان بن عفان (رضى الله عنه). فحادثة استشهاده اثارت العديد من القضايا . فبينما بايع الصحابة عليا (كرم الله وجهه) راى معاوية تعجيل الاقتصاص من قتلة سيدنا عثمان(رضى الله عنه)[٢]. فيبدو ان هذة هى بداية الخلاف بين المسلمين وتفرقهم وانقسامهم [٣].

قام الصراع بين على بن ابى طالب (كرم الله وجهه) ومعاوية واقتتلا فى وا قعة صفين المشهورة[٤] حيث أوشك أن ينهزم جيش معاوية ، لولا الحيلة التى توصل بها عمرو ابن العاص لإنقاذ الموقف المحرج عندما أشار الى معاوية برفع المصاحف على أسنة الرماح، مطالبين ان يكون كتاب الله هو الحكم فيما نشب بينهم من خلاف[٥] الا ان سيدنا على ابن ابى طالب رفض فى بادئ الامر وقال لاصحابه :(انما هذه مكيدة ووهن ، انهم لو قصدوا الى

١- الامامة : بالكسر : عند المتكلمين هى خلافة الرسول صلى الله عليه وسلم فى إقامة الدين وحفظ حوزة الاسلام ، بحيث يجب اتباعه على كافة الامة والذى هو خليفته يسمى اماما ، بينما قال اخرون : انها رئاسة عامة فى امور الدين لشخص من الاشخاص ، وهناك شروط فيها اتفاق بالاجماع واخرى فيها اختلاف فى الشخص الذى يتولى الامامة.لمزيد من التفاصيل راجع:

الشيخ المولوى محمد أعلى التهانوى : موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية : ج١ : ص٩٢. منشورات شركة خياط : بيروت : (بدون تاريخ).

الشيخ احمد رضا : معجم متن اللغة : ج١ : ص ٢٠٦ . منشورات مكتبة الحياة : بيروت : (١٩٥٨م).

٢- الرازى : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : ص١٩.

٣- خالد محمد صالح : الكشاف الفريد : ج١ : ص٨٦.

٤- الشهرستانى : الملل والنحل : ج٢ : ص٣٤.

٥- عمر ابو النصر : الخوارج فى الاسلام : ص١٥ - ١٦. منشورات عمر ابو النصر للتاليف : بيروت : (١٩٧٠م).

تحكيم المصاحف لاتوني وسألوني التحكيم).[١] الا ان عددا كبيرا من اصحابه اصر على التحكيم ، فقبل التحكيم مكرها كوسيلة لرأب الصدع[٢].

على العموم يكاد يجمع المؤرخين القدامى والمحدثين على أن النتيجة المباشرة لموقعة صفين هى ظهور فرقة الخوارج[٣] كأول حزب سياسى يتكون فى تاريخ الاسلام . فيبدو أن قبول التحكيم كانت صدمة عنيفة لاصحاب على (كرم الله وجهه) فقد فهموا التحكيم على انه ابتعاد صريح عن كتاب الله وان الخليفة الذى بايعوه بيعة صحيحة رضى بهـذا التحكيم وأقره[٤]. فرأوا ضرورة اعتزال هذا المجتمع والجهاد من أجل الا يكون هناك الا حكم لله [٥].

فاتسمت حركتهم منذ بدايتها بالعنف وحكموا على المجتمع بالكفر والضلال[٦]. ومع ذلك حاول سيدنا على (كرم الله وجهه) ردهم الى الجماعة عن طريق النقاش والاقناع فأستجاب العديد منهم والبقية الاخرى لجت فى طغيانها وابت الا الحرب[٧]. ومن ثم انسحبت الى

---

١. ابن ابى الحديد : نهج البلاغة : ج٢ : ص٢١٢.

٢. القلشقندى : صبح الاعشى : ط١ : ج١٢ : ص٢٢٢. مطابع كوستاتسوماس : القاهرة : (١٩٦٣م).

٣. الدراسة مع قبولها لهذا الربط التاريخى بين ظهور هذا الحزب وحادثة صفين ، الا انها تميل الى ما ذهب اليه بعض المؤرخين بالقول : وهو استبعاد ان يكون هذا الحزب الخارجى قد تكون دفعة واحدة كحزب سياسى فلاشك ان هناك اسباب كانت مختمرة فى رؤوس فئة من المسلمين قبل هذه الحادثة وتضافرت معها ، فاستغلتها تلك الفئة الحانقة لتكوين كيان سياسى عقائدى معارض. راجع :

الامام أبو زهرة : المذاهب الاسلامية : ص١٠٢ : مطبعة الحلمية الجديدة : مصر .

عرفات عبدالحميد : دراسات فى الفرق والعقائد الاسلامية : ط١ : ص٩٠ - ٩٢. مؤسسة الرسالة : بيروت : (١٩٨٤م).

٤. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام : ط٧ : ج١ : ص٢٧٦ - ٢٧٧.

٥. ابن خلدون : العبر : ج٢ : ص٢٠٢.

٦. حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق والصفحات .

٧. ابن خلدون : المصدر السابق والصفحة .

قرية حروراء[١]، وبايعوا هناك عبدالله بن وهب الراسبى ، وأخذت هذه الجماعة تزداد بخروج كثير من اتباع على بن ابى طالب وانضمامهم الى جيش الراسبى[٢].

دخل الخوارج فى صراع مع على بن ابى طالب فى السنتين الاخيرتين من حكمه واستطاع هزيمتهم فى النهروان سنة (٣٩هـ/٦٥٩م) وتواصل خروجهم الا انه كان يبطش بهم، واخيرا دبروا مؤامرة واغتالوه[٣] . ثم اصبحوا مصدر فتن خطيرة للدولة الاموية وذلك لامتزاج عقيدتهم بالسياسة ، فدخلوا فى صراع طويل المدى مع الامويين ، واثاروا القلاقل ، الا ان معاوية أضعف شوكتهم بالبطش والتنكيل والإبادة [٤].

اما عبدالملك بن مروان فقد امتاز عهده بكثرة حروبه مع هؤلاء الخوارج وقد اظهروا ضروبا من الشجاعة والبسالة فى القتال الا ان كثرة خلافاتهم كانت وراء هزائمهم [٥]. وفى عهد الوليد بن عبدالملك اوكل امر الخوارج للحجاج الذى ضرب اعناقهم [٦]. كما بطش عمال سليمان بن عبدالملك بمن ثار فى خلافته من الخوارج[٧] .

اما الخليفة عمر بن عبدالعزيز سلك معهم مسلك اللين والمقارعة بالحجة ، فجرت

---

١. حروراء : موضع بظاهر الكوفة نسبت اليه الحرورية من الخوارج وبها كان اول تحكيمهم واجتماعهم . راجع:

الاشعرى : مقالات الاسلاميين : ط٢ : ج١ : ص١٦٧ ـ ١٦٨. مكتبة النهضة : القاهرة : (١٩٦٩م) . تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد.

٢. ابن خلدون : العبر : ج٢ : ص٢٠٢.

الاشعرى : المصدر السابق : ج١ : ص٢٠٦ ـ ٢٠٧.

٣. الشناوى واخرون : دائرة المعارف الاسلامية : ج٨ : ص٤٦.

٤. أبو زهرة : المذاهب الاسلامية : ص١٠٩.

٥. المرجع نفسه والصفحات.

٦. المرجع نفسه : ص١١٢ ـ 115.

٧. المرجع نفسه والصفحات.

المناظرات بين الطرفين مما أدى الى التخفيف من حدة الخوارج فى عهده . ثم ثاروا فى عهد يزيد بن عبدالملك الا ان انقسامهم المبكر مع افتقارهم للتنظيم السرى الذى ينظم شئونهم ساعد فى هزائمهم المتلاحقة(١).

مهما يكن من امر فقد قضوا زهاء الخمسين سنة فى القتال ، كلفوا الخلافة الاموية الكثير من الارواح والاموال ، وكانوا من اهم عوامل زوال الدولة الاموية(٢).

جاءت الدولة العباسية فضربت الخوارج بيد من حديد وإبعدتهم من العراق ، وما جاوره، فتفرقوا ايدى سبأ فى الامصار الاسلامية الاخرى كالجزيرة العربية ، وعمان ، وفارس ، واليمن ، وبلاد المغرب(٣).

اما بالنسبة للاوضاع فى بلاد المغرب فبانتهاء خلافة عمر بن عبدالعزيز انتهى عهد الحرية والمساواة ، وبدأ ولاة المغرب يستبدون بالحكم ، فظهرت المظالم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية(٤) . وفيما يقابل ذلك ظهرت الملامح الاولى للحركات الثورية فى بلاد المغرب .

وقد سعى الخوارج فى توحيد صفوف انصارهم مع اختلاف قبائلهم ، وابتعاد مواطنهم ضد ظلم الولاة(٥).

---

١. ابو زهرة : المذاهب الاسلامية : ص ١١٢ - ١١٥.

٢. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام : ج٢ : ص٢.

٣. الاشعرى : مقالات الاسلاميين : ج١ : ص٢٠٧.

٤. ابن عزارى : البيان المغرب : ج١ : ص٥١ - ٥٢.

الرقيق القيروانى : تاريخ افريقية والمغرب : ص١٠٩.

٥. النويرى : نهاية الارب فى فنون الادب : ج٢٢ : ورقة ١٥.

سليمان داود يوسف : مجهودات الدولة الرستمية فى نشر الحضارة الاسلامية وتركيزها : مقال بمجلة الاصالة : العددان : ٤٩ - ٥٠ : ص٨٤.

على العموم كان الخوارج الصفرية يتطلعون للقيادة وكانت الفرصة مواتية لحمل السلاح والعصيان . وقد تهيأت لهم الفرص للقيام بعدة ثورات ، إستطاعوا من خلالها تحقيق الانتصارات المتلاحقة على جيوش الخلافة المدججة بالعدة والعتاد[١] ، مما اعطى انذارا لاشعال الثورات في كل بلاد المغرب من طرابلس وحتى الاندلس كما اعطت مؤشرات بانتصار المذهب الخارجي بشكل ستكون له اثاره الدائمة في البلاد .

هذه الثورات المنتصرة تستبعد أن تكون عنصرية بربرية ضد عنصرية عربية ، او يكون هدفها تجريد الامويين من ملكهم أو منافستهم . انما كانت ثورات ضد معاملة ابعد ما تكون عن المبادىء الاسلامية التي امنوا بها ايمانا عميقا منذ بداية القرن الثاني للهجرة . فكل ما يسعون اليه هو أن يعيشوا في ديارهم احرارا اعزاء . تطبق فيهم احكام الله كما امر بدون تعصب او تميز.

استمرت تلك الثورات قرابة نصف قرن تمخضت عنها نتائج كان لها الاثر الاكبر في تاريخ المغرب ، وفي انتشار المذاهب الخارجية . فاصبح المغرب كله ثائرا ، وصار موقف الجيوش العربية محرجا فبعد أن كانت تخرج للغزو والفتح اصبحت تخرج لصد هجوم الخوارج.

---

١. اولى هذه الثورات كانت ثورة ميسرة المطغرى (١٢٢هـ/٧٤٠م) . من قبيلة مطغرة البترية ، من اتباع عكرمة مولى ابن عباس (رضى الله عنهما) اخذ العلم حتى اصبح من علماء البربر ، اعتنق المذهب الصفرى حين وجده يتفق مع ارائه حتى صار مقدما في المذهب الصفرى .

ثانيها: ثورة خالد بن عبدالحميد الزناتي (١٢٣هـ / ٧٤١م).

ثالثها : ثورة عكاشة بن ايوب النفزاوي وعبدالواحد بن يزيد الهوارى (١٢٤هـ/٧٤٢م).

رابعها : ثورة قبائل ورفجومة واستيلائها على القيروان (١٤٠هـ/٧٥٧م) . لمزيد من التفاصيل حول هذه الثورات ونتائجها راجع :

ابن عذارى : البيان المغرب :ج١ : ص٣٨ ـ ٦٢ .

ابن خلدون : العبر : ج١ : ص٢٢٢ ، وج٤ : ص٥٠٤ . وج٦ : ص٢٢١ .

ابن الاثير : الكامل : ج٢ : ص٢٢٢ ، وج٥ : ص١٩٣.

أما الخلافة الاموية فبدأت تلفظ انفاسها الاخيرة ، فاضطرب حبل الامن فى بلاد المغرب ، وتعاقب عليها الولاة دون ان يتمكنوا من ضبط الامور[١]. وظل الامر كذلك الى ما بعد سقوط الدولة الاموية وطرفا من الخلافة العباسية [٢].

أستغل البربر هذه الظروف وقاموا باقتطاع اجزاء من املاك الخلافة وكونوا دولا مستقلة عن سلطانها [٣] واصبحت خريطة البلاد السياسية تضم اربع دول هى :-

أولا :-

دولة الاغالبة فى تونس [٤].

ثانيا :-

الدولة الرستمية فى المغرب الاوسط من البلاد الجزائرية [٥].

ثالثا :-

امامة بنى واسول الصفرية على صحراء المغرب الجنوبية.

١- احسان حقى : المغرب العربى : ص٢٣ ، دار اليقظة العربية للتاليف والنشر.

٢- المرجع نفسه والصفحة .

٣- السلاوى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى : ج١ : ص٥٥.

٤- دولة الاغالبة : اسسها ابراهيم بن الاغلب التميمى بأمر من الخليفة العباسى هرون الرشيد سنة (١٨٤هـ) ، وكان ابن الاغلب فقيها ، اديبا ، شاعرا ، ذا راى ونجدة ، وبأس ، وعلم بالحروب . لم يول افريقية احسن سيرة منه ، اطاعته قبائل البربر واستقامت له افريقية .

ابن عزارى : البيان المغرب : ج١ : ص١١٦.

٥- الدولة الرستمية : اسسها عبدالرحمن بن رستم الفارسى الأصل ، وصار اول امام لهذه الدولة فى اقليم عدد الخوارج فيه كبيرا وبايعته اباضية تلك الناحية.

ابن عزارى : المصدر السابق : ج١ : ص٢٧٨.

رابعا :

دولة الادارسة فى المغرب الاقصى من منطقة فاس (١) .

رغما عن استقلال هذه الدول إلا أن الاوضاع السياسية فى كل منها كانت رهينة بأوضاع الاخرى(٢). كما ظلت الخلافة رغم ضعفها تتدخل فى شئون هذه الدول المستقلة بصفتها صاحبة السلطة الشرعية لكل البلاد المغربية(٣).

كيفما كان الامر انتهزت جماعة من بربر مكناسة(٤) ضعف الخلافة وبعدها عن القيروان، هذا فضلا عن الصراعات المذهبية والعصبية والانقسامات بين افراد الاسر الحاكمة ليستقلوا بناحية جنوب المغرب ويكونوا دولة مستقلة(٥). قامت على اكتاف بربر مكناسة ، وشاركتهم بعض القبائل البربرية(٦).

---

١. دولة الادارسة : قامت هذه الدولة فى بلاد المغرب الاقصى عام (١٧٢هـ /٧٨٨م) . بعد ان اجتمعت قبائل البربر على ادريس ابن عبدالله العلوى وبايعته وقدمته على نفسها طاعية مختارة ، وقد كان ادريس رجلا فاضلا ، عادلا ، محبا لاعمال الخير .

ابن عزارى : البيان المغرب : ج١ : ص٢٩٩ .

حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والاندلس : ص١٨.

٢. سعد زغلول عبدالحميد : تاريخ المغرب العربى : ج٢ : ص٤٨٢.

حسن أبراهيم حسن : انتشار الاسلام فى القارة الافريقية : ص١٧.

٣. نفس المرجعين والصفحات .

٤. كان اهالى مواطن سجلماسة من بربر مكناسة يدينون بدين الخوارج الصفرية لقنوه عن ائمتهم حين لحقوا بالمغرب فاستقل بربر مكناسة ثورة ميسرة المطغرى على حكم الولاة الجائر فى المغرب ونقضوا طاعتهم للخلفاء العباسيين ، ودخل سائر مكناسة من اهل تلك الناحية فى دينهم .

ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص٢٦٧.

٥. البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص١٤٨.

حسين مؤنس : فجر الاندلس : ط١ : ص١٨٦ : الشركة العربية للطباعة : القاهرة : (١٩٥٩م).

٦. من هذه القبائل : مطغرة ، وزناتة ، ونفزة ، وورفجومة .

ابن خلدون : المصدر السابق : ص٢٦٥.

سعد زغلول : المرجع السابق : ص٤١١ ، ٤١٢.

كذلك ساهم العنصر السودانى[١] كثيرا فى قيام هذه الدولة. ومما يؤكد ذلك ان الامام الاول لسجلماسة كان سودانيا ويدعى عيسى بن يزيد[٢] . كما ساهمت فى قيامها بعض العناصر العربية القادمة من المشرق ، والتى كانت على المذهب الصفرى[٣].

يمثل قيام الدولة الصفرية منعطفا جديدا فى تاريخ المغرب تميز بظهور الروح القومية والحركات الانفصالية[٤] . حيث تعد الدولة الصفرية أول دولة مغربية اسلامية نشأت فى جنوب المغرب الاقصى[٥]. لم تكن حدودها كبيرة ، لان المناطق المتاخمة لها جنوبا وشرقا كانت صحراوية لا مجال فيها للتوسع . الا أن الدولة الادريسية نافستها فى الاجزاء الغربية . فاكتفت بدولة المدينة[٦] (City Country) .

وأصبحت تعرف بامامة بنى واسول الصفرية . حيث كانت مسالمة ، وان عهودها كانت هادئة ويرجع ذلك لحسن سياسة الائمة ، وما كانت عليه البلاد من الاستقرار السياسى والرخاء الاقتصادى[٧].

إجتمع بربر مكناسة ، ومن ساهم معهم فى اقامة دولتهم الصفرية الجديدة فى تطوير سجلماسة لتكون عاصمة لدولتهم الجديدة[٨] . ولم تكن فى بادىء أمرها اكثر من قرية صغيرة

---

١. راجع : ص ٤٧ ومابعدها.

٢. ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص٢٦٥.

٣. سعد زغلول عبدالحميد : تاريخ المغرب العربى : ج٢ : ص٤١٢.

٤. احمد الياس حسين : العلاقات بين المغرب وغانة : ص٧١.

٥. السلاوى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى : ج١ : ص٥٥ وما بعدها .

محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير : ج٢ : ص٤٤٥.

٦. احمد الياس حسين : المرجع السابق : ص٩٠.

٧. محمد على دبوز : المرجع السابق : ص٢٤٥.

٨. ابن خلدون : المرجع السابق والصفحات .

الشناوى واخرون : دائرة المعارف : ج١١ : ص٢٩٨.

يجتمع فيها البربر للتجارة كما كانت اراضيها مرتعا خصبا لانتجاع الماشية[١].

أخذت المدينة تتطور وتزدهر مع مرور الايام وساعدها على ذلك أهتمام أهلها بالزراعة مستغلين المياه التى يوفرها نهر زيز طول العام ، وتشجيعهم للتجارة وذلك بفضل وقوع سجلماسة على طريق تسلكه القوافل منذ القدم ويربطها بالسودان الغربى (٢).

ببناء العاصمة أصبح للخوارج الصفرية كيان سياسى. وتحولت حياة السكان من حياة الترحال والبداوة الى المدنية التى سادها الاستقرار والازدهار .

٣ـ أئمة بنى واسول وسياستهم الداخلية [٣] :ـ

بعد أن اصبح للخوارج الصفرية دولة مستقلة وكيانا سياسيا مستقلا ، رأوا ضرورة انتخاب امام يؤمهم فى الصلاة ويقودهم للجهاد ويدير شئون البلاد[٤]. فوقع اختيارهم على عيسى بن يزيد[٥] ، فأخذت المدينة تتطور اكثر وتزدهر بفضل مجهوداته حيث بدأ فى تخطيط المدينة[٦]، فأكمل بناءها ، واحاطها بسور ، فكثر السكان ، وزاد العمران ، كما قام بتقسيم مياه نهر زيز بين السكان . وكان اهتمامه بالزراعة شديدا ، فأمر السكان بغرس أشجار النخيل

١ـ الجنحانى : المغرب الاسلامى ـ الحياة الاقتصادية والاجتماعية : ص١٥١ ـ ١٥٢.

٢ـ ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص٢٦٧ .

عن نشاط سجلماسة التجارى أنظر : الفصل الثالث : ص١٠٨ ومابعدها.

٣ـ أنظر الملحق الخامس : ص ١٦٧.

٤ـ ابن خلدون : العبر : المصدر السابق : ص٢٦٧ ـ ٢٦٨.

٥ـعيسى بن يزيد : من موالى العرب ، له مكانة كبيرة عند قومه ، لعلمه وتفقهه فى الدين ، كان يتردد على مناطق المغرب الجنوبية للانتجاع ، نزل سجلماسة عام (١٢٨هـ) واجتمع اليه جماعة من الخوارج الصفرية وتقدمهم ابوالقاسم سمكو شيخ قبيلة مكناسة مبايعا . ثم حمل قومه على مبايعته .

ابن خلدون : المصدر السابق والصفحات.

السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب : ج٢ : ص٥٨٣.

٦ـ المرجع نفسه والصفحة .

والاكثار منه ، كما قام بتنظيم شئون الدولة الادارية[١].

على الرغم من الجهود التي بذلها عيسى بن يزيد فى تنمية الحياة فى سجلماسة الا أنها لم تشفع له حيث انكرت عليه الخوارج الصفرية اشياء ، فقبضوا عليه وشدوا وثاقه الى جزع شجرة بعد أن طلوه بالعسل فقتلته الزنانير عام (١٥٥هـ) [٢] .

على أية حال لم توضح المصادر تلك الاشياء التى فعلها عيسى بن يزيد حتى يستحق الموت بهذه الطريقة القاسية. فقد تولى الرجل مقاليد الحكم بحكم انه من علماء الدين وجاء انتخابه باجماع الخوارج الصفرية وعلى حسب ما جاء فى مبادىء الخوارج التى تقول :((أن يتولى الامامة كل مؤمن غير متهم فى دينه او خلقه ، حرا كان ام عبدا ، ويستمر اماما ما دام قائما على العدل والشرع ، فأن حاد وجب عزله أو قتله مهما كان صلاحه))[٣].

فيبدو ان الخوارج فضلوا ان يكون الامام من سائر الناس ليسهل عزله أو قتله اذا خالف الشرع ، اذ لا تكون له عصبية تحميه او عشيرة تؤويه[٤] .

اجتمع الخوارج الصفرية وعقدوا البيعة على شيخهم ابوالقاسم سمكو بن واسول ، مؤسس

١- ابن الخطيب : مشاهدات ابن الخطيب فى بلاد المغرب والاندلس : ص١٢٩.

٢- ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص٢٦٧.

ابن عزارى : البيان المغرب : ج١ : ص٩٤.

٣- الناصرى : منهج المعارك لاخبار الخوارج : ورقة ٤ ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢١٤٤.

جعفر احمد بن عبدالسلام : ابانة المناهج فى نصيحة الخوارج : ورقة ١٥٤ ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩٩ ب.

الشهرستانى : الملل والنحل : ط١ : ج٢ : ص١٩٨.

٤- ابوزهرة : المذاهب الاسلامية : ص١٠٤-١٠٦.

مدينة سجلماسة ونصبوه اماما [١]. وقد كان رجلا محمود السيرة ، ورعا ، من كبار علماء الخوارج الصفرية [٢].

قام بأعمال جليلة فى فترة امامته حيث بنى السور الخارجى واحاطه باشجار النخيل ، كما قام بتنظيم النظم الادارية ، والمالية للدولة ، واستتب الامن فى عهده مما ساعد على ازدهار حركة التجارة[٣].

على العموم كانت اعماله الداخلية جليلة ووجدت قبولا من قومه [٤]. لكنه لم يستمر طويلا اذ وافته المنية فجأة ، فى اخر ذى القعدة سنة (١٦٧هـ)[٥].

ولى اهل سجلماسة مكانه ابنه الياس ولقبوه (بالوزير) [٦]. ورث الوزير دولة استقرت اركانها بفضل جهود ابيه ، فصارت سياسته الداخلية امتدادا لسياسة ابيه[٧]. الا ان اهل سجلماسة عزلوه محتجين لعدم كفاءته [٨] ولكن الراجح ما ذهب اليه ابن الخطيب[٩]: ((انه تعرض لمؤامرة دبرها اخوه اليسع الاول بمساعدة جماعة من الخوارج الصفرية)).

---

١. السلاوى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى : ج١ : ص١١.

السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير : ج٢ : ص٥٨٤.

٢. محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير : ج٣ : ص٤٤٦.

٣. ابن الخطيب : تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط : ص١٤١. دار الكتب. الدار البيضاء : تحقيق : محمد مختار العبادى ومحمد الكتانى .

٤. احسان حقى : المغرب العربى : ص٣٥.

٥. البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص١٤٩.

ابن الاثير : الكامل فى التاريخ : ج٦ : ص٨٠.

٦. القلشقندى : صبح الاعشى : ط١ : ج٥: ص١٦٥.

٧. ابن الخطيب : المصدر السابق : ص١٤٢.

٨. محمد على دبوز : المرجع السابق والصفحة .

٩. تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط : ص ١٤٢ وما بعدها .

تولى اليسع الاول مقاليد الحكم ولقب (بابى المنصور)[١]، ويعد اليسع من اعظم أئمة سجلماسة[٢]، لما عرف به من جد ونشاط فى سبيل النهوض بسجلماسة ، وتوسيع رقعتها[٣].

استطاع ابو المنصور ان يفرض هيبة الدولة ، ويتصدى لكل المشاكل المحيطة به دون خوف او وجل[٤]. فقام باصلاحات عمرانية كثيرة حيث هدم السور الذى بناه والده وشيده تشييدا حسنا[٥]. كما اختط القصور والدور وخزانات المياه ، وقسم المدينة على القبائل ، واعطى الاحوال الاقتصادية اهتمامه الاكبر[٦] ، ولم يهمل الجانب العسكرى فقد اهتم بالجيش وتدريبه حيث استغله فى تأمين الدولة ، وتأديب القبائل المناوئة[٧].

ولتوثيق علائق الصداقة مع جيرانه لجأ اليسع الى اسلوب التحالف ، حيث تحالف مع الدولة الرستمية[٨]، عن طريق زواج ابنه من كريمة عبدالرحمن بن رستم ، فكانت هذه المصاهرة رباطا قويا وثق عرى العلاقة بين الدولتين بالود والمحبة[٩].

فى عام (٢٠٨هـ) مات اليسع الاول بعد ان ازدهرت سجلماسة واصبحت تضارع مدن

---

١. ابن الخطيب : تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط : ص١٤٣.

٢. السلاوى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى : ج١ : ص١١٢.

ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ : ج١ : ص١٠٢.

٣. سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى : ج٢ : ص٤١٢.

٤. ابن الخطيب : المصدر السابق : ص١٤٢،١٤٣.

٥. الحميرى : الروض المعطار : ص٣٠٦.

٦. السلاوى : المصدر السابق والصفحة.

السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير : ج٢ : ص٥٨٤.

٧. ابن الخطيب : المصدر السابق والصفحات.

٨. عن الدولة الرستمية وعلاقتها بامامة بنى واسول الصفرية انظر ص ٥٩ وما بعدها.

٩. محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير : ج٣ : ص٤٤٦.

الشرق والغرب فى عهده . وقد ترك اعمالا جليلة كفلت لسجلماسة الامن والاستقرار [١].

تولى بعده ابنه مدرار ولقب (بالمنتصر) ، حيث استمر فى سياسة والده اليسع وشهدت البلاد فى عهده التطور والنماء فى شتى مناحى الحياة[٢]. وظل اماما على سجلماسة الى ان دب الخلاف بين ولديه[٣] ، وذلك عندما اصبح شيخا مسنا ولم يستطع ادارة دفة الحكم بالمستوى الذى كان عليه من قبل[٤]. لذلك شهدت اخريات ايامه فتنا داخلية وصراعات حادة بين ولديه اللذين طمع كل منهما فى كرسى الحكم[٥].

أغلب الظن أن مدرارا هو المسئول عن كل هذه الفتن والإضطرابات الداخلية التى وقعت فى اخريات ايامه ، وذلك حين أقدم على عزل نفسه وتولية ابنه ميمون بن الرستمية[٦] . فيبدو أنة اقدم على هذا الامر بتأثير من زوجه أروى صاحبة النفوذ والكلمة المسموعة عنده[٧].

مهما يكن من امر فقد نشب الخلاف بين الأخوين ووقف مدرار موقف المتفرج[٨]، ،حيث

---

١. ابن عزارى : البيان المغرب : ج١ : ص٢١٦.

٢. ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص١٦٩ .

القلشقندى : صبح الاعشى : ج٥ : ص١٦٥.

٣. كلاهما يعرف بميمون . فاحدهما ميمون بن اروى بنت عبدالرحمن بن رستم ، كانت قوية الشخصية حتى انها اعطت اسمها لابنها فاصبح يعرف بابن اروى . والاخر أمه تدعى بقية فعرف باسمها .

ابن عزارى : المصدر السابق والصفحة .

٤. سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى : ج٢ : ص٤١٥.

٥. احسان حقى : المغرب العربى : ص٢٥.

٦. السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير : ج٢ : ص٥٨٧.

٧. محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير : ج٣ : ص٤٤٦.

٨. ابن عزارى : المصدر السابق : ص١٣٨ .

سعد زغلول : المرجع السابق : ص٤١٦.

ظلا يقتتلان ثلاثة أعوام متصلة[١]. وفى السنة الاخيرة حسم مدرارالأمر ووقف الى جانب ابن الرستمية فبادر ابن الرستمية [٢]، بإخراج أخيه ابن البقية ونفاه خارج سجلماسة[٣]. فلم يلبث ان بادر بخلع أباه مدرار وأمر بإخراجه وزوجه أروى الى درعة[٤] .

لم تشهد فترة حكم ابن الرستمية أعمالا تستحق الذكر لأنه لم يجد مؤازرة من اهل سجلماسة فقد كان مفروضا عليهم . لم يلبث أن ساءت سيرته، فثار عليه أهل سجلماسة وخلعوه[٥]. وسعوا فى تقديم ابن بقية. إلا انه رفض ان ينازع أباه الحكم [٦]، فأعادوا مدرارا مرة أخرى إماما لسجلماسة [٧]. وتذكر الروايات أنه مازال مواليا لابن الرستمية وأنه سعى أن يعيد ه إماما مرة أخرى[٨] ، ولكن حين سمع أهل سجلماسة أنه إستدعاه فيمن أطاعه من اهل درعة ، أحاصروه فى داره وخلعوه ،وقدموا ابنه ميمون بن بقية المعروف (بالامير)[٩] . وفى

١- ابتدأت الفتنة سنة (٢٢١هـ / ٨٣٦م) واستمرت لسنة (٢٢٤هـ / ٨٣٩م).

ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص٢٦٩.

ابن عزارى : البيان المغرب : ص٢١٦.

٢- لم تذكر المصادر المتاحة سببا مقنعا أو افضلية شخصية لابن الرستمية على ابن البقية اللهم الا نفوذ والدته وقوة شخصيتها التى فرضتها على زوجها مدرار وخضع لها وذلك بخلع نفسه وتنصيب ابنها اماما دون مراعاة لنظم ومبادىء الخوارج القائمة على الإنتخاب الحر : انظر :

ابن عزارى : المصدر السابق والصفحة .

٣- ابن خلدون : المصدر السابق والصفحة .

القلشقندى : صبح الاعشى : ج٥ : ص١٦٥.

٤- ابن الاثير : الكامل فى التاريخ : ج٦ : ص٥٠٨.

٥- ابن خلدون : المصدر السابق : ص٢٦٩ .

ابن عزارى : المصدر السابق والصفحة .

٦- ابن الخطيب : تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط : ص١٤٢.

٧- ابن عزارى : المصدر السابق والصفحة .

٨- المصدر نفسه والصفحة .

٩- ابن خلدون : المصدر السابق والصفحة .

إمامته هذه مات أبوه مدرار[١] . وقد انشغل ميمون فى تدعيم دولته واستعمل الشدة فى القضاء على انصار اخيه ابن الرستمية [٢]. وقد ورث دولة انعدمت فيها الشورى والتى نادى بها الخوارج ، واصبحت سجلماسة مسرحا للصراعات والنزاعات فلم يستطع ابن بقية فى خضم هذه المشاكل إن يقوم بأعمال تستحق الذكر .

تولى محمد بن ميمون مقاليد الحكم [٣] ، وكانت البلاد تعج بالصراعات الداخلية المتمثلة فى النزاعات بين افراد الاسرة الحاكمة ، حيث بدأ يظهر نظام توريث الابناء ، وهذا كما اشرنا يتنافى تماما ومبادىء الخوارج.

حاول محمد أن يهدأ الامور ، ويعيدها الى نصابها[٤] ، الا أنه لم يستمر طويلا ، حيث وافته المنية فى شهر صفر سنة :(٢٧٠هـ/٨٨٣م) [٥].

تقلد اليسع بن المنتصر مقاليد الحكم [٦]، كان حسن السيرة محمود الفعال ، نجح فى تهدئة القبائل والعناصر التى كانت حانقة على نظام الحكم الوراثى ، كما اهتم بالنواحى الاقتصادية فأزدهرت سجلماسة وعمها الرخاء [٧]. لم يهنأ بالحكم فقد أرسلت له الخلافة العباسية رسولا يخبره بأن عبيدالله المهدى ، الهارب من الخلافة العباسية قد تسلل الى سجلماسة ، وطلب منه أن يقبض عليه . نفذ اليسع أوامر الخلافة وقبض على عبيدالله المهدى الذى كان حرا طليقا

١.ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص٢٦٩.

٢. البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص ١٥٠.

٣. كان ذلك سنة (٢٦٣هـ/٨٧٦م). القلقشندى : صبح الاعشى : ج٥ : ص١٦٥.

٤. المصدر نفسه والصفحة .

٥. البكرى : المصدر السابق والصفحة .

٦. ابن الخطيب : تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط : ص١٤٥.

٧. المصدر نفسه والصفحة .

وزج به فى السجن[١]. ولكن تمكن عبدالله الشيعى[٢] داعى المهدى ان يحاصر اليسع ويلحق به الهزيمة ويقتله[٣] ويحرر عبيدالله المهدى من السجن[٤].

نصب عبيدالله المهدى قبل رحيله من سجلماسة ابراهيم بن غالب المزاتى ، وما ان برح عبيدالله سجلماسة حتى ثار اهلها على واليهم الجديد وقتلوه[٥] . واقاموا مكانه الفتح ابن ميمون ابن مدرار الملقب (بواسول)[٦] ، الذى ظل يقوم بامرهم خلال السنتين اللتين قضاهما فى الحكم [٧] إلا ان المصادر لم تشر لأى اعمال له .واغلب الظن أن فترته القصيرة هذة كانت إمتدادا لمن سبقه.

---

١. القلشقندى : صبح الاعشى : ج٥ : ص١٦٥.

٢. هو عبدالله بن الحسين الملقب بالعلم ، والشهير بالشيعى ، ارسل داعية الى المغرب ، لما يتمتع به من فصاحة وجدال ، حيث استطاع ان يمهد لبيعة المغرب للدولة الفاطمية الشيعية الجديدة .

ابن عزارى : البيان المغرب : : ج١ : ص١٦٦.

خيرالدين الزركلى : الاعلام : ج٤ : ص٥٥٢.

٣. كان ذلك سنة (٢٩٦هـ) .

البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص١٥٠.

٤. المقريزى : اتعاظ الحنفا : ص٦١ ـ ٦٢. دار الفكر العربى : القاهرى : (١٣٦٧هـ/١٩٤٨م).

٥. ابراهيم بن غالب المزاتى من رجالات قبيلة كتامة التى ناصرت الدعوة الشيعية . نصبه عبيدالله المهدى على سجلماسة واهلها غير راضين عنه فقد كان شيعيا مجاهرا بعدائه للخوارج وقد سعى فى تطبيق الفكر الشيعى فى سجلماسة ووجد معارضة من اهل سجلماسة المتعصبين للفكر الخارجى فلم يتوانوا فى الثورة عليه وقتله ومن معه .

ابن عزارى : المصدر السابق : ص٢١٤.

ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص٢٦٩.

القلشقندى : المصدر السابق : ص١٦٦.

٦. البكرى : المصدر السابق والصفحة .

٧. حكم الفتح بن ميمون بن مدرار من سنة (٢٩٨هـ حتى ٣٠٠هـ).

السلاوى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى : ج١ : ص١١٢.

Scanned by CamScanner

بايع أهل سجلماسة أحمد بن ميمون ،ويكنى بابى العباس[١] ، كان رجلا خيرا، مسالما عزوفا عن الشر ،استطاع أن يهدأ الامور فى سجلماسة ،وسعى لتطوير الدولة فى شتى المجالات ،إلا أن الدولة الفاطمية لم تتركه يحقق طموحاته[٢]. فقد كانت تسعى لمحاربة الخوارج واستئصالهم من المغرب ،ليتمكنوا من نشر الدعوة الشيعية .وجه عبيدالله المهدى قائده مصالة بن حبوس الى أحمد بن ميمون ،حيث استطاع أن يحاصر المدينة ويفتتحها عنوة ويقتل أبا العباسى سنة (٣٠٩هـ)[٣].

أقتضت سياسة الدولة الشيعية ان تولى على سجلماسة رجلا من بنى مدرار لتأمن شرهم [٤]، لأن سياستهم السابقة قد باءت بالفشل حين ولوا على سجلماسة ابراهيم بن غالب المزاتى الذى كان مفروضا عليهم ،كما أنه جاهر بعدائه للخوارج وسعى فى نشر المذهب الشيعى الذى كلفه حياته ومن معه على أيدى الخوارج الصفرية .

نلاحظ أن الدولة الشيعية قد نصبت المعتز بن بسادر حاكما على سجلماسة على اعتبار أنه من بنى مدرار وواليا لها[٥] . ولكن فى الواقع أن المعتز لم يكن مواليا للشيعة ولم تحدثه نفسه بالدعوة للشيعة فقد كان شديد التعصب لفكره الخارجى . وغاية ما فى الامر انه تظاهر بموالاته للشيعة واتخاذ المذهب الشيعى سلما يرتقى به لماربه لان بلاده تمر بمرحلة عدم استقرار ، فوجد الدعم والمساعدة من الدولة الشيعية ، وعندما قويت شوكته أعلن عصيانه على الدولة الشيعية . ظل يحكم بلاده الى أن وافته المنية سنة ٣٢١هـ[٦].

---

١. ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص٢٧.

٢. المصدر نفسه والصفحة .

٣. البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقيا والمغرب : ص١٥١.

٤. ابن الخطيب : تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط : ص١٤٦.

٥. احسان حقى : المغرب العربى : ص٣٦.

٦. ابن الخطيب : المصدر السابق والصفحة.

خلف المعتز على سجلماسة ابنه محمد بن المعتز الملقب (بأبى المنتصر) [١]. الذى استطاع فى سنى حكمه أن يخضع القبائل المناوئة لحكم المدراريين [٢] ، كما كانت له اعمال كثيرة فى نواحى الحياة المختلفة فى فترة حكمه التى أمتدت لعشر سنوات .

نصب أبو المنتصر بن محمد بن المعتز ، وهو لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره ، ولصغر سنه كانت جدته تدير شئون الحكم [٣] . لم تذكر المصادر اسباب تولى هذا الصبى مقاليد الحكم وهو لم يبلغ الحلم بعد وكذلك من هى هذه الجدة ؟ وما هى الصفات التى أهلتها لتدير شئون دولة تمر بمرحلة عدم استقرار؟ وهل مبادىء الخوارج تسمح بأن تتولى امرهم أمراة ؟ واين رأى الجماعة ؟ . لم تمدنا المصادر باجابات شافية لهذه التساؤلات . ولكن أغلب الظن أن الظروف المحيطة ساعدت الصبى وجدته أن يستحوذا على دفة الحكم بمساعدة بعض الموالين للاسرة الحاكمة . وفى هذه الحالة يكون رأى الجماعة مغيبا ومهمشا ، لا قيمة للمبادىء التى نادى بها الخوارج .

إنتهز محمد بن الفتح الملقب (بالشاكر لله) فرصة ضعف عمه ابو المنتصر، فتامر عليه واخرجه من سجلماسة وفرض سيطرته عليها [٤] . ذهب ابن خلدون الى القول بأن [٥] :((محمد بن الفتح ، كان فى غاية العدل ، أخذ بمذهب أهل السنة ، ورفض الدعوة الخارجية ، وتلقب بالشاكر بالله وضرب السكة باسمه فكانت تسمى الدراهم الشاكرية)).

– ولكن الراجح – أن الشاكر لله لم يتخذ المذهب السنى ، وغاية ما فى الامر أنه دعا لنفسه مموها بالدعوة للمذهب السنى. فلو فرض أنه دعا لمذهب السنة لكان له هدف سياسى وهو تأليب أهل السنة ببلاد المغرب ضد الدولة الشيعية ولكنه لم يفعل ذلك . فحقيقة الامر ان

---

١. البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص.١٥.

٢. الجنحانى : المغرب الاسلامى : الحياة الاقتصادية والاجتماعية : ص.١٦.

٣. ابن الخطيب : تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط : ص١٤٧.

٤. ابن حيون : المجالس والمسايرات : ج١ : ورقة ١٩٦. مخطوط بكلية الاداب : جامعة القاهرة : رقم ٢٦٠٦٠ عربى.

٥. العبر : ج٦ : ص.٢٧ .

ابن عزارى : البيان المغرب : ج١ : ص٢٩٢.

الشاكر لله كان من الخوارج الصفرية ، وان حركته حركة صفرية خالصة (١) .

ظل الشاكر لله يقوم بأمر سجلماسة ، حتى أحس الفاطميون – أو هكذا خيل اليهم – بأن الشاكر لله طالما تسمى باسماء الخلافة واخذ بمذهب أهل السنة فلابد أنه سيغرر بالدولة الشيعية (٢) . فعجلوا بارسال حملة تأديبية اليه بقيادة جوهر الصيقلى (٣) . الذى استطاع أن يلحق الهزيمة بالشاكر لله ، وان يقبض عليه ويسوقه اسيرا الي المهدى برقادة(٤) ، حيث سجن ومات هناك (٥) .

بالقضاء على الشاكر لله دخلت سجلماسة فى طاعة الدولة الفاطمية (٦) . ولكن عمر الفاطميين فى سجلماسة لم يطل(٧) ، ولم يستطيعوا فعل شىء فقد ثار عليهم احد اولاد الشاكر

---

١. القلشقندى : صبح الاعشى : ج٥ : ص١٦٧.

محمود اسماعيل : دعوة الخوارج فى بلاد المغرب : ص١٢٠.

٢. ان الشاكر لله سواء دعا لنفسه مموها بالدعوة للمذهب السنى او ظل على مذهبه الخارجى سيظل ابدا عدوا للشيعة . لان الدولة الفاطمية تسعى فى القضاء على الخوارج فى بلاد المغرب ، حتى يتسنى لهم نشر مذهبهم الشيعى ومن ثم السيطرة على بلاد المغرب بدون منافس .

٣. البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص١٥١.

السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير : ج٢ : ص٥٨٩.

٤. رقادة : بفتح الراء ، وتشديد القاف ، ثم الف ودال وهاء فى الاخير. بلدة بافريقية بينها وبين القيروان اربعة اميال ، ليس بافريقية اطيب هواء ولا اعدل نسيم ولا اخصب تربة منها . تعد من اكثر بلاد افريقية بساتين وفواكه . استحدثها ابراهيم بن الاغلب ولم تزل دارا لملك بنى الاغلب الى ان هرب عنها زيادة الله من وجه عبدالله الشيعى ، واخيرا سكنها عبيدالله المهدى اول خليفة للفاطميين. انظر :

ابو الفداء : تقويم البلدان : ص١٤٢. ياقوت : معجم البلدان : ج٣ : ص٥٥.

البكرى : المصدر السابق : ص٢٧.

٥. السلاوى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصا : ج١ : ص١١٢. ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ : ج١ : ص١١٠.

٦. القلشقندى : المصدر السابق والصفحة.

٧. احسان حقى : المغرب العربى : ص٢٦.

لله ، ويدعى المنتصر ويلقب (بالمنتصر بالله) [١] . استطاع رد الفاطميين ، ولكنه لم ينعم بالحكم طويلا فقد وثب عليه اخيه ابو محمد وقتله وقام بالامر مكانه [٢]. لم تستقر الاحوال السياسية فى سجلماسة بعد ، واصبحت ظاهرة الاغتيالات والمؤامرات مستمرة ، الشىء الذى انعكس سلبا على الاوضاع العامة اجتماعية كانت ام اقتصادية ، واصبحت الدولة مطمعا للطامعين من الدول الاخرى .

إستغل خزرون بن فلفول [٣] ، فرصة ضعف ائمة سجلماسة ، فطمع فى الاستيلاء على سجلماسة ، ولكن تصدى له المعتز بالله الا ان خزرون استطاع ان يهزمه ويستولى على سجلماسة [٤]. ثم قبض عليه وقتله . وبعث برأسه الى قرطبة[٥] مع كتاب الفتح [٦].

هكذا يتضح ان اساس انهيار دولة بنى واسول قد بدأ من الداخل وجاء التدخل الخارجى وعجل بالسقوط ولكن يبقى الانهيار الداخلى هو بداية النهاية وعاملها الاكبر.

---

١. ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص٢٧١ . القلشقندى : صبح الاعشى : ج٥ : ص١٦٧.

٢. ابن خلدون : المصدر السابق والصفحة .

٣. خزرون بن فلفول : من ملوك قبيلة مغراوة احدى بطون زناتة . انظر :

ابن خلدون : المصدر السابق والصفحة .

٤. كان ذلك سنة (٣٦٦هـ /٩٧٨م). انظر :

السلاوى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى : ج١ : ص١١٤.

٥. قرطبة : تنطق بضم اوله ، وسكون ثانية ، وضم الطاء : اعظم مدينة بالاندلس ، ليس بها شبيه فى المغرب من حيث كثرة الاهل وسعة الرقعة ، وقد احيطت بسور من حجارة ، لها بابان ، وبها اسواق ومتاجر عامرة .

ياقوت : معجم البلدان : ج٤ : ص٣٢٤.

٦. ابن خلدون : المصدر السابق : ص ٢٧١ - ٢٧٢.

٤. العلاقات الخارجية :.

أ- العلاقات مع الدولة الرستمية :-

قامت العلاقات بين الدولة الرستمية فى تاهرت [١]، وامامة بنى واسول على أسس ثابتة وقواعد متينة ، بحيث توطدت أواصر الصداقة والمحبة بين البلدين [٢]. مما جعل التفرقة صعبة بين الإباضى والصفرى[٣]، ذكر ابن خلدون[٤] :((ان اليسع الاول كان إباضيا صفريا)). يبدو ان ابن خلدون لاحظ قوة العلاقة بين الدولتين والتسامح الدينى بينهما فذهب الى القول بأن اليسع الاول كان يعتنق المذهبين الإباضى والصفرى . الا إن المصادر التاريخية تؤكد أن اليسع كان على المذهب الصفرى .

إزدادت هذه العلائق متانة بمصاهرة مدرار بن اليسع لعبدالرحمن بن رستم [٥]، هذه المصاهرة السياسية خلقت مودة ورحمة بين الدولتين [٦]. ولا يستبعد أن الدولتين اقامتا اتفاقية مشتركة بأن تحمى كل منهما الاخرى اذا تعرضت لاى خطر خارجي خاصة من الدولة

---

١. تاهرت : بفتح التاء والألف ، ثم هاء وسكون الراء وفى اخرها تاء : اسم لمدينتين كبيرتين متقابلتين بينهما خمسة اميال . احدهما قديمة ازلية . والاخرى تاهرت المحدثة ، وهى مدينة مسورة ، ذات اربعة ابواب ، قاعدة بنى الرستم ، ولتاهرت اسواقا عامرة ، وحمامات نظيفة ، ومساجد جامعة اشتهرت المدينة بشدة البرد وكثرة الغيوم كما اشتهرت بكثرة الفواكه والعسل والسمن .

ياقوت : معجم البلدان : ج٢ : ص٧-٨ .

البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص ٤٦-٤٩.

الزهرى : كتاب الجغرافيا : ص١١٢.

٢. محمد على دبوز : تاريخ المغرب العربى الكبير : ج٢ : ص٢٢٤.

٣. سعد زغلول عبدالحميد : تاريخ المغرب العربى : ج٢ : ص٤١١.

٤. العبر : ج٦ : ص٢٦٨.

٥. عبدالرحمن بن رستم : من فقهاء المذهب الإباضى ، عرف بالزهد والتواضع ، له كتب فى التفسير . موسس الدولة الرستمية بتاهرت واول امام لها .

الزركلى : الاعلام : ج٤ : ص٧٨.

٦. محمد على دبوز : المرجع السابق والصفحة.

العباسية . كما لا يستبعد ايضا ان صاحب تاهرت كان يأمل عن طريق تلك المصاهرة ان تؤثر ابنته اروى – التى تتمتع بقوة الشخصية والارادة بالاضافة لثقافتها الاسلامية الواسعة سيما فى المذهب الإباضى على اولادها وتدخلهم فى المذهب الإباضى ومن ثم يحكمون سجلماسة على اساس المذهب الإباضى ، وبهذه الطريقة يتم نشر الدعوة الإباضية بدون كبير عناء ويأمن جانب الصفرية .

استمرت العلاقات حسنة بين الدولتين لاسيما على الصعيدين التجارى والثقافى ، فقد كانت المعاملات التجارية بينهما قوية لارتباطهما بعدة طرق تجارية فساهمت العائدات التجارية فى تقدم وازدهار البلدين[١] .

كذا كانت العلاقات الثقافية طيبة بينهما رغم اختلاف المذهبين ويعزى ذلك لسياسة تسامح المذهبين ، مما خلق نوعا من الاحترام وحرية الفكر بين الدولتين[٢]، فقد كانتا مثالا فى العفة والتقيد بما أمر الله به من دماء المسلمين [٣] . يؤكد ذلك ان للخوارج الصفرية مساجدهم وعلمائهم وحلقات دروسهم فى تاهرت عاصمة الدولة الرستمية ، وبالمقابل اقام الإباضية المقيمون فى سجلماسة كافة شعائرهم الدينية [٤].

كما تعد الدولتان أول من ساهم فى نشر الدين الاسلامى فى السودان الغربى وحمل الحضارة الاسلامية اليه ، واخرجه من البداوة الى الحضارة ومن ظلام الشرك والوثنية الى نور الاسلام والمدنية[٥].

---

١. احمد الياس حسين : الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى : ص ٩٤ - ٩٥ . (رسالة ماجستير لكلية الآداب : جامعة القاهرة : ١٩٧٧م).

Abun Nasr, j :"History of the Meghrib". P.75. Cambridge university press, London, 1977 - 1978.

٢. محمد على دبوز : تاريخ المغرب العربى الكبير : ج٣ : ص٤٤٥.

٣. المرجع نفسه : ص٦٩.

٤. المرجع نفسه : ص٤٤٥.

٥. المرجع نفسه : ص٢٤٥.

استمرت العلاقات كاحسن ما تكون بينهما . ولكن ما لبثت ان شابها الفتور وذلك خلال تنازع ابنى مدرار على كرسى الحكم . فقد عارض الخوارج الصفرية تولية ميمون ابن الرستمية الذى كان سيىء السمعة والسيرة ، كما أنه لم ينتخب حسب مبادىء الخوارج . كما جاءت معارضتهم خوفا من ان تؤثر فيه أمه الإباضية ، ويستبد بالحكم[1].

مهما يكن من امر فقد التزمت كل منهما بعدم التدخل فى الشئون الداخلية للاخرى مما ساعد كثيرا فى توطيد عرى الصداقة وحسن الجوار.

ب- العلاقات مع الادارسة :-

أتسمت العلاقات الادريسية السجلماسية بطابع العداء الذى اتخذ صورة تدبير المؤامرات اولا الى صراع عسكرى اسفر عن توسع الادارسة على حساب دولة سجلماسة . ويرجع بعض الباحثين هذا العداء الى الاختلاف المذهبى بين الادارسة الزيدية والخوارج الصفرية [2] . ولكن يبدو أن العداء تأصل نتيجة اسباب سياسية واقتصادية واجتماعية [3].

فسياسيا صادق ائمة سجلماسة اعداء الادارسة من بورغواطة وبنى رستم وبنى أمية بالاندلس . كما ان قيام دولة الادارسة بالمغرب تم على حساب الخوارج الصفرية[4]. وبرغم جهود الادارسة فى محو المذهب الصفرى والقضاء على نفوذ القبائل التى اعتنقته كمديونة ومكناسة ومطغرة ، الا ان جماعات من الصفرية ظلت تقيم بدولة الادارسة ، وكان ولاؤها السياسى لائمة سجلماسة . ولا يستبعد انها كانت تدفع زكاة اموالها لشيوخ الصفرية فى سجلماسة [5].

١.محمد بلغراد : من قضايا التاريخ الرستمى الكبرى : مقال بمجلة الاصالة : العدد ٤١ ; سنة (١٩٧٧م). : ص ٥٥ ـ ٥٦.

٢.عبدالرحمن حسب الله : جماعات الخوارج فى بلاد المغرب : ص١٨٦ وما بعدها.

٣. محمود اسماعيل : الادارسة فى المغرب الاقصى : ط١ : ص١٤٩ : مكتبة الفلاح ; الكويت :(١٩٨٩م).

٤. المرجع نفسه : ص ١٥٠.

٥. المرجع نفسه والصفحة .

يضاف الى ذلك اطماع الادارسة فى ذهب سجلماسة وفضة درعة ، ومما زاد من تاجيج الصراع وجود قبائل من مغراوة وبنى يفرن ومكناسة كانت تتنقل بحرية بين البلدين ضاربة عرض الحائط بالحدود السياسية المانعة [١]. وقد نجح الادارسة فى تأليب بعضها على ائمة سجلماسة سواء فى اثارة المشكلات داخل دولتهم او اغراء بنى جلدتها على الهجرة والاقامة بالدولة الادريسية [٢] .

مما سبق يتضح بطلان دعاوى بعض الدارسين المحدثين الذين وصفوا العلاقات الاداريسية – السجلماسية بطابع المسالمة وحسن الجوار[٣] . صحيح ان الصراع العسكرى لم يسفر عن اسقاط اية من الدولتين للاخرى وذلك لعدة اساب منها :

١– شكللت جبال الاطلس نوعا من الحماية الطبيعية لسجلماسة.
٢– انشغال الادارسة بصراعهم مع الاغالبة .
٣– الحلف الثنائى القائم بين ائمة سجلماسة وائمة الدولة الرستمية كان مانعا لمد نفوذ الادارسة[٤].

ومع ذلك وجدت مناطق سجلماسة دون حماية طبيعية شهدت صراعا مريرا اسفر عن اقتطاع الادارسة اقاليم ومدنا وحصونا سجلماسية هامة [٥].

واذا قنع الاداسة بهذه المكاسب ، لم يجدوا غضاضة فى استمرار التبادل التجارى بين فاس وسجلماسة ، حيث كانت القوافل تروح جيئة وذهابا بين الدولتين فى امن وسلام [٦].

١.محمود اسماعيل : الادارسة فى المغرب الاقصى : ص ١٥٠.

٢.محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير : ج٣ : ص٣٤٤.

٣.محمود اسماعيل : المرجع السابق : ص١٥٠ . ١٥١ . محمود اسماعيل : الخوارج فى بلاد المغرب : ص١٢٠.

٤.محمود اسماعيل : المرجع السابق والصفحة .

عبدالرحمن حسب الله : جماعات الخوارج فى بلاد المغرب : ص ١٨٦.

٥.ابن حوقل صورة الارض : ص٦٥ . ابن ابى زرع: روض القرطاس : ص٥٣. الرباط : (١٩٧٣م).

٦.محمود اسماعيل : الادارسة فى المغرب الاقصى : ص١٥١.

على ضوء ما تقدم مـا كـان فـى امكـان اى مـن الدولتيـن اسـقاط الاخـرى فـانصرف ائمـة سجلماسة الى نشـاطهم التجـارى عـبر الصحـراء ، واصبـح الصـراع السياسـى يتمحـور حـول سياسة ادريسية هجومية توسعية يقابله من جانب الخوارج الصفرية بالصمت التام حينا وتدبير المكائد ضدهم حينا اخر (١).

صفوة القول..... إن العلاقات السجلماسية – الادريسية اتسـمت بطـابع العـداء الـذى ترجـم الى صراع عسكرى مرير لكنها لم تسفر عن تمكن احدهما الاحاطة بـالاخرى ، نظـرا لفاعليـة الحافز الاقتصادى فى صياغة تاريخ العلاقات السياسية.

جـ العلاقات مع الدولة العباسية :.

عقب انهيار دولـة بنـى اميـة ، تسلمت الدولـة العباسـية زمـام الامـور واصبحـت صاحبـة السلطة الشرعية فى بلاد المشرق والمغرب(٢) . وعلى الفور إعلنـت عـدم اعترافهـا بـالدويلات التى استقلت عن سلطان الخلافة . فبادر الخليفة ابوجعفر المنصور بارسـال خيـرة رجالـه الـى المغرب لاعادة هذه الدول لحظيرة الخلافة ، فارسل محمد بن الاشعث ، ثم عمر بن حفص ، واخيرا يزيد بن حاتم ، الذى وجد اجزاء كبيرة قد سقطت فـى ايـدى الخـوارج خاصـة اقليمـى تلمسان وسجلماسة . حاول يزيد رد هذه المناطق الى الخلافة إلا انه لم يستطع حيث كانت هذه الثورات اقوى من اى وقت مضى (٣).

أما بالنسبة للعلاقات بين الدولتين فقد اشارت احدى الدرابيات الحديثة ، بانها كانت حسنة، وبالغت فى القول بأن أئمة سجلماسة كانوا يدينـون بـالولاء للخلافـة العباسـية (٤) . غـير ان مـا ذهبت اليه هذه الدراسات رأيا غير مقبـول اذا علـم أن الدولـة العباسـية منـذ قيامهـا لـم تعـترف

---

١. محمود اسماعيل : الادارسة فى المغرب الاقصى : ص١٥١.

٢. ابن ابى دينار : المؤنس فى اخبار افريقية وتونس : ط٢ : ص٤٥ ـ ٤٦.

تونس : (١٢٨٧هـ) تحقيق : محمد شمام.

٣. المصدر نفسه والصفحات.

٤. Fournel : L'esberberes : vol.2.P.22. paris (1895)

بالدول المستقلة عن سلطانها فى المغرب ، هذا فضلا عن الاختلاف المذهبى بينها وبين هذه الدول .ولكن أغلب الظن أن العلاقات بين الدولتين كانت عدائية فى الظاهر لم تصل لمرحلة نشوب الحرب بينهما ويعزى ذلك للبعد الجغرافى بين البلدين ، علاوة على ذلك ان الخلافة العباسية كانت تحاول ترتيب شئونها الداخلية. فلم تهتم بالشئون الخارجية كثيرا .

رغما عن مظاهر العداء الظاهرى بين الدولتين ، الا ان العلاقات التجارية لم تتأثر بذلك ، لانها علاقات منفعة متبادلة فرضتها الظروف . فالقوافل المشرقية التى تقصد بلاد السودان الغربى كانت تمر بسجلماسة (١) ، كما أن بعض التجار صرفوا النظر عن بلاد السودان الغربى واكتفوا بما يتوافر من السلع فى سجلماسة (٢). فتوثقت صلتهم بأهل سجلماسة الذين تأثروا كثيرا بطبائع أهل المشرق خاصة فى النواحى الاجتماعية والحضارية والادارية (٣).

د- العلاقات مع دولة الاغالبة :-

رأت الدولة العباسية ضرورة قيام سلطة شبه مستقلة لحماية المغرب من ثورات الخوارج المتكررة . فأقر هرون الرشيد قيام دولة بنى الاغلب لتقف فى وجه هذه الثورات وتحول دول زوال النفوذ العباسى فى المنطقة .

ما ان قامت دولة الاغالبة حتى ورثت عداء العباسيين للدول التى أعلنت إنفصالها عن الخلافة العباسية كدولة بنى رستم فى بلاد الجزائر وامامة بنى واسول فى سجلماسة(٤) . ومما يؤكد أن العلاقات بين الدولتين كانت عدائية ما ذكره ابن وردان حيث قال (٥):((فى ايام الوالى

---

١. المراكشى : المعجب فى تلخيص اخبار المغرب : ج٣ : ص٤٤٢. مطابع شركة الإعلانات الشرقية : القاهرة : (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) : تحقيق محمد سعيد .

٢. الجنحانى : المغرب الاسلامى - الحياة الاقتصادية والاجتماعية : ص١٨٢ .

٣. للمزيد من التفاصيل حول العلاقات التجارية بين بلاد المشرق وسجلماسة ونتائجها . انظر الفصل الثالث : ص ١٣٦.

٤. عبدالرحمن حسب الله : حملات الخوارج فى بلاد المغرب : ص١٧٨ ، ١٧٩.

٥. تاريخ الأغالبة فى تونس : ورقة ٢١ - ٢٢ . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٩٩ . تاريخ تيمور.

الاغلبى ابى العباس عبدالله بن ابراهيم الاغلبى منع الامام سحنون [١] فى زمانـه اهل الاهـواء من المسجد الجـامع ، وكـانوا قبل ذلك يجتمعـون فيـه ويتنـاظرون فـى مذاهبهـم الفاسـدة مثـل :الإباضية والصفرية والمعتزلة)).

على كل حال كان العداء بين الدولتين ظاهريا كما كان مـع الدولـة العباسـية ويعـزى ذلـك لانشـغال الاغالبـة بشـئونهم الداخليـة المتمثلـة فـى طموحـاتهم التوسـعية فـى البحـر الابيـض المتوسط[٢] . ولكن وردت اشارات فى بعض المصادر توضح ان تعاونا كان قائما بين الدولتين ، حيث ذكر ابن خلدون جانبا من ذلك التعاون حين امرت الخلافة العباسية بالقبض على عبيد الله بن المهدى فقال [٣]:((جاء كتاب زيادة اللـه بأنـه المهـدى الـذى داعيتـه فـى كتامـة فحبسـه اليسع)) . بينما ذهب ابن ابى دينار الى القول [٤] :((ان اليسع بن مدرار امـام سجلماسـة كـان عاملا لبنى الاغلب)).

فى الحقيقة ما قـام بـه اليسـع يعـد مـن قبيـل التوافـق غيـر المقصـود فالخلافـات السياسـية والمذهبية تحول دون اى تقارب او تعاون بينهما ، هذا اذا علمنا ان الدولة الاغلبية كان قيامها فى الاساس الوقوف فى وجه الحركات الانفصالية المناوئة للخلافة العباسية . فاغلب الظـن ان التعاون الذى تم بينهما كان لشعورهما معا بـالخطر الشيعى الذى بـات يهـدد المغـرب العربـى باسره .

١.هو عبدالسلام بن سعيد بن حبيب التنوخى ، الملقب بسحنون ، اصله من بـلاد الشام ، قاضى وفقيه ، كما كـان زاهـدا لا يهـاب سلطانا فى قولة الحق . انتهت اليه رئاسة العلم فى بلاد المغرب . راجع :

الزركلى : الاعلام : ج٤ : ص١٢٩.

٢.عبدالرحمن حسب الله : جماعات الخوارج فى بلاد المغرب : ص١٨٠.

٣. العبر : ج٤ : ص٧١ . ٧٢ .

ابن الاثير : الكامل : ج٨ : ص٣٩.

٤. المؤنس فى اخبار افريقية وتونس : ص٥٥.

سعد زغلول عبدالحميد : تاريخ المغرب العربى : ج٢ : ص٤٩١.

هـ العلاقات مع الدولة الاموية بالاندلس :-

قامت الدولة الاموية فى الاندلس على حساب النفوذ العباسى ، فالعداء بين الامويين والعباسيين مازال قائما ، كما ان الاغالبة فى افريقية ورثوا هذا العداء بحكم علاقتهم القوية بالعباسيين (١).

فكان لابد للدولة الاموية فى الاندلس ان توازن فى سياستها ، وذلك باقامة علاقات صداقة مع الدول المناوئة للعباسيين وحلفائهم فى المغرب فلم تتردد فى مصادقة الخوارج الصفرية فى سجلماسة والاباضية فى تاهرت(٢) .

فبالنسبة لعلاقتها مع سجلماسة اقام عبدالرحمن الداخلى علاقات صداقة مع عيسى بن يزيد الاسود (الامام الاول على سجلماسة) ، واستمرت العلاقات زمن ابوالقاسم إسمكو(الامام الثانى لسجلماسة) وابنه الياس بن ابى القاسم (٣). واستمرت العلاقات زمن هشام الاول المعاصر لليسع الاول ، واستمرت ودية زمن عبدالرحمن الثانى المعاصر لمدرار (٤). وتواصل الود زمن محمد بن عبدالرحمن الذى يعد من خيرة امراء بني امية فى الاندلس واوفرهم ذكاء وفطنة (٥) . قوة الصداقة هذه جعلت ابن عزارى يقول (٦) :((إن محمد بن عبدالرحمن كان محبوبا فى جميع البلدان وكان صاحب تاهرت ، وائمة سجلماسة ، لايقدمون ولا يؤخرون فى امورهم الا بعد مشورته)). يبدو ان ابن عزارى انبهر لقوى الصداقة التى جمعت بين الدولتين وما يكنه الخوارج سواء فى تاهرت او سجلماسة لمحمد بن عبدالرحمن من الاحترام ، وذلك لسمعته الطيبة ، هذا فضلا لتعاونه الصادق معهم .

---

١. محمد عبدالله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس : ج١ : ص٣٠٩. نشر مؤسسة الخانجي : القاهرة : (١٩٦٠م).

٢. المرجع نفسه والصفحة.

٣. ابن عزارى : البيان المغرب : ج٢ : ص١٦١.

٤. المصدر نفسه والصفحة.

٥. محمد عبدالله عنان : المصدر السابق والصفحة .

٦. البيان المغرب : ج٢ : ص١٦١.

فاستنتج ابن عزارى ان الخوارج خاضعين للسلطة الاموية فى الاندلس . ولكن يستبعد ذلك اذا علمنا البعد الجغرافى بين الاندلس ومناطق الخوارج فى بلاد المغرب ، هذا فضلا عن البون الشاسع فى الاعتقادات المذهبية واختلافها .

على العموم كانت السياسة الخارجية العامة للدولة الاموية بالاندلس هى سياسة عدم اعتداء والتزام بالعهود والمواثيق ، فاتبعت فى سياستها الخارجية سياسة قبول عروض الصداقة وابداء التعاون والمحافظة على الوفاء (١) . وتبلور ذلك فى علاقتها بدولة بنى واسول فى سجلماسة فلم تبخل ان تمد يد العون والمشورة . فوحدة المصير تغلبت على الاحقاد(٢). وعاشت كل دولة ظروفها السياسية والاقتصادية وحياتها الفكرية دون ان تؤثر او تتأثر بالاخرى.

و- العلاقات مع السودان الغربى(٣) :.

العلاقات بين المغرب الاقصى وبلاد السودان الغربى علاقات ازلية (٤). فقد كانت المدن الصحراوية وثيقة الصلة جغرافيا ببلاد السودان الغربى ، حيث شكلت هذه المدن همزة الوصل بين المنطقتين(٥). كما كان لبعض الجماعات الاسلامية كالشيعة والخوارج اثرا كبيرا فى وضع اللبنات الاولى لعلاقة المنطقتين(٦).

شهد مطلع القرن الثالث الهجرى تطورا وتقدما ملحوظا فى العلاقات بين المنطقتين ، حيث بادرت معظم دول المغرب الاقصى الى تقوية صلاتها بالسودان الغربى ، خاصة فيما

١.عبدالرحمن على الحجى : التاريخ الاندلسى : ط ١ : ص٢٨٨ . ٢٨٩. دار القلم للنشر : دمشق ١٣٩٦.هـ/١٩٧٦م).

٢.محمد عبدالله عنان : دولة الاسلام فى الاندلس : ج١ : ص٣٠٩.

٣. عن التعريف بالسودان الغربى أنظر ص: ٣٦.

٤. ابراهيم على طرخان : امبراطورية البرنو الاسلامية : ص٦٥ . الهيئة المصرية العامة للكتاب : القاهرة (١٩٧٥م).

٥.سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى : ج١ : ص١٠٨.

٦. المرجع نفسه والصفحة . عبدالرحمن احمد عثمان : الجاليات العربية الاسلامية فى افريقية . بحث بمجلة الدراسات الافريقية : العدد الثامن : المركز الاسلامى بالخرطوم : ص١٠٥.

يتعلق بالمجال التجارى . وقد اشارت احدى الدراسات الحديثة الى ذلك بقولها : زاد حجم التبادل التجارى وذلك بفضل اعتناء التجار المسلمين بالطرق والامن ، وتحديد المكاييل والموازين والمقاييس السليمة . كما كان لسجلماسة اثر كبير في تقديم كافة التسهيلات للقوافل التجارية [١] فتم تبادل مختلف السلع بين البلدين[٢].

زيادة حجم التبادل التجارى ادى الى تنظيم العملية التجارية حيث عملت لها نظم وقوانين[٣]، وواكب ذلك الاهتمام بالضرائب حيث تحددت مناطقها وتطورت وسيلة التعامل من المقايضة الى استخدام النقد[٤].

ليس من شك ان هذه الصلات التجارية تركت اثارا في الجوانب الاخرى لدى شعب السودان الغربى ، فقد كان تجار المغرب اغلبهم من الخوارج الإباضية والصفرية الذين لهم اثرا واضحا فى نشر الاسلام وسط مجتمع السودان الغربى [٥] . حيث اخرجوهم من البداوة الى المدنية ، ومن ظلام الشرك والوثنية الى نور الاسلام [٦]. ونتيجة لذلك ازدهرت الحركة العلمية فى السودان الغربى وقد ساهمت هذه المراكز فى تحسين اسلام شعب السودان الغربى،

---

١. احمد شلبى : التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية : ج٦ : ص٢٠٢ـ٢٠٦.

Roland, O: " The middle age of the African history " . P.15. Oxford university press. London, (1967).

٢. احمد الياس حسين : العلاقات بين مملكة غانة والمغرب العربى : ص ٢٠٩ ـ ٢١٠.

٣. المرجع نفسه والصفحات.

عبدالعزيز بن راشد : وسائل انتشار الاسلام فى افريقية . مقال نشر بمجلة الدراسات الافريقية : العدد السادس : المركز الاسلامى بالخرطوم : ص ٤٩ ـ ٥٠.

٤. نفس المرجعين والصفحات . لمزيد من التفاصيل حول حجم التبادل التجارى : راجع الفصل الثالث : ص ١١٦.

٥. ابراهيم على طرخان : امبراطورية غانة الاسلامية : ص ٤١ ـ ٤٢ . المكتبة العربية للتاليف : القاهرة : (١٩٧٠م).

احمد شلبى : المرجع السابق : ج٦ : ص٢٠٦.

٦. محمد على دبوز : تاريخ المغرب العربى الكبير : ج٢ : ص٣٤٥.

حتى اصبح المتنقل من بلاد المغرب او بلاد السودان الغربى لا يشعر بفرق كبير فى اسلوب المعيشة وطرق التعامل [١].

ز- العلاقات مع الدولة الفاطمية بالمغرب :-

منذ أن مات سيدنا على (كرم الله وجهه) والشيعة يفكرون فى امام معصوم ، يقوم بالحق [٢] فأرسلوا الدعاة الى سائر النواحى ولكن لم تكلل مساعيهم بالنجاح [٣]. واخيرا وقع اختيارهم على رجل ذى فصاحة وفهم ، وجدال ، يدعى ابا عبدالله الصنعانى. حيث جمعوا له مالا كثيرا يتقوى به فى سفره[٤] . اختار عبدالله موسم الحج حيث يفد الناس فالتقى بأهل المغرب من قبيلة كتامة المشهورة فخالطهم وتحدث اليهم فسلب عقولهم بسحر بيانه ، فطلبوا منه ان يصطحبوه الى بلادهم ، وضمنوا له ما اراد من تعليم الصبية القران الكريم[٥] . وهناك استطاع ان يبث دعوته وسط قبائل كتامة ووعدهم بقرب ظهور المهدى[٦]، وانهم سيصبحون انصاره[٧] .

ارسل أبوعبدالله الشيعى الى المهدى رسولا يدعوه للحضور الى المغرب ، فبلغ ذلك

١- ابراهيم على طرخان : دولة مالى الاسلامية : ص ١٥١ . الهيئة المصرية العامة للكتاب : مصر :(١٩٧٢م) .

٢- ابن عزارى : البيان المغرب : ج١ : ص١٦٦.

٣- المصدر نفسه والصفحة.

٤- المصدر نفسه والصفحة .

٥- المصدر نفسه : ج١ : ص٢١٨-٢٢٠.

٦-عبيدالله المهدى : اختلف فى نسبه . فادعى هو انه عبيدالله بن محمد بن اسماعيل ابن جعفر بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب ، وان اصله من القرامطة. بينما قال سائر النسابة انه عبيد الله بن محمد بن عبدالرحمن البصرى .

٧- ابن عزارى : المصدر السابق : ص١٦٦.

الخلافة العباسية فطلبته [١] . الا أنه تمكن من الفرار ومعه خاصته وثقاة رجاله[٢]، و ذهبوا الى مصر وذلك بعد ان تزيوا بزى التجار وخرجوا برفقة تجار بغداد ، حتى لا يثيروا الشك فى امر المهدى [٣] . ومن مصر استطاع ان يفلت من عاملها فى قصة طويلة يطول المجال لذكرها [٤] . ويصل طرابلس حيث فارق التجار ولكنه ارسل معهم ابى العباس اخ ابو عبدالله الشيعى الى اخيه بكتامة ، وفى طريقه مر المهدى بالقيروان وقسنطينية[٥] ثم اراد كتامة الا ان العيون كانت ترصد حركاته فعدل عنها الى سجلماسة لبعدها عن مركز الخلافة وحلفائهم الاغالبة[٦]. وجد المهدى فى سجلماسة ترحيبا من الامام اليسع بن مدرار وقدم المهدى بعض المال لليسع ظانا أن اليسع علم بخبره ، ليجد عنده الحماية [٧] . مكث المهدى فى سجلماسة زهاء السنة ،عرف من خلالها بين الناس بالعلم والفقه ،وقد التف الناس حوله يسألونه

١ـ لم يزل امر الإسلام دولة واحدة ايام الخلفاء الاربعة وبنى امية من بعدهم لاجتماع عصبية العرب . ثم ظهر الشيعة وهم دعاة لهل البيت الا انهم سبوا اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وازواجه حاشا على (كرم الله وجهه) ، والمقداد بن الاسود ، وعمار بن ياسر ، وسلمان الفارسى ، وابى ذر الغفارى . وزعموا ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتدين واشياء كثيرة يطول ذكرها . فاختلفوا مع الدولة العباسية وسعت فى القبض على رؤوسهم قبل ان يستفحل امرهم .

ابن عزارى : البيان المغرب : ج١ : ص٢١٨ ـ ٢٢٠. ابن خلدون : العبر : ج٣ : ص٢٦٣ ـ ٢٦٤.

٢ـ كان برفقة عبيدالله المهدى ابنه ابوالقاسم . وجعفر بن على الحاجب ، وابو الحسن طيب بن اسمعيل المعروف بالحاضن ، وابى العباس اخ ابوعبدالله الشيعى.

ابو الفداء : تقويم البلدأن : ج٢ : ص٦٥ .

ابن الابار : الحلة السيراء : ط١ : ج١ : ص١٩١ ـ ١٩٢ : الشركة العربية للطباعة والنشر : القاهرة : (١٩٦٣م) : تحقيق : حسين مؤنس .

٣ـ نفس المرجعين السابقين والصفحات.

٤ـ ابن الابار : المصدر السابق والصفحات .

٥ـ قسنطينية : بفتح القاف والسين ، ثم نون ، وكسر الطاء: مدينة ازلية كبيرة فى حدود افريقية مما يلى المغرب .

ياقوت : معجم البلدان : ج٤ : ص٣٤٩.

٦ـ الدرجينى : طبقات الاباضية : ورقة ٨٢ ـ ٨٣. (مخطوط) بدار الكتب المصرية رقم ٢٦١٢.

٧ـ الورجلانى : السير واخبار الائمة : ورقة ٢٥. (مخطوط) بدار الكتب المصرية رقم ٩٠٢٠.

حوائجهم، فكانوا يجدون عنده فوق مايريدون [١]. فطلبوا منه أن يبايعوه خليفة لليسع يتولاهم بعد موته أو عزله، ولكنه إعتذر بقوله:أنا رجل غريب أنظروا من تولونه غيرى[٢] .

يبدو أن المهدى طيلة فترته فى سجلماسة لم يكشف من قريب او بعيد عن حقيقة دعوته ، لعلمه التام أن أهل سجلماسة من الخوارج الصفرية الذين لايرضون لمذهبهم بديلا.لذا إلتزم بالجوانب التى ليس فيها خلاف بين المذاهب.

..

لم يستمر هذا الود طويلا ،فقد أرسل زيادة الله الأغلبى [٣]، كتابا الى اليسع بن مدرار يخبره أن المهدى الذى عنده هو الذى يدعو له أبو عبدالله الشيعى [٤] . فقبض عليه اليسع ،وسأله فأنكر[٥]، وقال :إنما أنا رجل تاجر[٦]. وضعه اليسع تحت الرقابة ،الى أن جاءته الاخبار من القيروان تؤكد صحة الخبر،فلم يتردد اليسع فى القبض عليه وزجه فى السجن[٧].

خاطب عبيدالله من سجنه بواسطة احد القصابين داعيته أبو عبدالله واعلمه بحاله من الاسر والخوف [٨]. فأعد ابوعبدالله العدة لغزو سجلماسة وعندما وصل الى مشارف البلدة[٩]. أرسل رسولا الى اليسع يتلطفه ذاكرا له أنه لم يقصده لحرب إنما له حاجة عنده [١٠]. لكن

---

١. الدرجينى : طبقات الإباضية : ورقة ٨٢ ـ ٨٣ .

٢. الورجلانى : السير واخبار الائمة : ورقة ٣٥.

٣. هو زيادة بن ابى العباس ـ احد امراء دولة الاغالبة.

ابن حيون : رسالة افتتاح الدعوة : ص١٢٨ ـ ١٢٩.

٤. المخطوط السابق : ورقة ٣٥ وما بعدها .

سعد زغلول عبدالحميد : تاريخ المغرب العربى : ج٣ : ص٥٩٣.

٥. ابن خلدون : العبر : ج٤ : ص٧١ ـ ٧٢ .

المقريزى : اتعاظ الحنفا : ص٨٤.

٦. ابن ابى دينار : المؤنس فى اخبار افريقية وتونس : ص٥٥.

٧. المقريزى : المصدر السابق : ص٨٩ ـ ٩٠.

٨. مجهول المؤلف : الإستبصار فى عجائب الامصار : ص٢٠٣ ـ ٢٠٤.

٩. المصدر نفسه والصفحات .

١٠. ابن دقماق : الجوهر الثمين : ص١٩٥ ـ ١٩٦.

اليسع رمى بالكتب وقتل الرسل[١] ، ولكن أبو عبدالله عاوده ثانية وثالثة خوفا على المهدى أن يناله مكروه[٢] .إلا أن اليسع تمادى واصر. فلم يجد أبو عبدالله بدا من مهاجمة المدينة وتخليص الإمام بالقوة ،فاحاط ألعسكر بالمدنية من كل الجهات، ذكر النيسابورى[٣] :((أن مستشارو اليسع استشاروه فيما العمل والخلاص ازاء هذه الجيوش التى حاصرتهم ولاقبل لهم بها ، فانقسمت الاراء الى ثلاثة :-

١- رأى يرى ضرورة قتل المهدى وخاصته حتى يقل جمعهم ويبطل مذهبهم .
٢- رأى اخر يرى لابد من الاحسان الى المهدى لنيل المكافأة والاحسان .
٣- الرأى الاخير يرى أن يخرج المهدى وخاصته الى جيش ابى عبدالله فعند انشغالهم بامامهم يستطيعون الهروب ، حتى اذا انصرفوا عن البلدة عادوا مرة اخرى)).

ولكن فيما يبدو ان اليسع لم يعمل بهذه الاراء ، انما خرج لملاقاة عبدالله الشيعى وقاتله وحين احس بضعفه هرب تحت جنح الظلام فدخل عبدالله الشيعى المدينة واخرج المهدى ، وامر بطلب اليسع فادرك وقتل [٤].

اقام المهدى وداعيته ابوعبدالله الشيعى فى سجلماسة اربعين يوما انتقموا فيها من اهل سجلماسة ، حيث أغرموهم اموالا طائلة ، واجلوا الكثيرين منهم [٥]. كما قام الجند بعمليات

---

١. ابن خلدون : العبر :ج٦: ص٧٥.

٢. الدرجينى : طبقات الاباضية : ورقة ٨٣.

ابن الاثير : الكامل : ج٨ : ص٤٨.

٣. استتار الامام : ورقة : ٤٣ ـ ٤٤ (مخطوط) بدار الكتب المصرية رقم ٢١٩٩ تاريخ.

٤. ابن خلدون : المصدر السابق : ج٤ : ص٧٥ .

ابوالفداء : تقويم البلدان : ج٢ : ص٦٥.

ابن حيون : رسالة افتتاح الدعوة : ص.٢٤٠ . ٢٤١.

٥. مجهول المؤلف : الإستبصار فى عجائب الامصار : ص٢٠٣ ـ ٢٠٤.

ابن حيون : المصدر السابق والصفحات.

سلب ونهب واسعة ، ولم يكتف المهدى بذلك بل امر بحرق مكتبة سجلماسة الكبرى التى تحوى نفائس الكتب كرصيفتها مكتبة المعصومة بالجزائر بعد ان اخذ منها الشىء الكثير لدولته الجديدة (١).

عمد المهدى أن يعين على سجلماسة أئمة من الشيعة أو من الموالين للدعوة الشيعية ،من اجل الدعوة للمذهب الشيعى،وتاليب الناس على الخوارج ،كما كان المهدى يطمع فى السيطرة على طرق التجارة الكبرى التى تمر بسجلماسة(٢).

عين المهدى قبيل مغادرته سجلماسة واليا عليهم هو ابراهيم ابن غالب المزاتى ،فلم يستمر طويلا فقد ثار ضده اهل سجلماسة وقتلوه (٣).

إستمر الصراع بين الدولتين ،ففى ولاية المعز لدين الله (٤)، قرر أرسال حملة تأديبية لسجلماسة فقد سعى إمامها الشاكر لله للاستقلال ببلاده بعيدا عن نفوذ الفاطميين وذهب أبعد من ذلك بأن تلقب بالقاب الخلافة ،وضرب السكة باسمه .

جند المعز لدين الله جيشا كثيفا بقيادة قائده جوهر الصقلى ،الذى استطاع أن يحاصر الشاكر لله ويفتح سجلماسة عنوة (٥). فلم يجد الشاكر لله بدا من الهرب ، ولكن قبض عليه

١ـ النيسابورى : استتار الامام: ورقة ٤٧ .

ابن عزارى : البيان المغرب فى اخبار المغرب : ج١ : ص٢٠٩.

٢ـ ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص٢٧٠ .

المقريزى : اتعاظ الحنفا :: ص٦١.

٣ـ ابن حيون : رسالة افتتاح الدعوة : ص٢٠٣ ـ ٢٠٤.

٤ـهو ابوتميم معد بن منصور ويلقب بالمعز لدين الله . كان عارفا بالامور ، مطلعا على الاحوال بذكاء ، اول من تملك ديار مصر من بنى عبيدالله ، وتنسب اليه القاهرة المعزية .

القلشقندى : صبح الاعشى : ج٤ : ص٦٩ ـ ٧٠.

٥ـ انظر حديث المعز لدين الله للشاكر لله فى الملحق السادس : ص ١٦٨ـ١٧١.

وهو يحاول التسلل عائدا لسجلماسة لتأليب الناس على الفاطميين ،فحمل الى المهدية (١)، وسجن هناك الى ان وافته المنية(٢).

عين الفاطميين حاكما منهم على سجلماسة وأنصرفوا (٣). الا أن اهل سجلماسة انتهزوا غياب الجيش الفاطمى فقاموا بالثورة فى وجه الحاكم الجديد، وتمكنوا من قتله ، واقاموا مكانه المنتصر احد ابناء الشاكر لله ولقبوه (بالمنتصر لله) (٤).

كيفما كان الامر فقد استطاعت الدولة الفاطمية أن تفرض نفوذها السياسى لا المذهبى على سجلماسة فى فترات متباعدة إلا أن سجلماسة لم تخضع خضوعا تاما للنفوذ الفاطمى ،لان الخوارج الصفرية تأصلت فيهم النزعة الاستقلالية والعصبية المذهبية فلا يمكن أن يخضعوا للحكم الفاطمى بسهولة .

خلاصة القول.... أن السياسة الخارجية لدولة بنى وإسول الصفرية ،إتسمت بالنزاهة ،والتعفف عن دماء المسلمين واموالهم ،فلم تكن الدولة شاذة عن الدين باعمالها مما ساعدها ان تساير مجرى الاحداث السياسية فى العالم الاسلامى عامة وبلاد المغرب بصفة خاصة ،وان تخلق لها كيانا سياسيا مستقلا حيث اقامت علاقات مع الدول المجاورة والمعاصرة كانت اغلبها طابعها السلم وحسن الجوار والمنفعة المتبادلة.

١ـ المهدية : تنطق بالفتح ثم السكون : موضع قرب سلا .

ياقوت : المعجم : ج٥ : ص٢٢٩.

٢ـ السلاوى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى : ج١ : ص١٨١.

Abun - nasr,J: " History of the Maghrib" P.74.

٣ـ ابن ابى دينار : المؤنس فى اخبار افريقية وتونس : ص ٦٢ ـ ٦٤.

المقريزى : اتعاظ الحنفا : ص٦١ وما بعدها .

٤ـ ابن حيون : المجالس والمسايرات : ج١ : ورقة ٢٩٥ ـ ٢٩٨.

راجع حديث المعز لدين الله للمنتصر لله وشيوخ الصفرية وموقفه منهم فى الملحق السابع : ص١٧٢ـ١٧٧.

الفصل الثانى:

الحياة الاجتماعية

١- عناصر السكان.

٢- طبقات المجتمع.

٣- مظاهر الحياة الاجتماعية العامة والخاصة.

٤- مظاهر النشاط العمرانى.

عناصر السكان :-

ضمت إمامة بنى واسول الصفرية منذ تأسيسها العديد من العناصر السكانية وهم :-

١. العرب :.

ان انتشار العرب فى الارض لم يكن بالفتح فقط ، ولكنهم تفرقوا بالمهاجرة ايضا ، التماسا لسعة العيش فى البلاد العامرة ، لان ارض العرب قاحلة ومجدبة (١).

على أن الغالب فى نزوح العرب عن أحيائهم وانتجائهم كان بايعاز بعض الخلفاء أو الامراء ، خصوصا بعد رجوع العرب الى عصبية النسب بين قحطان وعدنان ، او مضر وقيس. فكان الامير أو الخليفة اذا تولى بلدا او خاف على سلطانه من أمير اخر ذى عصبية اخرى ، استقدم جماعة من قبيلته وأسكنهم فى ضواحى بلده لاستنصارهم عند الحاجة (٢).

على اية حال لم يكن للعرب فى بادىء الامر معرفة ببلاد المغرب، ويعزى ذلك لطبيعة بلاد المغرب الجغرافية ، وطبيعة سكانها الذين يمانعون الامم (٣).

ولكن بدأت معرفة العرب ببلاد المغرب فى منتصف المائة الخامسة ، حيث هاجرت جماعات من بنى هلال وبنى سليم(٤). فذكرت الروايات التاريخية ان بنى هلال وبنى سليم قد

---

١. جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى : ج٤ : ص٥٣ : مطابع دار الهلال : (١٩٦٨م).

٢. المرجع نفسه : ص ٥٣ - ٥٢.

٣. ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص٢٦.

٤. بنو هلال وسليم من بطون مضر ، فبنى هلال أصلهم من منطقة غزوان عند الطائف . أما بنو سليم فاصلهم من منطقة نجد مما يلى المدينة المنورة .

ابن خلدون : المصدر السابق: ج٦ : ص٢٧.

عبروا النيل[١]، وساروا برا الى برقة، ونزلوا بها وافتتحوا امصارها واستباحوها، وكتبوا لاخوانهم من بطون دياب وزغب [٢] ، بشرقى النيل يرغبونهم فى البلاد ، فعبروا اليهم [٣]. واصبحت بلاد المغرب موطنا لهذه القبائل ، فاقتسموا البلاد فيما بينهم [٤] . فنجد ان بنى هلال وسائر بطونها استقرت فى المنطقة الواقعة ما بين صحراء افريقية وصحراء المغرب الاوسط ، حيث موطن قبائل زناتة وبنى يفرن ومغراوى وغيرها ، اما سليم وبطونها فاخذت المنطقة الشرقية [٥].

أما منطقة المغرب الاقصى فقد سكنها عرب المعقل[٦] ، وقد عمروا صحراء المغرب الاقصى ، وكانوا حلفاء لزناتة ، واتسمت سياستهم تجاه القبائل البربرية بالمسالمة خاصة القبائل التى تسكن حول سجلماسة حيث ذكر ابن خلدون [٧] :((انهم لا يعرضون لسابلة سجلماسة ولا غيرها من بلاد السودان بأذية او مكروه)). وقد كثر عددهم بما اجتمع اليهم من القبائل الاخرى[٨].

---

١. ابن خلدون : لعلبر : ج٦: ص٢٠ .

٢. جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى : ج٤: ص٥٢ . ٥٣ .

٣. ابن خلدون : المصدر السابق والصفحة .

٤. جرجى زيدان : المرجع السابق والصفحات .

٥. ابن خلدون : المرجع السابق : ص٢١ .

٦. عرب المعقل : من اوفر قبائل العرب الذين دخلوا مع الهلاليين مواطنهم بالمغرب الاقصى ، قبالة تلمسان ، مجاورون لبنى عامر من زغبة وينتهون الى البحر المحيط . وهم ثلاثة بطون : ذوى عبيدالله ، وذوى منصور ، وذو حسان . فذوى عبيدالله مواطنهم بين تلمسان وتاوريرت . ومواطن ذو منصور من تاوريرت الى بلاد درعة الى سجلماسة . ومواطن ذو حسان من درعة الى المحيط .

ابن خلدون : المصدر السابق : ج٦ : ١١٨ . ١٢١ .

٧. العبر : ج٦ : ص١٢٠ .

٨. المصدر نفسه والصفحة .

أما فيما يتعلق بالهجرات العربية بعد الفتح الاسلامى فقد اشارت احدى الدراسات الحديثة لهجرات عربية اخرى واستقرارها فى مناطق سجلماسة وذلك خلال القرن الثالث الهجرى ، حيث نزحت جماعات عربية من مدن المشرق كالبصرة والكوفة وبغداد (١). هذا بالاضافة لهجرات عربية اخرى من مدن المغرب الاخرى والاندلس (٢) ، لم نعثر على نص من المصادر العربية المتاحة يوضح اسماء هذه العناصر العربية التى استقرت فى منطقة سجلماسة، ولكن طالما كان استقرارها منذ القرن الثالث الهجرى فما من شك انهم تلك الجماعات العربية التى رافقت حملة الفتح الاسلامى لبلاد المغرب الاقصى بقيادة عقبة بن نافع ومن بعده موسى ابن نصير اللذين اخضعا المغرب الاقصى ومناطق سجلماسة وتركا عددا كبيرا من العلماء لتعليم البربر القران الكريم والدين الاسلامى (٣) .

ب- البربر :-

البربر هم اهل البلاد الاصليون ، والغالبية العظمى من سكانها . وهم جنس اصيل قديم ينقسم بصفة عامة الى قسمين كبيرين : الاول البربر المستقرون ، سكان السهول الساحلية وبعض الاراضى الصالحة للزراعة فى الداخل ، ويسمون بالبربر البرانس وهم ابناء برنس(٤).

والبربر الرحل الذين يسكنون البوادى والجبال ويعيشون عيشة قريبة مما كان عليه العرب الجاهليون ، ويسمون البربر البتر ، وهم ابناء مادغيس، ويلقب بالابتر(٥).

---

١. الحبيب الجنحانى : المغرب الإسلامى . الحياة الاجتماعية والاقتصادية : ص ١٨٤ . ١٨٥.

٢. الحبيب الجنحانى : الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى سجلماسة :

بحث نشر بمجلة المؤرخ العربى : العدد الخامس : ص١٥٢ . ١٥٣.

٣. ابن عزارى : البيان المغرب : ج١ : ص٣٧. ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص٢١٧.

البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٢٢٢ . ٢٢٣.

٤. ابن خلدون : المصدر السابق : ج٦ : ص١٧٦ .

جرجى زيدان : تاريخ التمدن : ج٥ : ص١٩.

٥. ابن خلدون : المصدر السابق والصفحة.

جرجى زيدان : المصدر السابق والصفحة .

يمثل القسم الاول وهم البربر البرانس الصنهاجيون ، اما إلرحل فيمثلهم الزناتيون ، وهما فى الاصل اخوان من نسل مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح ، ويتفرع كل منهما الى قبائل كثيرة لاتحصى . عمرت بلاد المغرب من ادناه الى اقصاه وإنتشرت فى كل رحابه فملئت الجبال، والارياف، والضواحى، والامصار[١].

هذه القبائل البربرية امتزجت بالعرب المسلمين الفاتحين وبمن انتقل اليهم من القبائل العربية الاخرى [٢]، فصارت مزيجا من الدماء البربرية والعربية [٣].

أما بالنسبة لسكان منطقة سجلماسة فالغالبية من البربر البتر[٤]، خاصة فرع مكناسة [٥] .

---

١. جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى : ج٥ : ص١٩.

٢. ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص١٧٦.

٣. محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير : ج١ : ص٢٨ ، ٢٩.

٤. بجانب البربر البتر هناك عناصر بربرية ساهمت فى تشكيل المجتمع السجلماسى ولكن بقدر ضئيل نذكر منها : قبائل صنهاجة من البربر البرانس وقبائل بنوترجا ومطفرة .

ابن خلدون : المصدر السابق : ص٢٣٩.

٥. لم تذكر الروايات التاريخية تاريخا محددا لدخول المكناسيين المغرب الاقصى . بيد انها اتفقت على ان موطنها الاصلى كان على طول وادى ملوية فيما بين المغرب الاوسط والمغرب الاقصى ، وان اهم بطونها هى : صولات . بنوحوات . بنو فلاس . بنو ويدوس . وقنصارة . وقد هاجرت بعضا منها الى مناطق المحيط الاطلسى والبحر المتوسط ، بينما اتجه البعض الاخر نحو مناطق سجلماسة ، حيث استطاعوا ان يؤسسوا لهم دولة مستقلة عن سلطان الخلافة فى القيروان .

ابن خلدون : المصدر السابق : ص ٢٣٩ وما بعدها.

سعد زغلول عبدالحميد : تاريخ المغرب : ج١ : ص٩٥.

ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ : ج1 : ص١٤٩.

السودانيون (١):-

إن العنصر السوداني اقام في سجلماسة قبيل تاسيسها (٢) ، فقد وصل الى مناطق سجلماسة عيسى بن يزيد السوداني سنة (١٣٨هـ / ٧٥٥م) ، وكان صاحب ماشية ينتجع بها حول مناطق سجلماسة ، وكانت سجلماسة انذاك قرية صغيرة يجتمع فيها بربر المناطق المجاورة لها بغرض الانتجاع والتجارة البسيطة(٣).

ساهم العنصر السوداني مع بقية العناصر الاخرى في تأسيس سجلماسة سنة (١٤٠هـ/٧٥٧م) ، فاصبح لهم وزن كبير في المدينة ، لما كان يتمتع به عيسى بن يزيد من العلم والمكانة السامية وسط قومه مما حدى بشيخ قبيلة مكناسة ابوالقاسم ان يبايعه اماما (٤).

٤- اقليات اخرى :-

(أ) اليهود :-

هم اقدم عنصر من أهل الذمة هاجر (٥) ، واقام بافريقية الشمالية منذ عام سبعين قبل

١- ذكرت أحدى الروايات ان السودانيين هم اصلا البربر الذين اختلطوا بالروم ودخلوا في خدمتهم واعتنق كثير منهم المسيحية حسن احمد محمود : انتشار الإسلام في افريقية : ج١ : ص١٦٧.

ولكن الراجح انهم اهل السودان الغربي الذين تربطهم صلات بالمغرب منذ اقدم العصور وكانت هذه الصلات تتمثل في التجارة عبر الصحراء وقد استوطن عددا كبيرا منهم ارض المغرب ، وطال بقائهم حتى اصبحوا مغاربة ، وقد سكن معظمهم المدن والسواحل ، وعندما جاء الإسلام اقبل نفر منهم على الاسلام . الشناوي واخرون : دائرة المعارف الإسلامية : ج١٢ : ص٢٢٢

حسين مؤنس : ثورات البربر : مقال بمجلة كلية الاداب : جامعة القاهرة : المجلد العاشر امايو ١٩٤٨): ص ١٥٣ - ١٥٤ .

جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامة : ج٥ : ص١٩ .

٢- ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص٢٦٧.

احمد الياس حسين : العلاقات بين مملكة غانة وبلاد المغرب : ص ١٥٤.

٣- السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير : ج٢ : ص٥٨٢.

٤- سعد زغلول عبدالحميد : تاريخ المغرب العربي : ج٢ : ص٤١.

٥- تقول المصادر العربية ان اليهود انتشروا في العالم بعد ان اجلاهم الرومان عن فلسطين نهائيا ودمروا هيكلهم فغادروا فلسطين اثر السبي والطرد وانتشروا في العراق وايران وافغانستان وفي دلتا مصر الغربية ومنها الى سائر بلاد شمال افريقية .

أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر : ص١٢٨.

احمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ : ط٥ : ص ٦٢٥ - ٦٢٩ ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام - العراق : (١٩٨١).

الميلاد . وقد اختلطوا بالسكان وامتزجوا بهم وشاركوهم فى العادات والتقاليد واللغة وكثير من الاوضاع التى عليها المسلمون فى هذه المجتمات المغربية [١] . الا ان الديانة اليهودية لم تنتشر الا فى نطاق ضيق فى المناطق الداخلية وسط قبائل البربر البتر[٢] . فلم تكن الديانة اليهودية واسعة الانتشار بسبب ضعف التبشير فقد كانت عناية اليهود بالأعمال المالية، والتجارية ، وبالعديد من الصناعات خاصة المتعلقة بالذهب ، والفضة ، اكبر من عنايتهم بنشر ديانتهم [٣].

أقام اليهود فى سجلماسة لاشتهارها بالتجارة لاسيما تجارة الذهب[٤] ، وقد كانت معاملة الامراء ، والولاة ، واصحاب النفوذ، ومن قبل المسلمين كافة لليهود معاملة قائمة على اساس تعاليم الدين الاسلامى وتوجيهاته[٥]. فقد قال الله تعالى :((لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين))[٦].

احمد سوسة : العرب واليهود فى التاريخ : ط٥ : ص ٦٢٥ - ٦٢٩ . منشورات وزارة الثقافة والاعلام - العراق : (١٩٨١).

١. محمد الحبيب بن الخوجة : يهود المغرب العربى : ص١٢.

٢. من اشهر بطون البربر البتر التى اعتنقت الدين اليهودى قبائل جراوة ، ونفوسة ، ومندلاوة ، ومديونة ، وبهلولة ، وغياثة ، وبنوبازار . وبالرغم من اعتناقها للدين اليهودى الا انها عاشت فى ديارها تتكلم بلغاتها وتمارس عاداتها وتقاليدها التى نشأت عليها .

حسن على حسن : تاريخ المغرب ، عصر الولاة : ص٢٩٩.

أحمد سوسة : المرجع السابق والصفحات .

٣. محمد الحبيب بن الخوجة : المرجع السابق: ص٤٢ - ٤٣.

احسان حقى : تاريخ المغرب العربى : ص١١٧.

٤. الحبيب الجنحانى : المغرب الاسلامى - الحياة الاقتصادية والاجتماعية : ص١٨٧ - ١٨٨.

٥. محمد الحبيب بن الخوجة : المرجع السابق : ص١٤ - ١٥.

٦. سورة الممتحنة : الاية ٨ - ٩.

وخلال القرن الثالث الهجرى ووسط هذا الجو المعافى أصبح لليهود دورا بارزا فى الحياة التجارية بل سيطروا على تجارة الذهب [١] . ولكن سيطرتهم لم تستمر طويلا . فقد انتقم منهم ابوعبدالله الشيعى [٢] ، فأمر بقتل اغنيائهم ومصادرة اموالهم ، وفرض على البقية الراغبة فى الاقامة امتهان احدى الحرفتين : الكنافة [٣] أو البناء[٤].

ولكن محنة اليهود من جراء سياسة الفاطميين لم تستمر طويلا ، فعقب مغادرتهم البلاد ، عادوا الى دورهم البارز فى الحياة الاقتصادية تجارا ومرابين [٥] . واستطاعوا بما أوتوا من مكر ودهاء ان يكسبوا جانب السكان ويعيشوا معهم فى سلام [٦].

---

١. الحبيب الجنحانى : المغرب الاسلامى . الحياة الاقتصادية والاجتماعية : ص١٨٧ - ١٨٨.

٢. ذكر صاحب كتاب الاستبصار ان يهوديا اخبر اليسع بن مدرار بحقيقة عبيدالله المهدى وان عبدالله الشيعى هو داعيته ، فاعلم عبيدالله داعيته بالامر فانتقم من اليهود . مجهول المؤلف : الاستبصار : ص ٢٠٢.

٣. الكنافة : بضم الكاف ، وفتح النون ، والالف ، ثم فاء ، وهاء فى الاخر : نوع من الحلوى من عجين الحنطة يقطع على شكل خيوط رقيقة ويتم انضاجها بالسمن والسكر واكثر ما يؤكل فى شهر رمضان . هذه الحرفة كانت قاصرة على اليهود فاذا امتهنها غيرهم سموه مجرما : مجهول المؤلف : المصدر السابق والصفحة .

ابراهيم انيس واخرون : المعجم الوسيط : ج٢ : ص٨٠١.

٤. مهنة البناء ايضا موقوفة على اليهود لانهم كانوا يلازمون العمل ولا يخرجون لاداء الفرائض والعبادات فجاءت خدمتهم سريعة ومتقنة .

البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص١٤٨ - ١٤٩.

مجهول المؤلف : المصدر السابق والصفحة .

٥. المصدر نفسه والصفحة .

٦. المصدر نفسه والصفحة .

بجانب اليهود أقامت اقليات اخرى من الدولة الرستمية والدولة الادريسية والدولة الاموية بالاندلس[١].

هذه الاقليات ساهمت فى تشكيل المجتمع السجلماسى بجانب بربر مكناسة ، الا انها لم تتاح لها فرصة المشاركة فى الحياة السياسية فقد كان زمام الأمر بيد قبيلة مكناسة التى هيمنت على شئون الحكم ، ورغما عن بعدها عن المشاركة السياسية الا انها استطاعت ان تقيم فى سجلماسة فى امن وسلام ، بفضل سياسة التسامح الدينى التى عرفت بها دولة بنى واسول الصفرية فالخلافات المذهبية لم تقف عائقا فى ان يتمتع هولاء الاقليات بحقوقهم كمواطنين عاديين[٢].

٣- طبقات المجتمع :-

أما بالنسبة لطبقات المجتمع فقد انقسم المجتمع السجلماسي الى طبقتين اجتماعيتين :-

أولا : طبقة الحكام :-

بالرغم من ان سجلماسة ضمت العديد من العناصر السكانية الا ان العنصر الوحيد الذى شارك المكناسيين الحكم هو العنصر السودانى . فقد كان الامام الاول عيسى بن يزيد سودانيا، والذى انتهت حياته فى ظروف غامضة[٣]. وبموته لم يفتح المكناسيين المجال لعنصر سودانى أو غيره ليتولى الإمامة . حيث تولى الامر شيخهم ابوالقاسم سمكو بن واسول المكناسى[٤]

---

١. السلاوى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى : ج١ : ص١١٢.

٢. المصدر نفسه والصفحات .

سعد زغلول عبدالحميد : تاريخ المغرب العربى : ج٢ : ص٤٩١.

٣. ابن عذارى : البيان المغرب فى اخبار المغرب : ج١ : ص٩٤.

ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص٢٦٧.

٤. نفس المصدرين والصفحات .

السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير : ج٢ : ص٥٨٤.

استمرت هذه الاسرة تحكم سجلماسة اكثر من قرنين ونيف [١] . وقد ساهم الائمة الاوائل مساهمة كبيرة فى تقدم وازدهار المدينة . ولكن ما لبثت الدولة ان بدأت فى الضعف والانهيار وذلك حين انتهج بعض ائمتها سياسة توريث الابناء ، الامر الذى يتنافى ومبادىء الخوارج ، فوقعت البلاد فى براثن الاعداء وانتهى امرها[٢].

ثانيا : طبقة المحكومين :-

هذه الطبقة ضمن العديد من الطوائف السكانية اهمها :-

١- طبقة رجال الدين :-

هذه الطبقة تضم العلماء والفقهاء وشيوخ المذهب الصفرى ، وقد تمتعت هذه الطبقة بمكانة كبيرة وبارزة فى المجتمع السجلماسى بفضل سماحة اخلاقهم ورجاحة عقولهم [٣] . فقد كانت نفوسهم مليئة بنور الايمان [٤] . فكان لهم اليد الطولى فى نصرة الحق واقامة مراسم الشريعة [٥] . كما شاركوا فى الحياة السياسية فكان لهم القدح المعلى فى تأليب السكان ضد الغزو الفاطمى[٦].

ومن مشاهير علماء الصفوية يذكر : ابوالقاسم سمكو بن واسول ، وسعيد بن واسول كما وفد الى المدينة مجموعة من العلماء والصلحاء امثال : عيسى بن سعادة ، والامام ابوعلى

١- اى من سنة (١٤٠هـ /٧٥٧م - ٣٦٦هـ/٩٧٨م).

ابن الاثير : الكامل : ج١ : ص٣٢٩.

انظر الفصل الاول أئمة بنى واسول وسياستهم الداخلية : ص ٤٧-٥٨.

٢- السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير : ج٢ : ص٥٨٦.

٣- محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير : ج١ : ص١١.

٤- ابن عزارى : البيان المغرب : ج١ : ص٢١٦.

٥- المصدر نفسه والصفحة .

٦- ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص٢٦٩.

امدقنو ، وابو الربيع سليمان ، وابوالفضل النحوى ، ومحمد بن على الصقيلى وغيره. حيث ساهموا بقدر كبير فى الحركة الثقافية فى سجلماسة[١].

ب/ طبقة التجار :-

إحتلت هذه الطبقة مكانة مرموقة وسط المجتمع السجلماسى وذلك لغناها من مصادر التجارة المختلفة [٢] بالاضافة لتجار سجلماسة ضمت الطبقة التجار القادمين من البلاد الاخرى، الذين تجمعوا فى سجلماسة بغرض الذهاب الى بلاد السودان الغربى حيث مصادر الذهب والرقيق [٣].

ونتيجة لازدهار التجارة والحركة التجارية اصبح تجار سجلماسة من اغنى التجار بل واكثرهم مالا . يشير ابن حوقل الى ذلك بالقول [٤] :((واهلها قوم سراة[٥].. مع تجارة غير منقطعة منها الى بلاد السودان)). ولاهل سجلماسة دراية بدخول بلاد السودان الغربى . رغم ما أشيع من صعوبة دخولها [٦].

ج/ طبقة العمال والفلاحين والرعاة :-

شكلت هذه الطبقة السواد الاعظم من السكان ، وفى كل المجتمعات هذه الطبقة تعيش

---

١. لمزيد من التفصيل عن هؤلاء العلماء ودورهم الفكرى راجع الفصل الرابع : ص ٤٨-١٥٥.

٢. الحسن الوزان : وصف افريقية : ج٢ : ص١٢٦.

٣. المصدر نفسه والصفحة .

٤. صورة الأرض : ص٩٠ - ٩١.

٥. سراة : مفردها سرا : بمعنى سخاء ومروءة .

ابراهيم انيس واخرون : المعجم الوسيط : ج١ : ص٤٢٨.

٦. ياقوت : المعجم : ج٣ : ص١٩٢.

حياتها الاجتماعية دون مستوى الطبقات الاخرى حيث تتفاوت درجاتها فغالبا طبقة العمال فى وضع افضل من الفلاحين والرعاة [١].

أما عن المرأة ودورها فى المجتمع فقد وردت اشارات مقتضبة ، فذكر القزوينى أن [٢] : ((لنساء سجلماسة يد ماهرة فى صناعة النسيج فالمرأة تعمل منه كل حسن بديع من الازر[٣] التى تفوق القصب[٤] الذى بمصر ويبلغ ثمن الازار الواحد خمسة وثلاثين دينارا أو اكثر)). وأضاف احد المهتمين بدراسة ثقافة المغرب قائلا : أن المرأة السجلماسية قد نشطت بجانب الرجل فى ميدان الصناعة فنسجت الزرابى ، ونقشت الاوانى واهتمت بتربية الماشية ، وكانت المرأة سيدة منزلها تدير شئون المنزل بكل اقتدار ، ولم تهمل نفسها [٥] حيث كانت ملاذا للرجل ، ان استشارها نصحته وان عاد من عنت العمل غمرته بالمحبة والحنان ، ووفرت له سبل الراحة ، تدير شئون البيت باقتدار تام[٦].

كما ان هناك دراسة لفريق من الباحثين لم تخرج من هذا الاطار حيث ذهبت الى القول: ان المرأة انحصر دورها فى النشاط الحرفى خاصة فى انتاج الصوف ومشتقاته ، حيث تركز العمل الحرفى عند العائلات الفقيرة ، خاصة فى صفوف المسنات . وظهر عينات من هذا

---

١. حسين مراد : دولة بنى مدرار : ص٢٢١ . رسالة ماجستير : معهد البحوث : جامعة القاهرة (١٩٨٧م).

٢. اثار البلاد واخبار العباد : ص ٤٢ . دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر : بيروت : (١٩٦٠م) .

٣. الازر : مفردها ازار وازرة : عبارة عن قطعة قماش كبيرة تلف على اسفل الجسم وتلفح به لعلاه ، وهو لباس للرجال والنساء . اما الوانه فغالبا الازرق او الابيض ، ثم الذى تغلب عليه الحمرة والصفرة ويصنع من الصوف والقطن .

صبيحة رشيد رشدى : الملابس العربية وتطورها فى العهود الاسلامية : ط١ : ص٥٢ . ٥٤. مؤسسة المعاهد الفنية (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) .

ابراهيم انيس واخرون : المعجم الوسيط : ج١ : ص١٦.

٤. القصب : مفردها قصبى : وهو ثوب رقيق ناعم من الكتان .

ابراهيم انيس واخرون : المعجم الوسيط : ج٢ : ص٧٢٧.

٥. الحسن السائح : دفاعا : عن الثقافة المغربية : ص٢٢ . دار الكتاب: الدار البيضاء : (١٩٦٨م)

٦. يحى بن معمر : الاباضية فى موكب التاريخ : ط١ : ج٢ : ص٢٢٩. مطابع دار الكتاب العربى : مصر : (١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م).

الانتاج فى جهاز العروس الذى تقوم بتنفيذه الامهات والاخوات . وكان الانتاج لا يتعدى اشغال الحياكة ، كحياكة الاصواف والفساتين المطرزة ، والثياب التقليدية . اما اسعار الانتاج فكانت متفاوتة فلا تخضع لاى تقييم او رقيب . وكان سوق تصريف الانتاج متمحور ضمن نطاق العلاقات – الاهل والجيران والعلاقات الاجتماعية المتفرقة[١].

على العموم لم توضح المصادر العربية الكثير عن دور المرأة ونشاطها فى المجتمع . ويبدو ان اغفال المجتمع لابداعات المرأة العربية عموما من زمان بعيد اتخذ سمة التعمد . فعبرسنوات طوال ظلت المرأة بشكل عام اشبه بالشىء المملوك . سلبية الارادة ، نادرة المشاركة ، فى حركة الحياة العامة ، ولهذا انعدم مناخ التفوق والبروز لديها ، وزالت من حولها دوافع الاشادة ورغبة الانصاف فافتقدنا بالتالى المعلومات التفصيلية عن دورها فى المجتمع الا النذر اليسير.

٣- مظاهر الحياة الاجتماعية العامة والخاصة :-

من ابرز مظاهر الحياة الاجتماعية انتشار الاسلام، والذى له اثر واضح على حياة السكان الاجتماعية . فقد كان دخول الاسلام مناطق سجلماسة من اهم مظاهر التغيير الاجتماعى[٢]. وهذا يعنى تقبلهم للتشريع القاضى بتنظيم الاسرة والمجتمع وفق معايير اسلامية كالاخلاق واداب السلوك والعلاقات الاجتماعية . يضاف الى ذلك تقبلهم للتقاليد العربية الاسلامية والتأسى بها فى حياتهم العامة والخاصة ، هذا فضلا عن شعورهم بالميل نحو الجماعات الاسلامية والاختلاط بها[٣].

١- مجموعة من الباحثين : باشراف مونيك غادان وميشل كرببيل: نساء المغرب فى الحاضر : ص٥٩: مجلة الشاهد : العدد ٩٢ : (١٩٩٣م).

٢- حسن احمد محمود : العالم الاسلامة فى العصر العباسى : ص ٢٢٨ - ٢٢٩ : القاهرة : (١٩٦٦م).

٣- حسن احمد محمد : المرجع نفسه والصفحات .

كما كان للتجار القادمين من مختلف البلاد لاسيما المدن الشرقية ، والمغربية، والاندلس، تاثيرا اجتماعيا على السكان الذين اخذوا الكثير من عادات وتقاليد هؤلاء التجار حيث تركت نتائج حضارية ملموسة على المجتمع السجلماسي[١].

اما فيما يتعلق باقامة الافراح فقد جاءت المعلومات عنها شحيحة . ولكن نستنتج مما ذهبت اليه احدى الدراسات : أن اقامة الافراح بانواعها المختلفة كانت تتم بالرقص والغناء وهذا النوع من الرقص وجد عند الطبقة الشعبية فى مختلف قبائل المغرب حيث يقوم به الرجال والنساء مصحوبا بغناء فردى او جماعى مستخدمين الات العزف والايقاع التى تستعملها كل قبيلة او ناحية حسب تقاليدها . ومن الرقصات المشهورة نذكر : رقصة الاحواش ، والحيدوس ، والسوسى ، والركزة وغيرها . كما اشتهرت الصحراء المغربية وغالبا ما تكون مناطق سجلماسة برقصة القدرة[٢].

اما الاحتفالات الدينية فلم تمدنا المصادر بتفاصيل عنها ولكن طالما ان الدولة امامة اسلامية فحتما انهم يحتفلون بالاعياد الاسلامية كعيدى الفطر والاضحى وعاشوراء والمولد النبوى الشريف ...الخ على اساس ان الدين الاسلامى هو السائد والغالب فى الدولة .

أما فيما يتعلق بالطعام ، والشراب ، والملبس . فقد كانت حياتهم على حسب تلك العهود بسيطة فى كل شيء ، ثم تطورت بمرور الزمن باختلاطهم بالامم المتحضرة وبما ورد عليهم من اساليب العيش مع امتيازهم باشياء هى وليدة ابتكارهم من بيئتهم الجديدة [٣] .

لما كانوا يزرعون القمح والشعير فقد كانوا يقتاتون القمح والشعير الا انهم يفضلون الشعير على القمح لان الشعير اصح للاجسام واسرع هضما -حسب زعمهم- فمن دقيق

---

١. الجنحانى : المغرب الاسلامى - الحياة الاجتماعية والاقتصادية : ص١٨٣.

٢. الحاج ادريس بن جلون : الموسيقى والرقص فى المغرب وطرق المحافظة عليها : ص٣٦ ، وزارة الشئون الثقافية : تونس [١٩٧٨م].

٣. محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير : ج١ : ص٤١.

الشعير يطبخون الحساء (١) ، كما يصنعون طعاما من القمح يسمى (الكسكس)(٢) . كما يصنعون من دقيق الشعير والقمح (السويق) . وذلك بقلى الشعير او القمح (٣) : ويخلطونه بزيت الزيتون او بزيت من حب يشبه المشمش (٤) . او بالسمن ، وياكلونه وهو زادهم فى الاسفار ومقدمة طعامهم للضيف ، وهو غذاء مناسب لكل الفصول (٥) . كما كانوا يقتاتون التمر حيث تجود المنطقة بانواع مختلفة منه (٦) .

ومن طعامهم (العصيدة)، وهى غالبا من دقيق الشعير حيث يصب الشعير فى الماء حتى اذا غلى يحركونه حتى ينضج ، ثم يصبون عليه مرق الزيت واللحم ويأكلونه وهو طعام يليق لذوى الاعمال الشاقة . وبمرور الزمن تطورت هذه الاطعمة وتنوعت وكثرت انواعه فصارت لا تحصى (٧) .

بجانب ذلك كانوا يشربون لبن البقر والغنم والابل ويقتاتون بلحومها ، يشونها ويطبخونها ،

---

١. البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص ١٤٨ . ١٤٩:

الحسن الوزان : وصف افريقية : ص١٢٦.

محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير : ج١ : ص ٤٥ . ٤٦.

٢. محمد على دبوز : المرجع نفسه : ص ٤٥.

٣. المرجع نفسه : ص٤٥ . ٤٦.

٤. عبدالله المامون : جغرافية المامون : ورقة ١٩٨ . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٢٤٩ جغرافية .

محمد على دبوز : المرجع السابق : ص٤٥.

٥. محمد على دبوز : المرجع السابق : ج١ : ص٤٥.٤٦.

٦. ابن حوقل : صورة الأرض : ص.٩.

٧. محمد على دبوز : المرجع السابق : ص٤٥ . ٤٦.

وقد اشتهرت ماشية سجلماسة دون سائر المناطق بالرخص والسمن [١] ، وذلك لتوفر النباتات الصالحة للمرعى حول المنطقة [٢] .

أما مصادر مياه الشرب فغالبا من مياه نهر زيز ، وعندما تنحسر مياه النهر فى فصل الصيف ويقل الماء لا يجدون غير الماء المالح المستخرج من الإبار[٣].

اما اللبس فيلبسون (القشابة) ويعد أحسن لبس فى الشتاء ، ويقى كذلك من المطر ، وهى جميلة المنظر ، لاتعوق الحركة ، وتستر الجسم كله حتى الرأس ، وهو من الصوف [٤]. كما يلبس (الحائك) واشتهرت به مناطق المغرب الاقصى ، وهو رداء من الصوف يلبس فى كل الفصول ، بجانب ذلك يلبسون (الفنور) وهو عبارة عن قلنسوة من الصوف مدورة ، توضع على الرأس ، وهو لباس الاعياد ، وايام الزينة ، وهو كذلك لباس الفرسان [٥]. بجانب ذلك تفننت المرأة فى صنع الكثير من الملبوسات الصوفية ، والقطنية ، كالازار ، والقصب والغفارات [٦] ، والجوارب [٧] .

اما الاحذية فكانت غالبا من الجلود والاحذية انواع منها المدورة التى تستر القدم (كالبابوج) والموصول بما يستر الساق الى الركبة[٨].

---

١. ابن الخطيب : مشاهدات ابن الخطيب فى بلاد المغرب والاندلس : ص١١٤.

٢. سعد زغلول عبدالحميد : تاريخ المغرب العربى : ج١ : ص١٠٤.

٣. البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص ١٤٨ - ١٤٩.

٤. محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير : ج١ : ص٤١ - ٤٤.

٥. المرجع نفسه والصفحات.

٦. القزوينى : اثار البلاد واخبار العباد : ص ٤٢.

الحميرى : الروض المعطار : ص ٥٩.

ابن الخطيب : تاريخ المغرب فى العصر الوسيط : ص١٢٨.

٧. محمد على دبوز : المرجع السابق : ص٤٤.

٨. المرجع نفسه : ص ٤١ - ٤٤.

٤. مظاهر النشاط العمراني :-

لم تكن بلاد المغرب وشمال افريقيا بعيدة عن التأثر باساليب العمارة الاسلامية (١) . فقد تأثرت بلاد المغرب بالعمارة الاسلامية في عصر بني امية ؛ حيث كانت العمارة الاسلامية الاموية أول الفنون الاسلامية (٢).

ولما آلت الخلافة للعباسيين ، اتخذ الفن الاسلامي اتجاها جديدا حيث تأثرت العمارة الاسلامية بالاساليب الفارسية(٣) وانتقلت اساليب العمارة العباسية الى شمال افريقيا على ايدى الاغالبة(٤).

على العموم ظلت الاساليب الفنية القديمة قائمة في بلاد المغرب . ولم تفقد صلتها بالفن الروماني . وان تأثرها بالفن الاموى كان بسيطا جدا . كما لم تتأثر بالطراز العباسي الا تأثرا بطئيا ، لا يكاد يظهر تماما قبل القرن العاشر للميلاد (٥).

اما بالنسبة للعمارة الاسلامية في سجلماسة فليس بين ايدينا معلومات كافية نستطيع ان نبرز من خلالها النشاط المعماري والفني لها الا عن طريق الإشارات العابرة .

---

١. عبدالعزيز حميد وصلاح حسين العبيدي : الفنون العربية الإسلامية : ص ١٤١ دار الحرية : بغداد / (١٩٧٩م) .

٢. زكي محمد حسن : فنون الإسلام : ص ١٢ - ١٣. مطبعة لجنة التاليف والنشر : القاهرة : (١٩٤٨م).

٣. المرجع نفسه والصفحات .

٤. عبدالعزيز حميد وصلاح حسين العبيدي : المرجع السابق والصفحة .

٥. زكي محمد حسن : اطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية : ص ٢ . مطبعة جامعة القاهرة : (١٩٥٦م) . زكي محمد حسن : المرجع السابق : ص ١٥ - ١٦ .

على العموم العمارة فى سجلماسة كانت على انماط ثلاثة :-

أ. النمط المدنى :.

بعد ان استقرت سجلماسة سياسيا ، وتحولت من قرية صحراوية الى مدينة عامرة متسعة الاطراف ومركز تجارى هام ، شرع مخططوها فى تحديد الطرقات ، ولوحظ فى تخطيطها ان تكون متصلة بالمسجد ودار الإمامة لتسهيل اداء الفرائض والإتصال بمقر الإمام[١] .

كما أحيطت المدينة بسور عال اسفله من الحجارة واعلاه من الطوب لحماية المدينة وسكانها من الاخطار، والغارات الخارجية [٢] . وقسمت المدينة الى خطط [٣] ، حيث اخذت كل قبيلة خطة[٤]. كما جعل للمدينة أثنا عشر بابا ، ثمانية منها حديد [٥] . وذكر ابن سعيد[٦] :((من حيث خرجت من هذه الابواب ترى النهر والنخيل وغير ذلك من الشجر)).

---

١. الحبيب الجنحانى : المغرب الاسلامى . الحياة الاقتصادية والاجتماعية : ص١٥٤ . ١٥٥.

٢. البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص١٤٨.

الحسن الوزان : وصف افريقية : ج٢ : ص١٢٧ . ١٢٨.

٣. الخطط : مفردها خطة : وهو تقسيم الارض وجعل لها خطوطا وحدودا وتعيينها للعمارة . انظر : ابراهيم انيس واخرون : المعجم الوسيط : ج١ : ص٢٤٤. بطرس البستانى : محيط المحيط : ج١ : ص ٥١٤.

٤. البكرى : المصدر السابق والصفحة . الحسن الوزان : المصدر السابق والصفحة .

٥. المقدسى : احسن التقاسيم : ص٢٢١ .

القلقشندى : صبح الأعشى : ج٥ : ص١٦٤.

٦.كتاب الجغرافيا : ص١٢٤.

أصبحت المدينة محاطة بالعمائر من كـل جـانب ، فـاصبحت متسـعة الارجـاء ذات احيـاء كثيرة[١] . بجانب ذلك هناك منازل للايجار اقامها الاهالى او الدولة للتجار وغـيرهم مـن الذيـن كانوا يترددون على سجلماسة [٢] . وقد شبه ابن حوقل ابنية المدينـة بابنيـة الكوفـة قائـــلا[٣] :((وابنيتها كابنية الكوفة ابوابها رفيعة وقصورها عالية)).

تنوع النمط المدنى فشمل بناء القصور او الابنية العالية وقد ذكرت الروايات التاريخية ان بالمدينة ما يقرب من الثلاثمائة قصرا ما بين متوسط وكبير . كان اهمهـا قصـر الامـارة الـذى يحوى مقر الحكم ودواوين الحكومة ، وقـد اطلقـوا عليـه اسم القصبـة[٤]، علـى غـرار القصبـة المعصومة بالدولة الرستمية [٥].

ثم يلى قصر الامارة فى الاهمية عدة قصور نذكر منها :-

١- قصر تنجيوت :-

اقرب القصور للعاصمة سجلماسة ، حيث قدر عدد سكانه بحوالى الف شخص [٦].

٢-قصر تبعصامت :-

يقع على بعد ثمانية أميال جنوب قصر تنجيوت . وهو قصر كبير ، جل سكانه من التجار والاجانب بالاضافة لليهود المشتغلين بالصناعة والتجارة .

---

١. القلشقندى : صبح الأعشى : ج٥ : ص١٦٤ .

٢. الحبيب الجنحانى : المغرب الإسلامى : ص ١٥٤ . ١٥٥

٣. صورة الارض : ص.٩٠.

٤. القصبة : تعنى المدينة . راجع : ابراهيم انيس واخرون : المعجم : ج٢ : ص٧٣٧.

٥. الحبيب الجنحانى : المرجع السابق : ص١٥٥.

٦. الحسن الوزان : وصف افريقية : ج٢ : ص١٢٥ . ١٢٦.

ر.قصر المامون :-

وهو قصر كبير ، كثير السكان خاصة طبقة التجار من المسلمين (١).

هذه القصور كانت جميلة ، دقيقة الزخارف (٢) ، ولما كان معظم سكانها من التجار فقد انتشرت مظاهر الترف داخلها متمثلا فى استخدام الخدم المجلوبات من بلاد السودان الغربى ، اللائى اشتهرت بمزايا كثيرة منها : المهارة فى الطبخ . والواحدة كانت تباع بمائة دينار أو اكثر(٣). كما أن لكل قصر من هذه القصور امير يدير شئونه ويفض النزاعات التى كثيرا ما كانت تنشب بين السكان (٤).

ب- النمط الدينى :-

اما العمائر الدينية فيمكن القول بان الطراز المغربى لم يضف لمسات فنية جديدة فى تصميم المساجد وزخرفتها . - فأغلب الظن- ان أهل الفن من المسلمين فى بلاد المغرب اتخذوا مسجد القيروان انموذجا لمساجدهم (٥) . فكانت المساجد تتكون من صحن داخلى واسع تحف به البوائك وفى وسطه فسقية ، وقد يزين بالنباتات والشجيرات وتكسى جدران الاروقة بالفسيفساء ، واحيانا بالواح القاشانى(٦) . ولا يستبعد ان اهل سجلماسة نقلوا هذا الطراز الى

---

١. الحسن الوزان : وصف افريقية : ج٢ : ص١٢٥ - ١٢٦.

٢. زكى محمد حسن : فنون الإسلام : ص ٢٨ - ٣٠.

٣. الحميرى : الروض المعطار : ص ٥٤.

٤. الحسن الوزان : المصدر السابق والصفحات .

٥. احمد فكرى : مساجد الإسلام : ص١١٢.

٦. زكى محمد حسن : المرجع السابق : ص ١١١ - ١١٢.

مساجدهم فقد وصفت فى الروايات التاريخية بانها كانت جميلة [١]. قال البكرى[٢] :((وجامعها متقن البناء بناه اليسع فأجاد)).

كذلك اتخذ رجال الفن المغاربة مئذنة القيروان انموذجا لماذنهم [٣] ، حيث ترجع اهميتها فى اتخاذها اداة لدعوة المسلمين من فوقها الى اداء شعائر الصلاة [٤] . وقد تفاوتت اشكالها فبعضها مربعة الاساس والبناء [٥] ، والاخر مخروطى او اسطوانى واغلبها متوج بانواع من الشرفات الصغيرة الدائرية الشكل المعروف باسم الحواجزليتنقل فيها المؤذن اثناء الاذان [٦]. وعرفت المئذنة بالصومعة فى بلاد المغرب ، فكانت الماذن بالاضافة لاستخدامها فى الاذان ، تستخدم كابراج للكشف والمراقبة [٧].

جـ. النمط العسكرى :.

اشتملت العمائر العسكرية فى سجلماسة على الحصون والقلاع والاربطة ، بالنسبة للحصون نفى الادريسى وجود الحصون بقوله[٨]:((ولا حصن عليها وانما هى قصور وديار)). – ولكن الراجح – ان المدينة كان بها عدد من الحصون وذلك استنادا على ما ذكره المقدسى

---

١. الحسن الوزان : وصف افريقية : ج ٢ : ص ١٢٧ - ١٢٨.

٢. المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص١٤٨.

٣. احمد فكرى : مساجد الإسلام : ص ١١٢.

زكى محمد حسن : فنون الإسلام : ص ١٤٤.

٤. محمد ابراهيم الصيحى : الفن والعمارة عند العرب : ص١٥ . مكتبة نهضة مصر : القاهرة : ابدون تاريخ].

٥. احمد فكرى : المرجع السابق والصفحة.

زكى محمد حسن : المرجع السابق والصفحة .

٦. محمد ابراهيم الصيحى : المرجع السابق والصفحة.

٧. زكى محمد حسن : المرجع السابق والصفحة .

٨. نزهة المشتاق : ج١: ص٢٢٥ - ٢٢٦.

حيث قال[١]:((فى وسطها حصن يسمى العسكر فيه الجامع ودار الامارة)). وايده الشناوى واخرون بقولهم[٢]:((كانت البلدة عامرة باهلها متسعة الاطراف تتألف من حصون منيعة)). أهم هذه الحصون حصن (تاسجدالت) يبعد اثنى عشر ميلا عن المدينة ، فيه مياه كثيرة[٣].

بجانب هذا الحصن تقع القلعة المشهورة التى كان صاحبها من علماء المنطقة ويقال أنه شارك فى احدى الرحلات الدراسية الى بلاد المشرق عام (٢٠١هـ) [٤]. ولكن رغم وقوفنا على مجموعة من علماء تلك المنطقة لم نعثر على اشارة لهذا العالم ودوره العلمى فى المنطقة المشار اليها .

بجانب ذلك هناك الرباط [٥] . كان العرب المسلمون بعد ان فتحوا بلاد المغرب يرابطون من اجل حماية حياض المسلمين ورد المعتدين ، فقد كانت سواحل بلاد المغرب ، عرضة

---

١. احسن التقاسيم : ص٢٣١.

٢. دائرة المعارف الاسلامية : ج١١ : ص٢٠٠، ٢٠١.

٣. الحبيب الجنحانى : المغرب الاسلامى : ص١٥١ .

٤. المرجع نفسه والصفحة .

٥. الرباط : نوع من الابنية العسكرية ، يسكنه المجاهدون الذين يدافعون عن حدود الاسلام بحد السيف . انتشرت الاربطة فى صدر الاسلام وكان اهمها فى شمال افريقية . وكان تصميم الرباط عبارة عن ابنية مستطيلة الشكل لايواء الجنود المرابطين ، وفى اركانها ابراج عالية ، وبداخلها قاعات تحوى مخازن للطعام ، ومستودعات الات الحرب ، وروابط الخيل . راجع:

زكى محمد حسن : فنون الاسلام : ص٢٦.

محمد المنونى : التعريف بالرباط : مقال بمجلة المناهل : العدد السادس : ص ٢٤٠، ٢٤١.

Scanned by CamScanner

لغارات الاسطول البيزنطى ، وكانت المدن المغربية تصاب من جراء هذه الغارات باضرار جسيمة(١).

وبتوغل الاسلام والثقافة العربية فى بيئة المغرب ساعد فى ان تخرج بالربط عن وظيفتها الاولى وهى ايواء الجند المدافعين عن الثغور ، حيث بدأ الناس يقصدون الربط لتلقى العلم ، اذ غدت الرباطات مدارس يدرس فيها الفقه والحديث ، يقصدها العلماء من كافة جهات المغرب ، والمشرق ، للافادة والاستفادة (٢) .

اما بالنسبة لبلاد المغرب الاقصى فقد انتشرت حركات المرابطة انتشارا بعيد المدى حيث اوغلت فى السواحل حتى ادركت المحيط الاطلسى واوغلت فى قلب بلاد السوس حتى وصلت الى اطراف الصحراء ، ترفع لواء الزهد والتقشف ، وتعمل على نشر الاسلام والتمكين لمبادئه من قلوب الناس (٣).

وقد انتشرت الاربطة من المحيط الى قلب صحراء سجلماسة كالاتى :-

اولا :-

رباط تاسماطت جهة اغمات(٤).

---

١. حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين : ص١٢٨ .

مكتبة النهضة المصرية : القاهرة : (١٩٥٧م).

٢. المرجع نفسه : ص١٢٠ . ١٢١.

٣. المرجع نفسه : ص١٢٥ . ١٢٦ .

٤. محمد المنوفى : التعريف بالرباط : ص٢٤٤ . ٢٤٥.

ثانيا :-

رباط حكم ببلاد السراغنة من هسكورة .

ثالثا :

رباط بيد الجدى فى هسكورة .

رابعا :-

رباط او جدام فى بلدة ركونة .

خامسا :-

رباط تانوطيهر فى بلدة دكالة [١]

سادسا :-

رباط ابندور خارج مدينة سجلماسة [٢] .

١- دكالة : بفتح اوله ، وتشديد ثانية : بلدة بالمغرب .

ياقوت : المعجم : ج٢ : ص٤٥٩.

٢- محمد المنونى : التعريف بالرباط : ص٢٤٤ - ٢٤٥.

الفصل الثالث:

الحياة الاقتصادية

١- النشـــاط الزراعـــى.

٢- النشـاط الصناعـــى.

٣- النشـاط التجـــارى.

١- النشاط الزراعى :-

كما هو معلوم أن سجلماسة مدينة تتوسط سهلا رمليا امتاز بالخصب لوفرة مياه نهـــر زيز[١]. أما الأراضى المحيطة بالمدينة فهى صحراوية شحيحة الامطار لا تساعد على زراعة الحبوب الغذائية، كالقمح ، والدخن ، والذرة[٢]. لذلك يزرعون هذه الحبوب الغذائية فى البساتين المقامة على طول النهر [٣]. و يشبه الادريسى زراعتهم السقوية هذه بزراعـــة الفلاحيـن المصريين على ضفتى النيل حيث يقول [٤] : ((ويزرعون بمائه حسب ما يزرع فلاحو مصـر . ولزراعتهم اصابة كثيرة)). حيث خصوبة التربة السوداء التى تلائم زراعة هذه الحبوب الغذائية[٥]. وقد نمت هذه الحبوب فى هذه التربة نموا جيدا و جادت بمقـادير وفيرة [٦]. و كـان الفلاح السجلماسى يزرع هذه الحبوب عامـا كـاملا و يحصدها ثلاثـة اعوام متتاليـة مـن غير حاجة الى اعادة بذرها [٧] . وقد اكتفى السكان ذاتيا من هذه الحبوب [٨].

---

١. الادريسى : نزهة المشتاق : ج١ : ص٢٢٥ ـ ٢٢٦. ابن حوقل : صورة الارض : ص٩٠

مجهول المؤلف : الاستبصار فى عجائب الامصار : ص٢٠١.

٢. الحبيب الجنحانى : الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى سجلماسة : ص١٤٢.

٣. المرجع نفسه والصفحة.

٤. نزهة المشتاق : ج١ : ص٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

ابن حوقل : المصدر السابق والصفحة.

٥. مجهول المؤلف : مفتاح الراحة فى علم الفلاحة : ورقة ٦٢ . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٨٥ زراعة.

٦. البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقيا والمغرب : ص ١٥١.

٧. ذكر الجغرافيون المسلمون ان السبب فى ذلك يعود الى ان البلدة شديدة الحرارة وان تربتها طينية مشققة فاذا نضج الزرع تناثر ودخل فى تلك الشقوق فاذا كان العام التالى وغمرتها مياه النهر خرج الزرع بلا بذر ، وكذلك فى العام الثالث ، ولكن الانتاج لا يكون قمحا اذا كان المزروع قمحا انما يكون حب صلب المكسر وسط بين القمح والشعير يسمى (السلت) وسماه البكرى (الصينى) .

انظر :

الادريسى : المصدر السابق والصفحات . البكرى : المصدر السابق والصفحة .

٨. مجهول المؤلف : المصدر السابق والصفحة .

تنوعت المحاصيل الزراعية فشملت الغلات النقدية كالقطن والحناء والكراويا[١]، والكمون. حيث زرعت فى التربة الرملية الصفراء التى تلائم زراعتها [٢] .

اما اشجار الفواكه فقد زرعت فى البساتين المحاطة بالمدينة من كل جانب ، و التى امتدت على طول النهر اكثر من اربعة فراسخ[٣] ، خارج البلدة [٤] . وبلغت مساحتها اثنى عشر فرسخا من كل جانب[٥] . وقد جادت اشجار الفواكه هذه بمختلف انواع الثمار مثل الرمان ، والزيتون[٦] ، . واشتهر منها العنب ، الذى زرع في رستاق[٧] تيومتين على بعد اربعة فراسخ من سجلماسة ، فانتج عنبا شديد الحلاوة[٨]. بجانب ذلك اشتهرت المدينة بنوع من الزبيب يسمى الظلى [٩]. كما تميزت سجلماسة دون سائر البلدان المغربية باشجار النخيل يقول التلمسانى[١٠].

---

١. الكراويا : عشب له جذر وتدى وساق قائمة متفرعة ، ورقته كثيرة التقصص ، يتخذ من ثمرته شراب منبه : انظر :

ابراهيم انيس واخرون : المعجم : ج ٢ : ص٧٨٥.

٢. مجهول المؤلف : مفتاح الراحة فى علم الفلاحة : ورقة ٦٢.

٣.عن الفرسخ أنظر ص ٢٨.

٤. الشناوى واخرون : دائرة المعارف الاسلامية : ج١١ : ص٢٠٠.

٥.هذه المساحة يزرع خمسها فقط حتى لا يتضاعف الانتاج وتقل الاسعار .

القزوينى : اثار البلاد واخبار العباد : ص٤٢ .

٦. المقدسى : احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم : ص٢٢١.

الجنحانى : المغرب الاسلامى - الحياة الاقتصادية والاجتماعية : ص١٧١ - ١٧٢.

٧. رستاق : معربة واللفظ فارسى .يستعمل للناحية التى هى طرف الاقليم . راجع :

المقرى : المصباح المنير : ص٣٤٦.

٨. ياقوت : معجم البلدان : ج٣ : ص١٩٢.

٩. يسمونه الظلى لانهم يعتقدون ان يجف فى الظل ولا يتعرض للشمس .

البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقيا والمغرب : ص١٤٨.

الحميرى : الروض المعطار : ص٢٠٥ - ٢٠٦.

١٠. نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب : ج٥ : ص٤٦٩ : دار صادر : بيروت : ١٣٨٨هـ /١٩٦٨م : تحقيق احسان عباس.

لقد راقتني مرأى سجلماسة الذي

يقر له في حسنه كل منصف

كان رؤوس النخل في عرصاتها(١)

فواتح سورات بآخر مصحف

اما الدمشقي فقال(٢): ((مدينة سجلماسة عبارة عن غابات نخيل)) .

أنتجت اشجار النخيل انواعا مختلفة من التمر , شديدة الحلاوة ,ذكية النكهة(٣). يؤكد ابن بطوطة ذلك بقوله (٤):((بسجلماسة التمر الكثير الطيب تشبهها مدينة البصرة في كثرة التمر الا ان تمر سجلماسة أطيب)) . اشهر اصناف التمر صنف البرني وايرار والبتوني والثوى (٥) ، إلا ان صنف البرني اجودها وهو اخضر اللون ، حسن المنظر، احلى من الشهد، نواه صغير جدا (٦). وقد اشتهرت سجلماسة دون سائر البلاد المغربية بانتاج التمر , ويكفي أن بها اكبر سوق للتمر في بلاد المغرب (٧).

١.عرصات : مفردها عرصة : هي البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء .

احمد رضا : معجم متن اللغة : ج٤ : ص.٧. الرازي : مختار الصحاح : ص٤٢٤.

٢.نخبة الدهر في عجائب البر والبحر : ٢٢٨.

٣.ابن حوقل : صورة الارض : ص.٩ .

السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير : ج٢ : ص١١.

٤.رحلة ابن بطوطة : ص٦٧٢ .دار صادر للنشر : بيروت : (١٩٦٠م).

القلقشندي : صبح الاعشى : ج٥ : ص١٦٤.

٥.ابن بطوطة : المصدر السابق والصفحة .

ابن الوردي : خريدة العجائب وفريدة الغرائب : ص١٦.

البستاني : دائرة المعارف : ج٩ : ص٥٠٨.

٦.الادريسي : نزهة المشتاق : ج١ : ص٢٢٦.

٧.حورية عبده سلام : علاقات مصر ببلاد المغرب : ص١٩٤ . ١٩٥. رسالة (دكتوراة): كلية الاداب : جامعة القاهرة : قسم التاريخ : (١٩٧٤م).

كما زرعت فى سجلماسة شجيرات ليست بالكبيرة تنبت حبا فى حجم المشمش [١] يصنع منه الزيت الصافى الذى يستخدم فى الاكل والاضاءة[٢].

أما فيما يتعلق بنظام الرى فقد كان الفلاح السجلماسى يتمتع بثقافة زراعية عالية تماثل الثقافة الزراعية عند فلاحى حوض النيل وبلاد آسيا [٣]. ولما كان الانتاج الزراعى يتوقف على وفرة مياه الرى والعناية بتخصيب الارض وجودتها ، كان طبيعيا ان يهتم اهل سجلماسة اهتماما كبيرا بنظم الرى[٤] .فقسم الفلاح السجلماسى الاراضى الزراعية الى احواض تغمرها مياه النهر بفرعيه الشرقى والغربى . وقد استخدم الناعورة [٥] ، والشادوف [٦]، والدولاب[٧] ، لرفع الماء من النهر [٨]. يبدو ان الرى بهذه الالات الرافعة هو الغالب فالبلاد كما هو معروف شحيحة الامطار [٩].

---

١. المشمش : من الفصيلة الوردية ، يوكل ثمرة غضا ، او مجففا ، او على شكل شرائح .

ابراهيم انيس واخرون : المعجم الوسيط : ج٢ : ص٨٧٢.

٢.عبدالله المامون : جغرافية المامون : ورقة ١٩٨.

٣. الحسن السائح : دفاعا : عن الثقافة المغربية : ص.٣٠.

٤. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام : ج٤ : ص٢٨٩.

٥. الناعورة : الة لرفع الماء من الابار او الانهار تسيرها الدولاب او قوة الماء الرافعة ، قوامها دولاب كبير وانية كالجيوب تحمل الماء الى اعلى وتفرغه ثم تعود سيرتها الاولى : انظر :

جبران مسعود : الرائد : ص.١٤٧.

٦. الشادوف او الجادوف : أداة يرفع بها الماء من النهر الى الحقول العالية .

جبران مسعود : المرجع السابق : ص٤٩٣.

٧. الدولاب : الة مستديرة من حديد او خشب تديرها الدابة ليستقى بها . أنظر:

ابراهيم انيس واخرون : المعجم الوسيط : ج١ : ص٣٠٤.

٨. البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقيا والمغرب : ص١٤٨ .

مجهول المؤلف : الاستبصار فى عجائب الامصار : ص٢٠١.

٩. انظر الملحق الثامن : ص ١٧٨.

مما تقدم تبين اعتناء الفلاح السجلماسى بتطوير اساليب الزراعة ، عناية جاوزت تلبية حاجته الاستهلاكية حتى اصبح كثيرا من المنتوجات الزراعية تمثل مكانا بارزا فى قائمة البضائع المصدرة . مثال ذلك : التمر الذى يمثل ابرز الصادرات الفلاحية[١]. الى جانب القمح الذى ارتفع ثمنه تطورت اساليب زراعته. ويضاف اليهما الكمون ، والعنب ، والكراويا والحناء[٢]. هذه المنتوجات كانت تجهز وتصدر الى سائر بلاد المغرب وبلاد السودان الغربى[٣].

اما بالنسبة لملكية الاراضى فيلاحظ ان تاثير راس المال التجارى فى شراء الاراضى الزراعية واستثمارها كان معدوما . اذ لم يساهم راس المال التجارى مساهمه ذات اثر فى تقدم الزراعة وتطور المجتمع الريفى[٤] ، كما هو الحال فى مناطق اسلامية اخرى فى نفس العصر لا سيما فى بلاد الشام والعراق[٥].

اما فيما يتعلق بتربية الماشية ، فالمنطقة جغرافيا تعد من المناطق الصحراوية الا ان سجلماسة اتخذت شكل الواحة حيث استمدت المياه من نهرها الكبير المعروف بزيز. هذا علاوة على مياه الامطار التى تهطل احيانا. فهذا يؤكد ان المنطقة كانت مخضرة مما شجع

---

١. الحبيب الجنحانى : نظام ملكية الارض فى المغرب الاسلامى. مقال بمجلة المؤرخ العربى: العدد ٢٢ : سنة (١٩٨٢م) : ص٢٠ . ٢١ .

٢. الادريسى : نزهة المشتاق : ج١ : ص٢٢٦.

٣. راجع علاقات سجلماسة التجارية مع بلاد السودان الغربى والبلاد الاخرى : ص

٤. عبدالعزيز الدورى : تاريخ الاقتصاد فى القرن الرابع الهجرى : ص٤٦ : بيروت : (١٩٧٤م)

Robert, M : "L'expansion Musulamane" . P.168 . Paris, (1969).

٥. اما فيما يتعلق بالملكية العقارية فى بلاد الشام وخاصة فى العراق فقد تجلى اهتمام اهل العراق بالاستثمار الزراعى وتفضيلهم امتلاك الارض على التجارة والصناعة ، حيث تهافت اصحاب الثروة على امتلاك الاراضى حين اطلقت الحكومة لهم الحرية فى اقتناء الاراضى . لما عرف به العراق من انهار كثيرة واراضى خصبة ، فادى ذلك الى الاهتمام بشئون الرى وتطور اساليب الزراعة مما عاد بالخير على المجتمع العراقى . راجع :

على حسن الخربوطلى : تاريخ العراق فى ظل الحكم الاموى : ص ٣٤٧ : دار المعارف : مصر: (١٩٥٩م) .

عبدالعزيز الدورى : المرجع السابق : ص٢٦.

Robert, M : op. cit : p. 167 - 168.

اصحاب الماشية على ارتيادها للانتجاع (١) . وتاكيدا لذلك ان عيسى بن يزيد الذى اصبح اماما لسجلماسة فيما بعد كان قد وصل الى هذه المنطقة (١٣٨ هـ) بماشيته للانتجاع . كما ارتادها ابو القاسم سمكو الذى اصبح الامام الثانى ، وكان ايضا صاحب ماشية . اذ ان اختيار هذه المنطقة دون غيرها يدل دلالة واضحة على وفرة النباتات الصالحة للمرعى .

أهتم سكان سجلماسة بتربية الماشية خاصة الاغنام، والماعز، لحاجتهم الى لحومها ، والبانها ، وجلودها (٢)، وجاء اهتمامهم بتربية الجمال لاستخدامها فى الاعمال الزراعية وفى وسائل النقل لتأمين المواصلات الصحراوية ، وتنمية الصلات التجارية فأصبحت الجمال عمادهم فى الصحراء يأكلون من لحومها ويشربون من البانها , ويكتسون من اوبارها(٣).

٢-النشاط الصناعى

من المعلوم ان تطور الصناعة مرهون بالتقدم العمرانى , فالعمران البدوى البسيط لايحتاج من الصناعة الا البسيط الذى يتمشى مع ظروفها ويسد إحتياجاتها من الصناعات الضرورية كالنجارة ، والحدادة (٤)، أما العمران الحضرى فيؤدى الى إزدهار وتقدم الحرف والصناعات ، حيث تسود المجتمع حياة الترف والرفاهية (٥).

بالنسبة لسجلماسة لم ينحصر نشاطها فى المجال الزراعى فقط فابتداءا من نهاية القرن الثانى الهجرى اصبحت المدينة مركزا تجاريا هاما، وصاحب ذلك تقدمها وتطورها العمرانى

---

١. الحبيب الجنحانى : المغرب الإسلامى : ص١٧٤.

٢. ابن الخطيب : مشاهدات ابن الخطيب فى بلاد المغرب والاندلس : ص١١٤.

٣. احمد سوسة : العرب واليهود فى التاريخ : ص٢٩٧.

٤. الحبيب الجنحانى : المرجع السابق والصفحة .

٥. المرجع نفسه والصفحة .

حسين مراد : دولة بنى مدرار : ص١٨٦.

مما ادى الى ظهور انواع من الحرف ، والصناعات[١]، أبرزها صناعة النسيج والصوف[٢].

نتيجة لتقدم صناعة النسيج والطلب المتزايد للملبوسات الصوفية والقطنية أضطرت سجلماسة الى استيراد القطن الاشبيلى [٣] المشهور [٤]. حيث إنتجت سجلماسة انواعا مختلفة من الملابس الجيدة النسيج الرفيعة الاصواف[٥]. وكانت النساء يقمن بغزلها ويتفنن فيها , فبلغت درجة عالية من الجودة والإتقان ، حتى قيل أنها فاقت مايصنع فى البلاد المصرية من القصب[٦]. يشير ابن الخطيب الى ذلك بقوله[٧]: ((لنساء سجلماسة يد ماهرة فى صناعة غزل الصوف فهن يعملن منه كل حسن بديع من الازر[٨] ، التى تفوق القصب الذى بمصر , ويبلغ ثمن الازار خمسة وثلاثين دينار او اكثر)) ويضيف القزوينى[٩]: ((ويعملن غفارات[١٠] مصبوغة بالوان مختلفة ، يبلغ ثمنها مثل ثمن الازار)) .

---

١. مجهول المؤلف : مفتاح الراحة فى علم الفلاحة : ورقة ٦٣.

سعد زغلول عبدالحميد : تاريخ المغرب العربى : ج١ : ص١٠٤.

٢. الحبيب الجنحانى : المغرب الإسلامى : ص١٧٤.

٣. اشبيلية : تنطق بكسر الالف ، وسكون الشين وكسر الباء ، ثم ياء ساكنة ولام ثم ياء : تقع غرب قرطبة ، وهى مدينة كبيرة ، ليس بالاندلس اعظم منها ، تميزت بكثرة الخيرات خاصة القطن . انظر:

ياقوت : المعجم : ج١ : ص١٩٥ . ابن حوقل : صورة الارض : ص ١١٠ .

الدمشقى : نخبة الدهر : ص٢٤٣.

٤. الحميرى : الروض المعطار : ص٩٥.

٥. الشناوى واخرون : دائرة المعارف الإسلامية : ج١١ : ص٣٠٠.

٦.عن القصب انظر الفصل الثانى : ص ٨٦.

٧. تاريخ المغرب فى العصر الوسيط : ص١٣٨.

٨.عن الازر : راجع الفصل الثانى : ص ٨٦.

٩. اثار البلاد واخبار العباد : ص٤٢.

١٠.غفارات : مفردها غفارة : عبارة عن قطعة من القماش تغطى بها المرأة راسها . راجع :

ابراهيم انيس واخرون : المعجم الوسيط : ج٢ : ص٦٥٦.

كما قامت بعض الصناعات المرتبطة بالذهب المحلى فى مناطق درعة وتامدلت [١]. ولما كانت الكمية لاتفى واحتياجات الصناعة أضطرت ان تستورد الذهب من بلاد السودان الغربى وخاصة من غانة[٢] من أبرز تلك الصناعات هى صناعة الحلى كالاساور، والاقراط والخواتم [٣]. بجانب ذلك قامت بعض الصناعات المرتبطة بالفضة والنحاس ، حيث توفرت الفضة فى درعة والنحاس فى مدينة تيجامين . فصنعت الاساور، والاقراط ، والخواتم [٤].

يضاف الى ذلك ان المدينة قامت ببعض الصناعات الاخرى كالسيوف، والدروع ، والرماح [٥] . وصك العملة الفضية والذهبية [٦] ، والتى كانت تشبه المثاقيل[٧] الخفيفة [٨] . كما اشتهرت المدينة بصناعة الاوانى الخشبية حيث تفننت النساء فى نقش هذه الاوانى ، وقد توفرت المواد الخام لهذه الصناعة من شجرة تعرف باسم (تامجاثت) [٩] . وعرفت المدينة صناعة الزيت لاستخدامه فى الطعام والاضاءة . وكان يستخرج من حب يشبه

---

١. الحبيب الجنحانى : الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى سجلماسة : ص١٤٢.

حورية عبده سلام : علاقات مصر ببلاد المغرب : ص١٩٥.

٢. البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقيا والمغرب : ص١٥١.

٣. الحبيب الجنحانى : المغرب الإسلامى : ص١٧٥.

٤. الحسن السائح : دفاعا عن الثقافة المغربية : ص٣٢.

٥. المرجع نفسه والصفحة .

٦. كانت تزن اربع حبات وتساوى ثمانون منها مثقالا .

الحسن الوزان : وصف افريقيا : ج٢ : ص١٢٦.

٧. المثاقيل : جمع مثقال : وهو وحدة قديمة من الوزن وعيار لوزن المعادن الثمينة . والمثقال يساوى ٦٥ حبة أو ٤/٢٥ جرام .

عبدالرحمن فهمى محمد : صنع السكة فى فجر الإسلام : ص١ . مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٧م.

٨. الحسن الوزان : المرجع السابق : ج٢ : ص١٢٦ وما بعدها .

لمزيد من التفاصيل عن العملة راجع : ص ١٢٧.

٩. الحبيب الجنحانى : المرجع السابق والصفحة .

المشمش فى صفته، ولونه، وكانوا يقومون بنقشيره وتكسيره ثم يطبخ ويستخرج منه الزيت الصافى (١) .

لاشك ان اسواق سجلماسة كانت عامرة بهذه المنتوجات الصناعية المختلفة التى اشتملت على الملابس القطنية، والصوفية ، بالاضافة الى المصوغات الذهبية، والفضية، والنحاسية . وهذا يدل على انتعاش الصناعة وتقدمها وذلك بفضل تشجيع الدولة وتوفيرها للامن والاستقرار بالاضافة لجودة المعروض وتزايد الطلب .

٢/ النشاط التجارى :-

أ- الطرق التجارية :-

اصبحت سجلماسة من اكبر المراكز للتجارة الاقليمية فى بلاد المغرب فى العصر الاسلامى الوسيط ، وذلك لقيامها بدور الوسيط فى التجارة الخارجية فقد كانت معظم القوافل التجارية القادمة من المراكز التجارية المختلفة والمتجهة الى بلاد السودان الغربى او العائدة منها تمر بسجلماسة . فحركة القوافل لم تنقطع عنها طول العام، ويمكن الحديث عن اهم الطرق التجارية(٢) والتى اختلف الجغرافيون فى تحديد بداياتها ، ونهاياتها ، لذلك فالدراسة سوف تركز على الطرق الهامة والتى كان لها الاثر الفاعل فى علاقات سجلماسة التجارية مع الدول الاخرى . من هذه الطرق يذكر:-

١/ طريق يخرج من تلمسان ويمر عبر توان وينتهى عند سجلماسة ، حيث قدرت المسافة بعشر مراحل (٣).

١.عبدالله المامون : جغرافية المامون : ورقة ١٩٨.

٢. انظر الملحق التاسع : ص ١٧٩.

٣. مراحل : جمع مرحلة : وهى المسافة التى يقطعها المسافر فى يوم .

جبران مسعود : الرائد : ص١٢٥٧.

٢/ طريق يخرج من واحات مصر الى برقة ، فطرابلس ، فبلاد الجريد ، ثم قفصة [١] ، فالقيروان ، فقسطيلية ثم بلاد الزاب ومنها الى تاهرت فتلمسان ، فوجدة ، ثم الى سجلماسة[٢].

٣/ طريق يخرج من بلاد الجريد جنوب البلادالتونسية الى ورجلان [٣] ، ثم الى غدامس ، ومنها الى سجلماسة[٤] .

٤/ طريق اخر يخرج من طرابلس الغرب ويمر عبر فزان وينتهي عند سجلماسة [٥] .

---

١. قفصة : تنطق بفتح القاف ، وسكون الفاء ، وصاد مهملة ، ثم هاء في الاخر : تقع في طرف افريقية من ناحية الغرب بينها وبين القيروان ثلاثة ايام .

ابو الفداء : تقويم البلدان : ص١٤٢ - ١٤٣ . ياقوت : المعجم : ج٤ : ص ٣٨٢ - ٣٨٣.

٢. المراكشي : المعجب في تلخيص اخبار المغرب : ج٢ : ص٤٤٣.

ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ : ج١ : ص٢٣٧.

سلك هذا الطريق القوافل القادمة من بلاد المشرق حيث كانت تخرج من مصر وتمر بالواحات الداخلة والخارجة ومنها عبر الصحراء راسا الى بلاد السودان الغربي دون المرور بسجلماسة ولكن في بدايات القرن الثالث الهجري اهمل هذا الطريق بسبب العواصف الرملية العنيفة التي كانت تجتاح القوافل ، بالاضافة لتعرضها لهجمات اللصوص . فاصبح الاتصال عبر طريق سجلماسة والذي يعد طويلا مقارنة بالطريق المهجور الا أنه اكثر امنا .

ابن حوقل : صورة الارض : ص٦٥.

ادم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري . ط٤ : ج٢ : ص٤١٩ . مكتبة الخانجي : القاهرة (١٩٦٧م) ترجمة : محمد عبدالوهاب ابوريدة .

٣. ورجلان : تنطق بفتح الواو ، وسكون الراء ، وفتح الجيم ، ثم الف ونون : تقع بين افريقية وبلاد الجريد ، وتعد من البلاد الصحراوية ، سكانها البربر الذين كانوا على المذهب الاباضي .

البغدادي : مراصد الاطلاع : ط١ : ج٣ : ص١٤٢٣ . دار احياء الكتب العربية : مصر :(١٩٥٤م) تحقيق على محمد البجاوي .

الدمشقي : نخبة الدهر : ص٢٣٤.

٤. المراكشي : المصدر السابق والصفحة .

٥. سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي : ج١ : ص٧٤ - ٧٧.

Bovill, E.W:" Cravan of the old sahara" p. 128. London, 1938.

٥/ طريق صحراوى يخرج من واحات مصر الى واحات برقة الى فزان ثم الى زويلة [١] ، فورجلان وينتهى عند سجلماسة [٢] .

٦/ طريق يخرج من القيروان ويمر بورجلان وينتهى عند سجلماسة قدر طول هذا الطريق بشهرين [٣] .

٧/ طريق يخرج من اغمات ويمر عبر وادى درعة وينتهي عند سجلماسة . مسافة هذا الطريق ثمانى مراحل ، والماء متوفر فى هذا الطريق ويوجد على مسافة يومين او ثلاثة من وادى درعة [٤] .

هذه الطرق كانت تلتقى فى سجلماسة ومن ثم تنطلق نحو بلاد السودان الغربى ، ولكن كتاب القرنين الثالث والرابع الهجريين لم يوضحوا تفاصيلها بصورة دقيقة . فاليعقوبى[٥] مثلا ذكر ان الطريق الذى يخرج من سجلماسة عبر ديار البربر يمر بديار انبية [٦] الصنهاجية ثم

---

١. زويلة : بفتح الزاى ، وكسر الواو ، وسكون الياء ، ثم لام وهاء : اسم لمدينتين بينهما رمية حجر . احدلهما افتتحها المسلمون ، وصارت قاعدة بلاد فزان ، بها مساجد واسواق عامرة . والاخرى بناها المهدى عبيدالله وسماها المهدية .

ابو الفداء : تقويم البلدان : ص١٤٦ ـ ١٤٧ . ياقوت : المعجم : ج٣ : ص١٥٩ ـ ١٦٠.

البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقيا والمغرب : ص١١.

٢. رغم مايو صف هذا الطريق بانه صحراوى الا ان الامر ليس كذلك فمنابع المياه والواحات منتشرة فى الطريق وبفضلها استطاعت القوافل السير فى سهولة ويسر .

سعد زغلول عبدالحميد : تاريخ المغرب العربى : ج١ : ص٧٤ ـ ٧٧.

٣. ابن حوقل : صورة الارض : ص٩١ . الاصطخرى : كتاب الاقاليم : ص٢٤.

٤. ابن حوقل : المصدر السابق والصفحة .

٥. تاريخ اليعقوبى : ج١ : ص١٩٠.

٦. انبية : احدى بطون صنهاجة كانت مواطنهم بالصحراء .

ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص٢١١.

الى اودغست (١) . حيث قدر المسافة مابين سجلماسة واودغست باكثر من خمسين مرحلة ، ووصف الطريق بأنه عبارة عن قفار (٢) ، أما ابن حوقل فذكر (٣):((ان طريق سجلماسة اودغست شهرأن ثم بضعة عشر يوما الى غانة)) والحميرى (٤) ذكر. ان القوافل التى تنطلق من سجلماسة وتريد بلاد السودان الغربى لابد لها من المرور عبر سلا وتكرور (٥))) .

ولكن بدأت تظهر معالم وتفاصيل الطرق بكتابات البكرى الذى ذكر اربعة طرق تنطلق من بلاد المغرب الى بلاد السودان الغربى وهى :-

١- طريق يخرج من اقصى الغرب على ساحل المحيط الاطلسى عند اوليل (٦) ، وتقطع القوافل هذه الرحلة فى شهرين .

---

١. اودغست : تنطق بفتح الهمزة ، وسكون الواو ، وفتح الدال والغين ، وسكون السين ، ثم تاء : تقع شرق بلاد السودان الغربى يحدها من الغرب البحر المحيط ومن الشمال سجلماسة ، نشأت وتطورت نتيجة موقعها الجغرافى على مسلك الطرق التجارية ، فقد كانت تمثل محط رحال القوافل القادمة من سجلماسة والمتجهة الى بلاد السودان الغربى . اهلها مسلمون يقرأون القران ويؤدون الفرائض فى جماعات . انظر :

ياقوت : المعجم : ج١ : ص٢٧٧ - ٢٧٨ .

الدمشقى : نخبة الدهر : ص٢٢٨ .

البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقيا والمغرب : ص١٥٨ .

٢. قفار : مفردها قفر : وهو الخلاء من الارض لا ماء فيه ولا بشر ولا كلأ .

ابراهيم انيس واخرون : المعجم الوسيط : ج٢ : ص٧٥ .

جبران مسعود : الرائد : ص١١٩٤ .

٣. صورة الارض : ص٩٠ .

٤. الروض المعطار : ص٢٩ .

٥. تكرور : بفتح التاء ، وسكون الكاف ، وضم الراء ، وسكون الواو ثم راء فى الاخر : تقع فى اقصى جنوب المغرب . حدودها من الاطلس غربا الى برنو - تشاد حاليا شرقا . كانت جزءا من مملكة مالى . ظلت تتمتع برخائها الاقتصادى لموقعها الجغرافى كمركز تجارى ومحط للقوافل .

ابو الفداء : تقويم البلدان : ص١٦٠ - ١٦١ .

٦. اوليل : بلدة تقع فى جنوب المغرب ، اشتهرت بمعدن الملح . بينها واودغست مسافة شهر .

ياقوت : المصدر السابق : ص٢٨٢ .

٢- طريق يخرج من تامدلت ،ويمر بأودية كثيرة ،إلا ان القوافل تتعرض للنهب من قبيلة لمطه[١].

٣- طريق يخرج من درعة ويصل الى بلاد السودان الغربي في اقل من شهر ،بالرغم من قصر هذا الطريق إلا انه غير مطروق لعدم توفر المياه .

٤- طريق يخرج من سجلماسة ويمر بارض مسوفة[٢]، ثم تسير القوافل الى تفازة وتصلها بعد عشرين مرحلة ،ومنها الى غانة حيث تصلها بعد شهرين [٣].

يمكن القول ان سر اقبال القوافل التجارية على طريق سجلماسة يعود الى جملة التسهيلات التى وجدتها القوافل والتى تتمثل فى وجود الوكلاء من اهل سجلماسة ،والذين يقومون باتمام العمليات التجارية نيابة عن التجار، وذلك بمقتضى عقد توكيل[٤]. كما وفرت المدينة الادلاء وهم ايضا من اهل البلدة وهؤلاء مهمتهم ارشاد القوافل وتوصيلها الى حيث تريد، لمعرفتهم التامة بهذه الطرق [٥]. كما ان اهل سجلماسة كانوايستقبلون القوافل بالترحاب، واحيانا بالدفوف ، فيستفيدون منها ويتعيشون على ماتحمله من صنوف التجارة[٦]. حتى ان بعض التجار استطاب لهم المقام فى سجلماسة لما وجدوه من الربح التجارى الوفير والنعم الكثيرة وقد كان معظم هؤلاء التجار من بلاد المشرق كالبصرة ، والكوفة، وبغداد [٧]. وكان معهم

---

١. لمطة : من بطون البرانس : انظر:

ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص٢٨٢.

٢. مسوفة : من بطون صنهاجة احدى بطون البربر البرانس ، كان موطنهم بالصحراء وهم اهل وبر . المصدر نفسه : ص٢١١.

٣. البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص١٤٩.

Bovill, E.W: " Cravan of the old sahara" p. 68.

٤. حسن على حسن : تاريخ المغرب العربى : ج١ : ص٢٥٩ ـ ٢٦٠.

٥. عبدالقادر زبادية : مملكة صنغاى فى عهد الاسقيين : ص٢١٢. الشركة الوطنية للنشر الجزائر .

ابرهيم انيس واخرون : المعجم الوسيط : ج٢ : ص١٠٥٥.

٦. نفس المرجعين والصفحات .

٧. ابن حوقل : صورة الارض : ص٦٥ .

ابرهيم حركات : المغرب عبر التاريخ : ج١ : ص١٥٧.

راس المال والخبرة فى المعاملات التجارية فكان لهم الفضل فى اثراء حركـة التجـارة وتطـور نظم المعاملات التجارية فحققت سجلماسة ارباحا طائلة وازدادت ثروتها نتيجـة ماتفرضـه مـن ضرائب مناسبة على هؤلاء التجار(١).

ب. التجارة الداخلية :.

ساهم عبور القوافل فى تنشيط حركة التجارة الداخلية والتى ساعدت فى دفع عجلـة البـلاد الإقتصادية (٢). وقد اعتمدت التجارة الداخليـة علـى الانتـاج المحلـى مـن المحـاصيل الزراعيـة وبعض الصناعات الخفيفة .هذا فضـلا عمـا يـرد اليهـا مـن منتوجـات البـلاد الأخـرى . حتـى اصبحت سجلماسة من اكبر المراكز للمعـاملات التجاريـة فـى بـلاد المغـرب قاطبـة(٣) كـانت حركة التجارة الداخلية تنمو وتنشط تبعا لوجـود الاسـواق المحليـة التـى تـتم فيهـا عمليتـا البيـع والشراء ،فاصبحت الأسواق مظهرا لإزدهار الحياة الاقتصادية (٤).

تقع أسواق سجلماســة بيـن الاحيـاء العـامرة بالسـكان وكـان اكثرهـا ازدهـارا القريـب مـن المسجد الجامع حيث تكثر وتنشط حركتـى البيـع والشـراء(٥). وكـانت هـذة الاسـواق مـن حيـث التنظيم كأسواق بلاد المغرب تماما منسقة تنسيقا ملائما ، فكانت الدكـاكين صفـا متصـلا يقابلـه مثله يفصل بينها ممر معقود السقف بالاجر. واحيانا بالحجارة الخفيفة . وامـام صـف الدكـاكين توجد مصطبة(٦) يجلس عليها صاحب الدكان مع زبائنه(٧).

---

١. ابن حوقل : صورة الارض : ص ٦٥. ادم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى : ج٢ : ص٢٨٢.

٢. عقيقى محمود ابراهيم : احوال بلاد المغرب الاقتصادية فى ظل السيادة الفاطمية ؛ ص١٤٥ . ١٤٦.

٣. حسن على حسن : تاريخ المغرب العربى : ص٢٥٤ ـ ٢٢٥.

٤. الشيزرى : نهاية الرتبه فى طلب الحسبة : ص ١١ : مطبعة لجنة التاليف : القاهرة (١٩٤٦م).

٥. المرجع نفسه والصفحة . وانظر حورية عبده سلام : علاقات مصر ببلاد المغرب : ص١٩٩ ـ ٢٠٢.

٦. المصطبة : بناء من الحجر او الاجر يقام بجانب وجهة الدكان ، ويبلغ ارتفاعها نحو المتر ، وسطحها فى مستوى ارضية الدكان .

الشيزرى : المصدر السابق والصفحة .

٧. حسن حسنى عبدالوهاب : ورقات من الحضارة العربية بافريقية التونسية : ج١ : ص١١٠-١٢٠ . مكتبة منار : تونس : (١٩٦٥) .

الشيزرى : المصدر السابق والصفحة .

عمرت هذه الأسواق بمختلف المنتوجات الزراعية وخاصة الذرة، والدخن، والعنب والزبيب ، وكان بها اكبر سوق للتمور فى بلاد المغرب[١]. كما اشتهرت الاسواق بالملابس الصوفية المتقنة الصنعة بلغت درجة عالية من الجودة حتى قيل إنها كانت تفوق مايصنع فى مصر[٢]. بجانب ذلك هناك سوق الصاغة ،الذى اشتهر بإنواع مختلفة من الحلى والاساور، والخواتم ، والاقراط ، والقلائد الذهبية، والفضية[٣].

عرفت أسواق سجلماسة نظام التجارة المتخصصة حيث أقيمت اماكن خاصة لكل اصحاب سلعة وعرفت بها مثل سوق العطارين ،والخياطين ،والصاغة ،والنحاسين والحدادين ٠٠٠٠٠ الخ[٤].

كما ان هناك نوعا من الاسواق سمى باسم اليوم الذى يقام فية كسوق الخميس ، وسوق الاحد[٥]. ترتيب وتنظيم الاسواق هذه انتقل الى سجلماسة من القيروان ،فقد نظم يزيد بن حاتم والى افريقية ،اسواق القيروان تنظيما دقيقا فانتقل ذلك الى بقية عواصم المغرب [٦].

ساهم تطور الاسواق وحركة التجارة فى ظهور بعض الوظائف المرتبطةبالتجارة ومن تلك الوظائف : الدلال[٧]. والوكيل وهو الشخص الذى يقوم بإتمام العمليات التجارية من بيع

---

١. الادريسى : نزهة المشتاق : ج١ : ص٢٢٦.

حورية عبده سلام : علاقات مصر ببلاد المغرب : ص١٩٤ - ١٩٥.

٢. ابن الخطيب : تاريخ المغرب فى العصر الوسيط : ص١٢٨.

٣. الحبيب الجنحانى : الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى سجلماسة : ص١٤٢.

٤. الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة : ص٤٨ وما بعدها .

جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى : ج٥ : ص١٩ وما بعدها .

٥. الشيزرى : المصدر السابق : ص١٠ .

٦. المصدر نفسه : ص١٠ وما بعدها .

٧. الدلال : هو الشخص الذى يتوسط بين البائع والمشترى . انظر:

الشيزرى : المصدر نفسه : ص٦٤.

وشراء لصالح موكليه سواء كانوا من تجار المغرب او البلاد الأخرى وكان الوكيل يضطر فى بعض الأحيان للسفر الى مختلف الجهات لإتمام الصفقات التجارية [١]. كذلك هناك الحمالون الذين ينقلون البضائع على اكتافهم او على الدواب [٢]. كذلك وجد السقاة الذين يقدمون الماء لمرتادى السوق من التجار وغيرهم.[٣]

كما اخذت اسواق سجلماسة بنظام الحسبة[٤]، حيث تولى عملية الأشراف على الأسواق ومراقبتها ما يسمى بالمحتسب . كانت مهمته أن يجعل لاهل كل صنعة سوقا يختص بهم لعرض صناعتهم فيه ويراقب الاسعار، ويراعى الاداب العامة، ويمنع الغش فى المكاييل والموازيين [٥]. وسائر البضائع المعروضة[٦]. وكان يتعهد اصحاب السوق بكنسه، وتنظيفه، من الاوساخ ، والطين ، وغير ذلك مما يضر بالناس ،كما كان يلزم أصحاب الموازيين

١.عبدالقادر زبادية : مملكة صنغاى فى عهد الاسيقيين : ص٢١٢.

٢.عفيفى محمود ابراهيم : احوال بلاد المغرب فى ظل السيادة الفاطمية : ص١٤٥ - ١٤٦.

٣. المرجع نفسه والصفحات .

٤. الحسبة : منصب كان يتولاه فى الدول الاسلامية رئيس يشرف على الشئون العامة من مراقبة الاسعار ورعاية الاداب ، والذى يتولى الحسبة يسمى محتسب ، ومن شروطه ان لايكون قوله مخالفا لفعله ، وان يكون عفيفا عن اموال الناس متورعا عن قبول الهدية ويلزم المحتسب غلمانه واعوانه بما التزمه من هذه الشروط .

الشيزرى : نهاية الرتبة :ص.١ وما بعدها .

ابراهيم انيس واخرون : المعجم الوسيط : ج١ : ص١٧١ . جبران مسعود : الرائد : ص٥٦٧.

٥. فيما يتعلق بوحدتى الكيل والوزن فقد كان الرطل هو وحدة الوزن فى بلاد المغرب ويساوى ستة عشر وقية . اما وحدة الكيل فكان القنقل او (القفيز) ويساوى ثمانى زلاجات والزلاجة تساوى ثمانى امداد بمد النبى صلى الله عليه وسلم . حيث قدر مد سجلماسة بخمسة وسبعين حبة من قمح سجلماسة . بجانب ذلك وجدت وحدة اخرى للكيل وهى (الوسق) او (الصحفة) وتعادل ستون صاعا من الصاع المستخدم منذ عهد النبى صلى الله عليه وسلم .

البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص١٥١.

حورية عبده سلام : علاقات مصر ببلاد المغرب : ص٢٠٠ - ٢٠٢.

٦. الشيزرى : المصدر السابق : ص١١- ١٨.

بنظافتها ومسحها من الدهون ، والاوساخ فى كل ساعة، حتى لايجمد الدهن والاوساخ ويـؤدى الى الزيادة فى الوزن [١]. كما كان يجدد النظر فى المكاييل والموازيين بين الحين والاخر ، يتفقد عيار الصنج والحبات وغير ذلك على حين غفلة من أصحابها [٢]. وكان يساعد المحتسب غلمان واعوان كعيون له يلازمون الاسواق والطرقات فى اوقات الغفلة ينقلون لـه الأخبار واحوال السوق[٣] ، فإذا ثبت له ان أحد التجار نقص المكيال أو بخس الميزان ،أو غش بضاعة ،أو صناعة ،إستتابه عن معصيته ،ووعظه وخوفه ،وانذره العقوبة، فأن عاد الـى فعلـه عاقبـه على حسب مايليق به من العقوبة بقدر الجناية [٤].

أما بالنسبة للاسعار ،فكانت تتغير صعودا وهبوطا وفقا لزيادة العرض والطلب ،أو نتيجة للعوامل الطبيعية التى تؤثر فى كمية المياه بالزيـادة او النقصـان فـى المنـاطق الزراعيـة ، لان هذة المناطق تحتاج لكمية معينة من المياه بحيث لاتكون كثيرة حتى لاتؤثر، ولا قليلـة حتـى لاتضر[٥]. علاوة على ذلك أن عدم الاسـتقرار السياسـى يؤثر علـى النواحـى الامنيـة وغيرهـا فينعكس ذلك سلبا على حركة الحياة التجارية[٦].

جـ التجارة الخارجية:-

سـاهم سكان صحـراء المغرب الجنوبيـة بتجـارتهم الخـارجيـة مـع بـلاد السـودان الغربـى ،والبـلاد الاخرى ،قبـل بـزوغ فجـر الاسـلام بوقـت طويـل[٧]. حيـث كـانت بضـائعهم تعـبر

١ـ الشيزرى : نهاية الرتبة : ص١٨.

على ابراهيم حسن : التاريخ الإسلامى العام : ص٥٢٤ ـ ٥٢٥. مكتبة النهضة المصرية : القاهرة : (بدون تاريخ).

٢ـ الشيزرى : المصدر السابق : ص١٩ ـ ٢٠.

٣ـ المصدر نفسه : ص١٠.

٤ـ المصدر نفسه : ص٩ .

حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام : ج٢ : ص٢٩٩.

٥ـ حورية عبده سلام : علاقات مصر ببلاد المغرب : ص٢٢٩ وما بعدها .

٦ـ المرجع نفسه والصفحات .

٧ـ حسن على حسن : تاريخ المغرب العربى : ص٢٥٤ ـ ٢٥٥.

الصحراء الكبرى الى زنوج غرب افريقية ، فيتبادلون السلع التجارية كالملح ، بالذهب والرقيق (١). ثم اتسع نطاق التبادل التجارى بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربى والبلاد الاخرى ،وذلك بفضل توفر السلع المتبادلة وتنوعها ،علاوة على تنوع المسالك التجارية وسلامتها (٢).

ساعد موقع سجلماسة وخصوبة أراضيها والتى بالغ الجغرافيون المسلمون فى وصنعها على تحمل الحركة التجارية وتوفير كل متطلبات القوافل الداخلة والخارجة(٣). حتى وصفها ابن الخطيب بقوله :(٤) ((انها ام البلدان المجاورة لبلاد السودان ,تقصدها القوافل للتبر ، الرفاهية بها فاشية)) . بجانب هذة التسهيلات التى تقدمها للتجار راى حكامها ضرورة تأمين مسالك الطرق التجارية الصحراوية المؤدية الى بلاد السودان الغربى وذلك باخضاع أو مصادقة بعض القبائل البربرية التى تقطن الصحراء والتى تمثل الدعامة الكبرى لتحرك القوافل ،وحفظ الأمن داخل الصحراء(٥). ونجحوا فى السيطرة على الحركة التجارية ، وبذلك اصبحت سجلماسة حلقة الوصل بين بلاد السودان الغربى والبلاد المغربية الاخرى ،حتى عرفت بالباب الرئسى لطريق الذهب ، فقصدها التجار باعداد كبيرة واستقر البعض بها للأشراف على حركة تجارته ورعاية مصالح شركائه (٦) . فاصبحت اسواق سجلماسة معرضا لصناعات وسلع العالم الاسلامى شرقه وغربه،وجنوبه. وإستطاعت سجلماسة ان تدير هذا النشاط التجارى الكبير بنجاح تام (٧).

من الصعب اعطاء تقييم دقيق لحجم التبادل التجارى عبر الصحراء فى فترة العصور الوسطى،وذلك لغياب الإحصائيات الدقيقة(٨). فكل ما يمكن ان يقال هو ان حجم التبادل

١- حسن على حسن : تاريخ المغرب :ص٢٥٤ - ٢٥٥ . انثونى سلوى : الجغرافية الاجتماعية لافريقية : ص٢٧ . دار النهضة العربية : مصر : ترجمة ابراهيم احمد رزقانة ومحمد جمال الدين رزقانة.

٢- الحسن السائح : دفاعا عن الثقافة المغربية : ص٦٧. انظر الملحق العاشر : ص ٨٠.

٣-عبدالقادر زبادية : مملكة صنغاى فى عهد الاسيقيين : ص٢١٢.

٤- مشاهدات ابن الخطيب فى بلاد المغرب والاندلس : ص١١٤.

٥- احمد الياس حسين : الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى : ص٨٥.

٦- المرجع نفسه : ص٩١.

٧- الجنحانى : المغرب الاسلامى : ص١٧٨.

٨- المنجد الغربى : بداية الحكم المغربى فى السودان الغربى : ص٤٤٤ . مؤسسة الخليج : الكويت .

التجارى كان كبيرا حيث قدر ان سنويا تصل الى بلاد المغرب حوالى اربعمائة قافلة مجمـوع جمالها مائة واربعين الفا ، محملة بأربعمائة واثنين وعشرين إلف طن من البضائع (١) .

كان لظهور غانة(٢) كدولة فى السودان الغربى أثره فى حركه النشاط التجارى بينها وبيـن بلاد المغرب الإسلامى ، والمشـرق الاسـلامى علـى السـواء ، عبر سجلماسـة (٣). حيث يقـال لايعرف معدن للذهب أصفى منه إلا فى غانة، بيد ان المسلك اليهـا صعـب والرحلـة شـاقة(٤). يشير البكرى الى ذلك بقوله :(٥) ((من أراد الدخول من سجلماسة الى غانة لابد له مـن مسـيرة شهرين فى صحراء غير عامرة إلابقوم من بنى مسوفة ، ليس لهم مدينة يأوون اليها إلا وادى درعة)) . بينما ذكر القزوينى (٦) ((من سجلماسة الى غانة مسيرة ثلاثـة أشـهر ، وايابـا شـهر ونصف)).

كيفما كان الامر فقد كانت القوافل التجارية تعلم طول المسافة ومخاطر الطريـق ،لذلـك كانت تتجهز بالأمتعة الكافية ، ويقال ان من يسافر بثلاثين حملا يرجـع منهـا بثلاثـة أحمـال او بحملين ، واحد لركوبه والاخر للماء ،وذلك بسبب القفار التى يقطعونها فى الطريق فى ستة

---

١. المنجد الغربى : بداية الحكم المغربى فى السودان الغربى : ص٤٤٤.

Hallett, R: "Africa to 1874." P. 125.

٢. ترجع عظمة غانة التاريخية وشهرتها اساسا الى ارباحها التجارية الطائلة وذلك بتحكمهـا فـى طرق القوافل المؤديـة الى منـاجم الذهب الكبرى التى تقع فى جنوبها الغربى .

ابراهيم على طرخان : امبراطورية غانة الإسلامية : ص٦٤ ـ ٦٥.

٣. السلاوى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى : ج٢ : ص٤٧.

فيج ، جى ، دى : تاريخ غرب افريقية : ط١ : ص٤٥ ـ ٤٦. دار المعارف : القاهرة (١٩٨٢م) : ترجمة السيد يوسف نصر .

٤. الاصطخرى : المسالك والممالك : ص٣٤.

٥. المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص١٤٩.

٦. اثار البلاد واخبار العباد : ص١٨ ـ ١٩. وانظر:

حسن ابراهيم حسن : انتشار الإسلام فى القارة الافريقية : ص٧٥.

صلاح الدين المنجد : مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين : ط١ : ص١١. دار الكتاب الجديد : بيروت : (بدون تاريخ).

عشر يوما لايرون فيها الماء إلا على ظهور الإبل [١]. حيث تعبر القوافل برارى شديدة الحرارة والتى تبخر المياه فى الأسقية ، فلا يبقى الماء الا اياما قلائلا ،فدرج التجار ان يصطحبوا معهم جمالا من غير أحمال يعطشوها ، ثم يوردوها الماء ، فاذا نفد ما معهم من الماء نحروا جملا جملا ، واسرعوا السير ، حتى يردوا مياها إخرى [٢]. وهكذا الى أن يصلوا غانة بعد تعب شديد [٣].

أما فيما يتعلق بالمواد المتبادلة فقد عبرت الصحراء الكبرى انواعا متعددة من السلع ولكن انحصرت بصورة رئيسية فى المواد المعدنية، والزراعية، والثروة الحيوانية.

بالنسبة لدولة غانة كان الذهب يقف فى مقدمة صادراتها من حيث القيمة ولتزايد الطلب عليه ،حتى أصبح محور تجارتها مع بلاد المغرب والمشرق الإسلاميين [٤]. شهرة غانة بالذهب جعل بعض الجغرافيين المسلميين يبالغون فى القول بأن : ((أرضها كلها ذهب ، ظاهر عدد بلا وزن))[٥] إلاان الحقيقة غير ذلك فالذهب لم يكن موجودا أصلا فى أراضيها وانما فى الاراضى الواقعة الى الجنوب الغربى منها وبالتحديد فى منطقة ونقارة وغاية ما فى الامر انها تحكمت فى المسالك المؤدية الى هذة المناجم ،فكان تجار غانة يحتكرون شراء الذهب من اصحاب هذة المناجم ، ويحمله العبيد الى جنى ،ومنها بالقوارب الى تنبكت ، ومنها ينقل بالجمال الى غانة . حيث يجدون تجار المغرب والمشرق فى انتظارهم فتتم عملية التبادل

---

١. القلشقندى : صبح الاعشى : ج ٥ : ص٢٨٤.

السلاوى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصا : ج٢ : ص٤٧.

٢. الغرناطى : تحفة الالباب ونخبة الاعجاب : ص٤١ ـ ٤٢ ، باريس :(١٩٢٥).

القزوينى : اثار البلاد واخبار العباد ص١٨ ـ ١٩.

٣. ياقوت : معجم البلدان : ج٢ : ص١٢.

٤. البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص١٥١.

٥. الغرناطى : المصدر السابق : ص٤١ وما بعدها .

التجارى (١). وقد ساعدت تجارة الذهب هذه فى تطور العلاقات التجارية بين غانة وهذة البلاد لعدة قرون(٢).

الى جانب الذهب ساهمت غانة فى تصدير الرقيق (٣). حيث كانت اسعار الرقيق فى اسواقها زهيدة مما مكن التجار من شراء أعداد كبيرة (٤). وقد أستخدموا كخدم فى المنازل ، أو حراس لبعض الحكام ، او عمال فى الحقول الزراعية ،والبعض الاخر أستخدم وكلاء اعمال تجارية(٥) . كما صدرت غانة جلود الحيوانات المتوحشة (٦) وسن الفيل ، وريش النعام وبيضه ، والكولا، والشب ، والسياط ، والفول السودانى، والعسل ،والصمغ (٧).

اما بالنسبة الى سجلماسة فقد كان الملح فى مقدمة صادراتها لبلاد السودان الغربى ،

---

١. البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص١٥١ .

احمد شلبى التاريخ الأسلامى والحضارة الأسلامية : ج٦ : ص١١١ . ١١٢.

Bovill , E.W: " the Golden trade of the moors " : p.98.

٢. البكرى : المصدر السابق والصفحة .

٣. لم يستنكر اى نظام فى العصور القديمة فكرة الاسترقاق ، وقد دامت حتى العصور الوسطى فقد كانت من دعائم الحياة الاقتصادية والاجتماعية . وعندما جاء الإسلام سعى الى انقاذ اولائك البائسين وان لم ينص على تحريم الرقيق نصا صريحا الا انه جعل لعتاق الرقيق ضريبة شرعية على كل مسلم يؤمن بالله ان يبرهن عن الطاعة له بأعتاق ما عنده من الرقيق . والاسلام اوصى خيرا بالرقيق ، ومنع من ايذائه وشتمه وتكليفه ما لايطيق . مصطفى الرافعى : الاسلام نظام انسانى : ص٩٤ . ١٠١. منشورات دار مكتبة الحياة: (١٩٥٨).

محمد الغزالى : الاسلام والاستبداد السياسى : ص١٢٢ . ١٢٤ . دار الكتاب العربى .

Bovill, E.W: op. cit :p.10.

٤. القلشقندى : صبح الاعشى : ج٥ : ص٢٨٦.

٥. المصدر نفسه والصفحة .

٦. الشناوى واخرون : دائرة المعارف الاسلامية : ج١١ : ص٢٠١.

ابراهيم على طرخان : امبراطورية غانة الاسلامية : ص٦٥.

٧. الجنحانى : المغرب الاسلامى . الحياة الاجتماعية والاقتصادية : ص١٨٠ . ١٨١.

ابراهيم على طرخان : المرجع السابق والصفحة .

وبالاخص دولة غانة . فرغم ان الملح يتواجد فى المناطق ذات المناخ المدارى الا ان بلاد السودان الغربى تعانى من ندرته [١]. وترجع اهمية الملح فى استخدامه كعمله شرائية كالذهب ، حيث يقطعونه قطعا ويتبايعون به . لذلك اهتم تجار سجلماسة بهذه السلعة ، وشكلت حكومة سجلماسة رقابة صارمة على مناجم الملح [٢] التى تقع خارج المدينة فى تفازة فى المنطقة الجنوبية الشرقية ، حيث تحفر عنه الارض كما تحفر عن سائر المعادن حيث يوجد الملح تحت قامتين او دونهما من وجه الارض ، ويقطع كما تقطع الحجارة ويسمى (تانتال) . فيحمل اولا الى سجلماسة ومن ثم يصدر الى بلاد السودان الغربى [٣]. ونسبة لصعوبة نقله ، علاوة على ندرته فى بلاد السودان الغربى ارتفع ثمنه حتى انه كان يباع وزنا بوزن مع الذهب ، وربما باعوه بوزنين او اكثر ، على حسب الطلب [٤]. بجانب ذلك صدرت سجلماسة الفواكه المختلفة ، فليس فى بلاد السودان الغربى شىء من الفواكه الرطبة والمجففة الا ما يجلب اليها من بلاد المغرب ، فشملت الفواكه المصدرة : الذبيب ، والتين ، والبلح [٥] .

كما صدرت المنسوجات الصوفية والقطنية [٦] . وانواع مختلفه من المصنوعات المعدنية خاصة من معدن النحاس والتى شملت القلائد، والخرز المطلية بماء الذهب وقد بلغت صياغته مرتبة عالية من الجودة [٧] . بجانب ذلك ساهمت فى تصدير الجلود المدبوغة ، والسيوف، والودع الذى يجلب من المحيط الهندى ويصدر الى بلاد السودان الغربى ، حيث يستعمل كعملة بجانب استعماله فى الزينة [٨]. وصدرت سجلماسة العنبر الذى استعمله اهل السودان

Roland, O :" the middle age of Africa history" p. 13 -1

Hallett , R: " Africa to 1875" p. 134 -٢

٣- البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص١٧١.

٤- الأندلسى : عجائب البلدان : ورقة ٦ : معهد المخطوطات العربية : القاهرة : رقم ٣٦.

٥- الحميرى : الروض المعطار : ص٦٤.

الشناوى واخرون : دائرة المعارف الإسلامية : ج١١ : ص٢٠١.

٦- القلشقندى : صبح الاعشى : ج٥ : ص٢٨٦ . الجنحانى : المغرب الاسلامى : ص٢٥.

٧- القزوينى : اثار البلاد واخبار العباد : ص١٨ - ١٩ . الجنحانى : المرجع السابق : ص٢٠٩.

٨- ابن الخطيب : تاريخ المغرب فى العصر الوسيط : ص١٢٨.

القلشقندى : المصدر السابق والصفحة .

الغربى فى التطيب والسحر والتعوذ من الجن ، وتحنيط الموتى (١) . بجانب ذلك صدرت عقود خشب الصنوبر ذى الرائحة الذكية (٢) . يضاف الى ذلك خرز الزجاج الازرق ، والاصباغ الارجوانية ، والوردية (٣) .

اما طرق التعامل التجارى فاول الوسائل التى عرفت هى التجاره الصامتة (٤) . فكان التجار المغاربة عند وصولهم كومبى صالح عاصمة غانة يجدون وكلاءهم الغانيين فى انتظارهم حيث يخرج الجميع ويسيرون مدة عشرين يوما الى اعالى السنغال (٥) ، حتى يصلوا الىالمكان الذى يحجز بينهم وبين اصحاب التبر ، فيضرب التجار على طبولهم اعلانا بوصولهم ثم يضعون سلعهم على اكوام او مقادير معينة على شاطئ النهر ويختفون (٦) فيخرج الزنوج عراة ، وقيل يتسترون بشئ من جلود الحيوانات(٧) ، فيضعون بجوار كل مقدار من السلع ما يرونه نظيرا له من الذهب ثم يختفون (٨) ، فيظهر التجار فاذا اقتنعوا بكمية الذهب حملوه وانصرفوا بعد ان يضربوا على طبولهم ، وذلك ايذانا بانتهاء التبادل او السوق (٩) . واذا لم يقتنعوا بالذهب الموجود تركوه واختفوا مرة اخرى تاركين السلعة فيخرج

---

١. ابراهيم فخار : البولونيون وتاريخ المغرب الوسيط : مقال نشر بمجلة الاصالة : العددان ١٤ - ١٥ : الجزائر : (١٩٧٣م) : ص٥٢.

٢. ياقوت : معجم البلدان : ج٣ : ص١٢.

القزوينى : اثار البلاد واخبار العباد : ص١٨ - ١٩.

٣. نفس المصدرين والصفحات .

٤. يقصد بهذا المصطلح التعامل ، او المساومة ، او المبايعة بين اقوام لا يعرف احدهم لغة الاخر او يحرص الاخر على الاحتفاظ بسر منابع ثروته خوفا من النهب والسلب . راجع:

ابراهيم على طرخان : امبراطورية غانة الإسلامية : ص ٧٠ - ٧١.

٥. ياقوت : المصدر السابق والصفحة .

٦. صلاح الدين المنجد : مملكة مالى عند الجغرافيين المسلمين : ص٢٥ - ٢٦.

٧. المرجع نفسه والصفحات .

٨. المسعودى : مروج الذهب : ط١ : ج٢ : ص٢٥٢ - ٢٥٣. دار الاندلس : بيروت : (١٩٦٥م).

٩. القزوينى : المصدر السابق : ص١٩.

١٠. ياقوت : المصدر السابق : ص١٢ - ١٣.

ابراهيم على طرخان : المرجع السابق : ص٧١.

الزنوج ويزيدون من كمية الذهب ، فتتكرر عملية الظهور والاختفاء حتى يتم الرضى والاقتناع بين الطرفين (١) .

ثم تطورت وسائل التعامل التجارى لتواكب النشاط التجارى الكبير فاستخدمت الصكوك ، وهى لا تختلف كثيرا عن تجارة الشيكات فى العصر الحديث وقد كان الصك يحمل اسماء المستحقين وعددهم وما يستحقونه من المال ثم يوقع الطرفان او الاطراف فى اخر الصك (٢) ، ويشير ابن حوقل الى استخدام الصكوك كنتيجة لتطور التعامل التجارى فيقول (٣) :((لقد رأيت باودغست صك فيه ذكر حق على رجل من تجار اودغست وهو من اهل سجلماسة ، باثنين واربعين الف دينار)). فيعد هذا الصك اكبر قيمة تبادلية على أعلى المستويات فى ذلك الوقت(٤).

اما بلاد شمال افريقيا فقد كانت لها صلات تجارية مع بلاد الأندلس (٥) ، عبر مدينة تابحريت (٦) ، التى كانت محطا للسفن القادمة من الاندلس ،ومقصدا لقوافل سجلماسة المتجهة

---

١. المسعودى : مروج الذهب : ج٣ : ص ٢٥٢ . ٢٥٣.

٢. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام : ج٤ : ص٤١٨.

٣. صورة الارض : ص٩٩.

٤. Fage , J.D."Ahistory of west Africa" p. 2.
Combridge, university, press, London, (1969).

٥. كانت هذه العلاقات منذ زمن عبدالرحمن الثانى (٢٠٦ . ٢٣٨هـ) المعاصر لمدرار (٢٠٨ . ٢٥٣هـ) الذى كان يهدف الى اقامة قوة معادية فى وجه الاغالبة . اشترى عبدالرحمن الثانى كمية من الحبوب من سجلماسة حين تعرضت بلاده لغارات النورمان (٢٢٩هـ) الذين قاموا بتدمير محصول الحبوب . ثم استمرت العلاقات طيبة زمن محمد بن عبدالرحمن (٢٣٨ . ٢٧٣هـ) فكان ميمون بن مدرار شديد الصلة بهذا الامير ، واستمرت العلاقات حسنة بين البلدين لفترة طويلة . انظر: .

حسين مراد : دولة بنى مدرار : ص١٢٥.

٦. تابحريت : مدينة مسورة على ساحل البحر المتوسط ، لها مساجد جامعة واسواق عامرة ، سكانها من قبيلة مطغرة .

البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص٨٧.

نحو الاندلس [١]. قويت الصلات التجارية بين البلدين حتى ان احد تجار الاندلس يدعى محمد بن موسى الرازى لشدة ارتباطه التجارى بسجلماسة صاهر إحد سكانها [٢].

كانت صادرات الاندلس لسجلماسة تتمثل فى القطن الاشبيلى ، فقد كان لتطور صناعة النسيج جعلها تحتاج لاستيراد المزيد من القطن الاشبيلى الشهير على الرغم من انها تنتج القطن [٣]. كما صدرت الاندلس لسجلماسة ثياب الكتان والرقيق الابيض [٤].

اما سجلماسة من جانبها فصدرت الذهب والثياب الصوفية والقطنية ، علاوة على النحاس، والصمغ ، والفواكه المجففة [٥].

ومن جانب اخر ارتبطت سجلماسة بصلات تجارية مع فاس حيث وجدت مجموعة من أغنياء سجلماسة المترفين فى مدينة فاس ، وقد ساهم التجار مساهمة فعالة فى تطور العلاقات التجارية بين البلدين [٦]. فصدرت سجلماسة لفاس الكمون ، والكراويا ، والحناء [٧]. فنشطت الحركة التجارية بين البلدين ، مما أدى الى زيادة المعروض من مختلف السلع والمحاصيل الزراعية فانعكس ذلك على انخفاض الاسعار وازدياد الرخاء بين البلدين[٨].

---

١. البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص٨٧.

٢. المصدر نفسه والصفحة .

٣. الحميرى : الروض المعطار : ص٥٩ . الجنحانى : المغرب الإسلامى : ص١٨٣.

٤. الاصطخرى : مسالك الممالك : ص٤٤. الجنحانى : المرجع السابق والصفحة.

٥. ابراهيم على طرخان : امبراطورية غانة الإسلامية : ص٦٥.

الجنحانى : الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى سجلماسة : ص١٤٨.

٦. حسن على حسن : تاريخ المغرب العربى : ص٢٥٦.

٧. الحسن السائح : دفاعا عن الثقافة المغربية : ص٩٨.

٨. حورية عبده : علاقات مصر ببلاد المغرب : ص٢٢٥ - ٢٢٦.

كذلك اقامت سجلماسة علاقات تجارية متميزة مع الدولة الرستمية (بتاهرت)، فقد ارتبط البلدين بصلات تعد اقوى من الصلات التجارية ، الا وهى المصاهرة • فجاءت الحركة التجارية • بينهما نشطة حيث كانت القوافل تخرج من مدينة تاهرت محملة بالسلع التى تحتاجها سجلماسة، وتعود محملة بما تحتاجه من سجلماسة [١].

كما نشطت القوافل التجارية بانتظام بين سجلماسة والقاهرة وذلك عن طريق الصحراء وبهنسا [٢]• فتبادلت الدولتان السلع المختلفة[٣] •لم تشر المصادر التاريخية عن حجم التبادل التجارى بين القاهرة وسجلماسة .. ويبدو ان هذه الفترة هى فترة حكم الدولة الفاطمية لمصر وهم اعداء الدولة الصفرية فى المغرب قبيل رحيلهم الى مصر . فالحركة التجارية البسيطة بينهما كان يقوم بها التجار المشارقة من بغداد والكوفة وغيرها والذين كانوا يعبرون مصر الى بلاد السودان الغربى عن طريق سجلماسة .

بجانب ذلك أقامت سجلماسة علاقات تجارية متنوعة مع المدن والمراكز المغربية الاخرى وعلى وجه التحديد مع تلمسان عن طريق قفصة ومع طرابلس عن طريق نفزاوة ، ومع اغمات [٤] •

ان علاقة سجلماسة بهذه المراكز لم تكن قوية او لم تكن فى مستوى تبادل السلع الهامة. فغالبا ان سجلماسة قد استقبلت قوافل هذه المراكز والتى كانت فى طريقها الى بلاد السودان الغربى او العائدة منها •

---

١. السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير : ج٢ : ص٥٧٧.

٢. بهنسا : بالفتح ثم السكون : وسين مهملة : مدينة مصرية تقع غرب النيل عامرة بالسكان .

ياقوت : معجم البلدان : ج١ : ص٥١٦ - ٥١٧.

٣. الشناوى واخرون : دائرة المعارف الاسلامية : ج١١ : ص٢٠١.

ابراهيم على طرخان : امبراطورية غانة الاسلامية : ص٦٥.

٤. ابن حوقل : صورة الارض : ص٨٢.

اما علاقـة سجلماسـة ببـلاد المشـرق تمثلـت فـى انهـا كـانت معبرا لقوافل ، البصـرة ، والكوفة، وبغداد ، وبلاد فارس (١) .التى فى طريقها الى بلاد السودان الغربى. قامت سجلماسـة بتوفير كل ماتحتاجه هذه القوافل لمواصلة رحلتها ،كما ان بعض من هؤلاء التجار اكتفـى بمـا وجده من السلع فى سجلماسة وصرف النظر عن بلاد السودان الغربى (٢). وقد كان مع هؤلاء التجار راس المال الكبير والخبرة فـى مجـال التعـامل التجـارى ، فكـان لهـم اثـرا واضحـا فـى انعاش الحركة التجارية فى سجلماسة وتطور نظم المعاملات التجارية ، بجانب ذلك كـان لهـم اثرا ملموسا فى النواحى الاجتماعية حيـث اخذ اهل سجلماسـة الكثير مـن العـادات والتقـاليد العربيـة (٣).

مما سبق يتضح ان سجلماسة اقامت علاقات تجارية واسعة مع بـلاد السـودان الغربـى . كذلك كانت لها فى نفس الوقت صلاتها التجارية القوية مع بعض المدن المغربية والمشرقية.

د-الموارد المالية :-

قد يتساءل المرء عن نوع العملة المتداولة فى حركة التبادل التجارى ،وكذلـك عـن الضرائب المفروضة على التجارة الداخلية والخارجية.

بالنسبة للضرائب فقد كانت الاموال المفروضة علـى صـادرات وواردات المدنيـة وعلـى مايباع ويشترى من البضائع فى اسواقها تمثل المورد المالى الرئيسـى لخزينـة الدولـة (٤). فقد كان عامل المدينة يعين مسئولين يتولون جمع الضرائب المفروضـة علـى القوافـل التـى تجتـاز المدينة ، واعداد بيانات عنها ، وتقديمها للمراجعة، وفى مقابل ذلك تعهدت الدولة التجار

---

١. المراكشى : المعجب فى تلخيص اخبار المغرب : ج٣ : ص٤٤٣.

٢. الحبيب الجنحانى : المغرب الاسلامى : ص١٨٣.

٣. المرجع نفسه والصفحة .

٤. المرجع نفسه : ص١٨٠.

بالحراسة والرعاية وتقديم كل مايحتاجونه من خدمات (١)، وكانت الضرائب المفروضة على التجار نتيجة عبورهم الاراضى السجلماسية ليست باهظة فقد حرص أئمة سجلماسة على الا تكون تلك الضرائب كبيرة ، فشجع ذلك عبور المزيد من القوافل (٢)، وقد كانت الضرائب السنوية تصل مع العشر والخراج حوالى اربعمائة الف دينار (٣)،

هـ العملة :-

أما عن صك العملة نجد أن اغلب دول المغرب العربي ضربت عملتها الخاصة بنفسها مثال ذلك: دولة سجلماسة والدولة الرستمية ودولة الادارسة (٤)،

كانت عملة سجلماسة قوية ومشهورة تجاوز التعامل بها حدود الدولة يؤكد ذلك ان الخليفة الاموى عبد الرحمن الناصر ، دفع للتجار الذين جلبوا له الرخام والسوارى من قرطاجنة وتونس الى مدينة الزهراء بقرطبة حين ابتدأ فى بناءها مبلغ ثلاثة دنانير سجلماسية على كل رخامة ، وثمانية دنانير على كل سارية (٥)، ويشير إبن حوقل الى انه راى باودغست صكا قيمته اثنين واربعين الف دينار كتب بدين على محمد بن ابى سعدون من اهل سجلماسة لرجل من اهل اودغست ، فذكر انه لم ير ولم يسمع بالمشرق لهذا التعامل نظيرا(٦)،

---

١. ابن حوقل : صورة الأرض : ص٩٦ - ٩٧ . على ابراهيم حسن : التاريخ الإسلامى العام : ص٥٤٥.

٢. Bovill , E.W: " Cravan of the old sahara" p. 74.

٣. ابن حوقل : المصدر السابق والصفحات .

ابراهيم على طرخان : دولة مالى الإسلامية : ص٢٨ - ٢٩.

٤. الحسن الوزان : وصف افريقيا : ج٢ : ص١٢٦.

٥. ابن عزارى : البيان المغرب : ج١ : ص٢١٢.

٦. صورة الأرض : ص٩٦ - ٩٧.

ادم متز : تاريخ الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى : ج٢ : ص٢٧٩.

Trimingham,s. J: Ahistory of Islam in west Africa".
Vol. I.P.51. Oxford, university press, London, (1962).

ضربت الدولة السجلماسية عملتها الذهبية والفضية فى قصورها [١]، وكان الامام الشاكر لله اكثر الائمة اهتماما بضرب العملة وقد اتخذها باسمه ولقبه فكانت تسمى الدراهم الشاكرية [٢].

يمكن القول بوجه عام ان ... الحياة الاقتصادية فى سجلماسة كانت زاهية ، ففى المجال الزراعى كان هناك تنوع واضح فى زراعة المحاصيل الغذائية والنقدية بالاضافة لزراعة انواع مختلفة من الفواكهه , واستخدام اساليب الرى ، فاكتفت البلاد ذاتيا بل وصدرت للدول الاخرى ، أما فى المجال الصناعى فقد تطورت صناعة الملابس الصوفية والقطنية علاوة على المصوغات الذهبية والفضية وبعض الصناعات المرتبطة بالحديد والنحاس . كما اكتسبت شهرة بلغت الافاق فى المجال التجارى باعتبارها من اهم واكبر المراكز الاقليمية فى المنطقة فازدهرت المدينة وعمها الرخاء.

---

١. الحسن الوزان : وصف افريقية : ج٢ : ص ١٢٦.

٢. كانت صورة الدراهم الشاكرية تحمل الآتى :

الوجه الاول: (عبدالله . لا اله الا الله . لاشريك له . امير المؤمنين . فراغ)

الوجه الثانى :(الامام . محمد رسول الله . الشاكر لله بسم الله . ضرب هذا الدينار سنة خمس واربعين وثلثمائة) انظر:

Alfred, B: "Lareligion musulmane en Berberie" Vol.1.P.168.

الفصل الرابع :

الحياة الفكرية

١- أثر تعاليم الخوارج فى الحياة الفكرية.

٢- تعاليم الخوارج الصفرية.

٣- أبعاد النشاط الفكرى من خلال المؤسسات التعليمية.

٤- أثر العلماء فى الحياة الفكرية.

١- أثر تعاليم الخوارج في الحياة الفكرية :-

إفترقت الخوارج الى عدة فرق بلغت العشرين فرقة إلا أن هناك خمسة فرق تعد الأصول التي تفرعت منها الفرق الأخرى[١]. وقد كان للخوارج مبادئ وآراء متفقين عليها نذكر منها :-

أولا- يرى الخوارج صحة خلافة أبى بكر وعمر (رضى الله عنهما) لأنهما كانا عدلين[٢]. وكذلك أقروا بخلافة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) فى بداية خلافته، ولكنهم سرعان ماتبرأوا منه إعتقادا منهم أنه خالف سنة النبى صلى الله عليه وسلم، والخليفتين أبى بكر وعمر (رضى الله عنهما)[٣]. أما الخليفة على (كرم الله وجهه) فتبرأوا منه لأنه قبل التحكيم، ولم يتب على حسب زعمهم[٤].

ثانيا:- تبرأوا من الحكمين أبو موسى الاشعرى وعمرو بن العاص ومن رضى بحكمهما وكفروا معاوية وجماعته[٥].

ثالثا:- لايعترفون بالخلافة كإرث ينتقل من الأب الى ولده، بل لا يقصرونها على جنس من الأجناس، أو فريق من الناس، ويصرحون بأن كل مؤمن غير متهم فى دينه أو خلقه يستطيع ببيعة الجماعة أن يبلغ الإمامة، حرا كان أم عبدا[٦] ويستمر اماما مادام قائما. بالعدل، مقيما

---

١. الفرق الخمسة هى : الازارقة، النجدات، البيهيسية، الاباضية، الصفرية. لمزيد من التفاصيل حول هذه الفرق وآرائها. راجع : جعفر أحمد بن عبدالسلام : إبانة المناهج فى نصيحة الخوارج : ورقة ١٥٧ - ١٦٨.

ابن أبى الحديد : نهج البلاغة : ج ٤ : ص ١٣٢-١٣٦.

المبرد : الكامل: ج ٣ : ص ٢٧٥-٢٧٦. مطبعة الفجالة : القاهرة :(بدون تاريخ).

٢. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام : ج ١ : ص ٤٣١.

٣. جعفر أحمد بن عبدالسلام : المخطوط السابق : ورقة ١٥٤.

الثعالبى : الفكر السامى فى تاريخ الفقة الإسلامى : ج ١ : ص ٢٢٥.

٤. الشهرستانى : الملل والنحل : ج ٣ : ص ١٩٨.

٥. المسعودى : مروج الذهب : ج ٣ : ص ١٣٨.

٦. الناصرى : منهج المعارك لاخبار الخوارج : ورقة ٤.

بالشرع، فإن حاد وجب عزله أو قتله[١] مهما كان صلاحه وعدله[٢]. واعتبروا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم :(الإمامة من قريش حديثا موضوعا لايعتد به[٣]). يبدو انهم فضلوا أن يكون الإمام من سائر الناس دون قريش ليسهل عزله أو قتله أن خالف الشرع، اذ لا تكون له عصبية تحميه أو عشيرة تأويه[٤].

رابعا :- يرون تكفير من أرتكب كبيرة،[٥] من المعاصي[٦].

هذه هى أصول أراء الخوارج والتى تفرعت منها بقية الآراء. وقد تشددوا فيها وتحمسوا لها، وقاتلوا من أجل تحقيقها ضاربين المثل فى الشجاعة النادرة، والبطولة الفذة، وقد كلفوا الأمة الاسلامية الكثير من الأواح والأموال[٧].

يرى علماء المسلمين أن ماذهب اليه الخوارج من التشدد والمغالاة فى الآراء ، هو سوء فهمهم للقرآن الكريم، فالخوارج لم يقصدوا معارضته، ولكنهم فهموا ما لم يدل عليه وتمسكوا بظواهر النصوص، لذلك عدوهم فساق وأهل بدعة. بيد أن حكم الاســــــلام

---

١. جعفر أحمد بن عبدالسلام : إبانة المنهاج فى نصيحة الخوارج : ورقة ٥٤ إ.

ابوزهرة : المذاهب الإسلامية: ص ١٠٤-١٠٦ .

٢. الشهرستانى : الملل والنحل : ج٢ : ص ١٩٨.

خالد محمد الحاج : الكشاف الفريد : ج ١ : ص ٩٥-٩٦.

٣. الشهر ستانى : المصدر السابق : ج ١ : ص ٢٠٠.

عبدالرحمن حسب الله : جماعة الخوارج ص ٦٥.

٤. أبوزهرة: المرجع السابق والصفحات.

٥. الناصرى : منهج المعارك : ورقة ٤. المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ : ص١٣٨.

٦. جعفر احمد بن عبدالسلام : المخطوط السابق والورقة.

الجكنى : زاد المسلم :ج ٢ : ص ٣٢٤. دار الفكر : بيروت : (١٩٨١م).

٧. ابوزهرة: المصدر السابق : ص ٩٨-٩٩.

أحمد أمين : فجر الإسلام ط٣: ج ١: ص٢٢١: مطبعة لجنة التأليف والنشر : القاهرة: (١٣٥٤هـ). أنظر الملحق الحادى عشر : ص ١٨١-١٨٣.

يجرى عليهم طالما نطقوا بالشهادتين وواظبوا على أركان الإسلام. يشير بن حجر العسقلانى الى ذلك بقوله[١] :((إن حكم الاسلام يجرى عليهم لتلفظهم بالشهادتين ومواظبتهم على أركان الاسلام، وانما فسقوا بتكفيرهم المسلمين مستندين الى تأويل فاسد)). ويضيف[٢] :((أجازة مناكحتهم واكل ذبيحتهم)). أما أبوزهرة فذهب الى القول[٣]:أن الامام مالك واصحابه لم يكفروا الخوارج بل أعتبروهم أهل بدعة، ورأوا أن يستتابوا والا قتلوا. وأن عليا (كرم الله وجهه) أوصى اصحابه بألا يقاتلوا الخوارج من بعده فقد كان يعتبرهم طلبوا الحق ولكنهم ضلوا طريقه[٤]. والخليفة العادل عمربن عبدالعزيزقال لهم:(إنكم اردتم الآخرة فأخطأتم طريقها)[٥].

كانت البصرة تمثل مركزا من مراكز الإشعاع الاسلامى، حيث عاش فيها أئمة الخوارج. ومن هذا المركز الاشعاعى انتشروا الى مختلف البلاد الاسلامية بصورة تدريجية بطيئة على طريقة محاربة الباطل بالحجة لابالقوة، ولعل التسامح فى معاملة المسلمين والبساطة فى المظهر والوضوح فى الرأى والعقيدة والصراحة فى قول الحق كانت من أسباب انتشار آراء الخوراج فى أكثر البلاد الاسلامية[٦].

على العموم يصعب أن يؤرخ لسريان الأفكار والآراء والعقائد من بلد الى بلد بفترة زمنية محددة فهى تسربت بالتدريج، فقد كانت تبطى أو تسرع من فرد الى آحر حتى تغلبت وانتشرت[٧]. وعلى تلك الطريقة انتشر بها الخوراج من العراق الى مصر ومنها دخلوا بهدوء الى ليبيا، ومنها الى بلاد المغرب[٨].

---

١. فتح البارى :ج ١٢ : ص ٣٠٠.

٢. المصدر نفسة والصفحة.

٣. المذاهب الإسلامية : ص ١٢٨.

٤. ابن ابى الحديد : نهج البلاغة : ج ٢ :ص ١٤٤.

٥. أحمد شلبى : التاريخ الإسلامى والحضارة الاسلامية :ج ٢ : ص ٢٦٤.

٦. يحى بن معمر : الاباضية فى موكب التاريخ : ج ١ : ص ٢١.

٧. المرجع نفسه والصفحة.

٨. السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير : ج ٢ : ص ٣٠٠.

ولكن أغلب الظن أن جماعات الخوارج هذه كانت هجرتهم نتيجة للضغط المتلاحق عليهم من الدولة الاموية(١). حيث بدأت هجرتهم فى اواخر القرن الأول الهجرى وبداية القرن الثانى لها. وذلك فى خلافة عبد الملك بن مروان، الذى أستطاع أن يلحق بالخوارج الضربات المتتالية مما شل حركتهم(٢)، ثم استمرت هجرتهم إبان خلافة الوليد بن عبدالملك(٣). ولا يستبعد أن هؤلاء الخوارج صحبوا الجيوش الاسلامية التى فتحت بلاد المغرب بوصفهم محاربين(٤). حيث وجدوا فى أرض المغرب أهم المناطق لإستعادة قوتهم، والتمكن من نشر دعوتهم بين قبائل البربر ولتحقيق ما فشلوا فيه فى بلاد المشرق؛ ساعدهم على ذلك بعد بلاد المغرب عن مقر الخلافة واتساعها وتشعب مسالكها وكثرة قبائلها(٥)

من المعلوم أن حركة المد الاسلامى اجتاحت بلاد المغرب فى القرن الأول الهجرى، مبنية على تعاليم الكتاب والسنة، وقد كانت العلاقات بين العرب والمسلمين والبربر طيبة(٦). حيث كانت معاملتهم للبربر وفق ماجاء فى الكتاب والسنة مما أدى الى اقبال اعداد كبيرة على الاسلام بنية خالصة، حتى أصبحوا من أكثر المتحمسين له والمدافعين عنه(٧).

العلاقات الطيبة هذه لم تدم طويلا فقد احس البربر أن ولاة بنى أمية وخاصة المتأخرين منهم بدأت سياستهم تتسم بالعنصرية، وذلك بتفضيل الجنس العربى على من سواه من الاجناس الأخرى(٨). كما حرموا أهل البلاد الاصليين رغم اعتناقهم الاسلام من المساواة

---

١. السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير : ج ٢ : ص ٣٠٠.

٢. فاروق عمر فوزى : ملامح من حركة الخوارج الإباضية : ص ١٧٣.

٣. حسين عبدالله علام : الدعوة الموحدية بالمغرب : ص ١٤٧ - ١٤٨.

٤. ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ : ج ١ :ص١٠٢.

٥. السيد عبدالعزيز سالم : المرجع السابق والصفحة.

عبدالرحمن الجيلالى : تاريخ الجزائر العام : ط ١ : ج ١ : ص ١٧٧، المطبعة العربية : الجزائر :١٩٥٣م).

٦. ابن عبدالحكم : تاريخ افريقية والاندلس : ص ٣٠.

٧. المصدر نفسة والصفحة.

٨.ابن عزارى : البيان المغرب : ج١ : ص ٥٢.

السياسية، والاجتماعية[١] وفوق ذلك ارهقوهم بالجبايات واخذ أموالهم وأراضيهم[٢]. والامثلة على تلك المعاملات السيئة كثيرة يطول المجال لذكرها.

وبالرغم من هذه المعاملة السيئة والتى لاتدعو للمعارضة فحسب بل للثورة لرد الظلم إلا أن زعماء البربر آثروا التريث ريثما يعكسوا ممارسات هؤلاء الولاة للخلافةبالمشرق، فربما لا يعلمون بما يجرى فى بلاد المغرب لبعدها الجغرافى عن مركز الخلافة[٣] فتكون وفد من عشرين رجلا من أعيان البربر برئاسة ميسرة المطغرى، لمقابلة الخليفة هشام بن عبدالملك لعرض شكواهم والتى تتلخص فى :(أن امير العرب عندما يغزو بجنده وبهم فانه يحرمهم من نصيبهم فى الغنيمة، ويقول : إن هذا أخلص لجهادكم واذا ماحاصروا مدينة يقدمهم ويؤخر جنده)[٤]. ولكن طال انتظارهم بباب الخليفة دون أن يأذن لهم

---

١. الرقيق القيروانى : تاريخ أفريقة والمغرب : ص ١٠٩.

حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام : ج ٢ : ص ٣٠٧.

٢. ابن عزارى : البيان المغرب : ج١ : ص ٥٢.

أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس : ص ٩٠

Marcais, G.W: "La Barberine Musulmane et l'orient. ou moyen" : P.34.

٣. سعد زغلول عبدالحميد : تاريخ المغرب العربى : ج١ : ص ٢٨٤.

٤. ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ج ٣ : ص ٣٥. حسين مؤنس : فجر الأندلس : ص١٥.

بمقابلته(١). فتركوا اسمائهم للوزير وقالوا له :(هذه آسماؤنا وانسابنا فان سألك امير المؤمنين عنا فاخبره)(٢). ثم عادوا لبلادهم وبدأوا يخططون للثورة(٣).

تحت هذه ظروف بدأت نفوس البربر تتطلع للخلاص والثورة ضد الظلم، وقد عرف الشعب البربرى دون غيره برفضه للذل والهوان ، مع عشقه للحرية(٤).

استقل الخوارج هذه الظروف ، وأخذوا يبثون تعاليمهم وسط البربر ، مستغلين الظلم الذى لحق بهم من جراء سياسات ولاة بنى أمية بالمغرب ، ضف الى ذلك الخصومات بين اليمنية والقيسية وأنشغال الولاة بهذه الخصومات(٥) فوجدت آراؤهم ترحيبا وحماسا شديدين(٦).

---

١. السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير : ج٢ : ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

٢. المرجع نفسه والصفحات.

٣. العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس : ص ٩١.

٤. محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير : ج ٢ : ص ٢٢٣.

٥.عانت بلاد المغرب كغيرها من البلاد الإسلامية الاخرى من الصراع بين العصبيتين اليمنية والقيسية حيث ظهر هذا الصراع فى بلاد المغرب عقب تولى موسى بن نصير الذى كان يمنيا فما كان من خلفه محمد بن يزيد الا الاعتداء على اليمنية وأستمر الصراع فكلما تول قيسى انتقم من اليمنيين والعكس واستمرت العصبية هذه تشغل بال الولاة وكادت أن توقع بالمغرب كله فى فتنة كبرى. راجع :

ابن عزارى : البيان المغرب : ج ١ : ص ٣٩ ـ ٥٠ . ابن عبدالحكم : فتوح افريقية والاندلس : ص ٨٨ ـ ٩١. ابن ابى دينار : المؤنس فى اخبار افريقية وتونس : ص ٣٤.

٦. السلاوى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى : ج ١:ص١٢٢.

من البربر. يشير ابن خلدون الى ذلك بقوله[١] : ((ثم نبضت فيهم عروقهم الخارجية فدانوا بها ولقنوها من العرب الناقليها من منبعها بالعراق)). حيث اتضح لهم أن الخوارج لايميلون الى الفلسفة والتأويل، مع إلتزامهم بظاهر الدين، وكان ذلك ملائما لعقلية البربر ، التى لم تتعمق كثيرا فى الدين[٢]. يشير أحد الدارسين المحدثين لذلك بقوله : لم يستطع البربرى التمييز بين المذاهب وآرائها المختلفة كما يميزها غيره من ذوى الاذهان المستنيرة فمن العبث أن نبحث عن أى الفرق كانوا يفضلون الإنضمام اليها، وعما اذا كانوا من الإباضية او الصفرية ، بيد أنهم يفقهون من المبادئ ما يسمح لهم باعتناق المبادئ التى تدعو للثورة ضد الظلم[٣].

كيفما كان الامر فأن اقبال البربر على مبادئ الخوارج لم يكن خروجا عن الدين بأى حال من الاحوال ،انما كان خروجا على السلطة الحاكمة المتمثلة فى ولاة بنى امية وخاصة المتأخرين منهم. فالتاريخ لن يبرئ ساحة هؤلاء الولاة من ظلمهم للبربر. ومن المؤسف أن هذه التجاوزات تحدث على مسمع ومرأى الخلافة فى المشرق والتى لم تفعل شيئا تجاه ولاتها بالمغرب، وسكوتها يعتبر فى نظر الكثيرين اقرارا بتلك الممارسات. لذلك وجد البربر فى آراء الخوارج السبيل للخلاص فاعتنقوها اتخذوها عنوانا للمعارضة القومية ضد اى سيادة او سياسة تفرض عليهم.

١- العبر : ج ٦ : ص ٢٢٠.

٢- الرازى : اعتقادات فرق المسلمين : ص ٤٠.

٣- محمد عبدالله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس : ج١: ص ١١٦.

Hallett, R : " Africa to 1875". vol.1 : p.121.

٢. تعاليم الخوارج الصفرية[1]

بالنسبة لتعاليم الخوارج الصفرية وأنتشارها وسط البربر، فقد عرف أن الفرقتين الخارجيتين الصفرية والاباضية[2] من فرق الخوارج المتفرقة التى اختارت ارض المغرب ملاذا لها، لنشر تعاليمها وسط البربر، مستغلين ظروف المغرب وأشـــار بن خلـــــــدون

---

١. الصفرية : تنطق بضم الصاد ، وسكون الفاء، وكسر الراء : من اكبر واشهر فرق الخوارج . وقد اختلف فى أصل التسمية فقيل نسبة لبيع الاوانى الصفرية، وقيل اصفروا نتيجة العبادة. بينما يرى فريق آخر نسبة الى زياد بن الأصفر إلا أن الراجح ان سبب التسمية يعود لمؤسسها عبدالله بن صفار التميمى. راجع :

الناصرى : منهج المعارك لأخبار الخوارج : ورقة ٢٥٨.

ابن خلدون : العبر : ج ٣ : ص ٣١١.

ابن الأثير : اللباب فى تهذيب الأنساب : ج ٣ : ص : ٢٤٤. دار صادر بيروت : (١٩٨٠ م).

٢. الاباضية : من فرق الخوارج الكبرى، والتى تنسب الى عبدالله بن إباض التميمى. وقد تكونت نواة الاباضية فى البصرة فى منتصف القرن الأول الهجرى، ثم أنتشروا فى الجزيرة العربية، ومسقط، وعمان ، والزنجبار، وشمال افريقية حيث كان وصولهم لها فى أوائل القرن الثانى للهجرة على يد سلامة بن سعيد واخيرا تمكن عبدالرحمن بن رستم أحد اتباع سلامة بن سعيد من اقامة دولة بنى الرستم فى بلاد الجزائر سنة (١٦١هـ).

مذهب الخوارج الاباضية فى رأى كثير من المؤرخين القدامى والمحدثين أكثر المذاهب الخارجية إعتدالا، وأكثرها قربا لاهل السنة. ولكن أغلب الظن أن المذهب وان استقل فى مجمل آرائه عن بقية الخوارج، منذ أن انسلخ عبدالله بن إباض عن الأزارقة، إلا أن تعاليم المذاهب التاريخية تنطلق من أصل مبادئ وآراء الخوارج، هذا فضلا عن الالتقاء والاتفاق فى كثير من القضايا، مثل الخلافة والامامة، وبعض الآراء الاخرى.

لمزيد من التفاصيل راجع : الناصرى : المخطوط السابق : ورقة ٥.

الشهرستانى : الملل والنحل : ج ١ : ص ١٣٤. الجاحظ : البيان والتبيين : ط٢ : ج١ : ص ٣٣. مكتبة الخانجى : مصر : (١٩٦٠م).

الى ذلك بالقول[١] :((لما فشا دين الخارجية من العرب واستلحموهم نزعوا الى القاصية، وصاروا يبثون بهدايتهم فى البربر)). حيث قدم فى أواخر النصف الثانى للقرن الأول الهجرى، داعيان كبيران يمثل أحدهما الصفرية والآخر الإباضية فداعى الصفرية هو عكرمة[٢]، مولى الصحابى الشهير عبدالله بن عباس(رضى الله عنهما). يؤكد الدرجينى ذلك بقوله[٣] :((أول من جاء بمذهب الإباضية سلامة بن سعيد، قدم من أرض البصرة، ومعه عكرمة مولى بن عباس (رضى الله عنهما). فسلامة يدعو الى مذهب الإباضية ، وعكرمة يدعو الى مذهب الصفرية)).

---

١. العبر : ج ٧ : ص ٢٣.

٢. جاء فى الروايات التاريخية أن عكرمة من البربر، إشتراه ابن عباس ارضى الله عنهما، وقد طلب عكرمة العلم أربعين سنة، وجد ابن عباس فى تعليمه، حتى صار من كبار الفقهاء والمحدثين، سمع لأبى هريرة، وعائشة، وعبدالله بن عمر ا رضى الله عنهم. إعتنق مذهب الصفرية، ودخل بلاد المغرب فى نهاية القرن الأول الهجرى، وأقام بالقيروان، وكان مجلسه فى مؤخرة المسجد، نجح فى إقامة إتصالات سرية مع قبائل مغربية شتى، وفى أماكن عدة، من خلال تدريسه للعلوم الشرعية ـ الحديث والتفسير- من اتباعه ميسرة السقاء صاحب أول ثورة خارجية فى بلاد المغرب. راجع :

المالكى : رياض النفوس: ج ١:ص ١٤٥-١٤٦.

ياقوت : معجم الأدباء : ج ١٢ : ص ١٨١-١٨٢.

ابن سعد : الطبقات : ج ٥ : ص ٢١٦. دار صادر : بيروت : (١٩٥٧م).

٣. طبقات الإباضية : ورقة ٩٠٨. ابن الخطيب : تاريخ المغرب فى العصر الوسيط : ص ٤٠.

ثم تتابع دعاة الخوارج الصفرية الى بلاد المغرب، بعد عكرمة، فقدم عكاشة بن أيوب الفزاري،الذي جاء بصحبة الجيش الاسلامي يقول النويري[1] :((قدم مع طليعة أهل الشام مع عبيدالله بن الحبحاب، وكان صفريا)). حيث وجد دعاة الخوارج الصفرية أرضا خصبة لنشر تعاليمهم، القائمة على العدل والمساواة بين المسلمين والثورة على الظلم.

من أشهر زعماء البربر الذين أستجابوا لآراء الخوارج الصفرية ميسرة المطغري، الذي تلقنه من عكرمة مولى ابن عباس، وكان يدعو للمذهب سرا، ساعده في ذلك إشتغاله بالسقاية في سوق القيروان، وكان يهدف من ذلك صرف عيون الولاة عنه، وقد نجح في نشر دعوته بين البربر ، يقول بن خلدون[2] :((أخذت مطغرة براس الصفرية، وكان شيخهم ميسرة)). كذلك من الذين أخذوا بآراء الصفرية أبوالقاسم سمكو بن واسول، شيخ قبيلة مكناسة، كان من حملة العلم ، إرتحل الى المدينة فأدرك التابعين، وأخذ عن عكرمة، وبعد وفاة عكرمة نجح أبوالقاسم في نشر المذهب الصفري وسط قومه مكناسة[3]. وقد إتبع في نشر المذهب سياسة التستر، فرحل الى واحة سجلماسة وكانت ملتقى للقبائل الرعوية. وتظاهر بتربية الماشية، وعكف على نشر تعاليم الصفرية بين الرعاة، فتحولت خيمته مجمعا للخوارج. ومن زعماء البربر الذين أعتنقوا المذهب الصفري ونشروه، طريف بن شمعون بن إسحق،

---

١. نهاية الأرب في فنون الأدب : ج ٢٢ : ورقة ١٥.

٢. العبر : ج ٦ : ص ٢٣٩.

٣. ابن خلدون : العبر : ج ٦ : ص ٢٦٧.

البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب : ص ١٤٩.

الذى ألتقى بعكرمة بالقيروان، وقام بنشر المذهب الصفرى بين قبائل برغواطة[١].

أما فيما يتعلق بطبيعة المذهب الصفرى فقد إتسم بالمسالمة والاعتدال، والتسامح مع المخالفين، حيث مثل الوسط بين المذاهب الاخرى، وقد خالفوا الفرق الأخرى فى أمورمنها :-

١- إنهم لم يكفروا (القعدة)[٢] من القتال اذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد[٣].

٢- لايرون دار مخالفيهم دار حرب[٤].

٣- لا يجوزن سبى النساء ولا قتل أطفال المخالفين وتكفيرهم وتخليدهم فى النار[٥].

٤- من ارتكب كبيرة من الاعمال له حد فى القرآن سمى مرتكبه باسمه؛ فمن ارتكب الزنا سمى زانيا، ومن سرق سمى سارقا، ومن قذف سمى قاذفا، ولا يسمى كافرا مشركا[٦]. أما الكبائر التى لم يحدد القرآن عقوبتها فيكفر بها مرتكبها كترك الصلاة والفرار من الزحف[٧].

٥- لا يرون إباحة دم المسلمين المخالفين غير معسكر السلطان.

٦- أما فيما يتعلق بالشرك والكفر والبراءة، فيقولون أن الشرك شركان شرك هو طاعة الشيطان ، وشرك هو عبادة الأوثان[٨]. والكفر كفران : كفر بانكار النعمة، وكفر

١- البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب : ص ١٤٩.

٢. القعدة : الذين لا يمضون الى الحرب، وبه سميت فرقة من الخوارج ترى التحكيم حقا ولا تحارب.

أحمد رضا : متن اللغة : ج ٤ : ص ٦٠٦.

ابراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط : ج ٢ : ص ٧٥٥ : مطبعة مصر : (١٩٦١م).

٣. الناصرى : منهج المعارك لاخبار الخوارج : ورقة ٢٥٨.

٤. ابن الخطيب : تاريخ المغرب فى العصر الوسيط : ص ٣٧. : أبوزهرة :المذاهب الاسلامية : ص ٣٧.

٥. الشهرستانى : الملل والنحل :ج٢ : ص ٢٥٠. الأشعرى : مقالات الاسلاميين :ج ١ :ص ١٨٢.

الجاحظ : البيان والتبيين : ج ١ : ص ٣٤٣.

٦. القلشقندى : صبح الاعشى : ج ١٣ : ص ٢٢٥. أبوزهرة : المرجع السابق : ص ١٢٤-١٢٥.

٧. ابن الخطيب : المصدر السابق والصفحة : أبوزهرة : المصدر السابق ; ص ١٢٥.

٨. الرازى : أعتقادات فرق المسلمين والمشركين : ص ٦٥. الشهرستانى : المصدر السابق والصفحة.

بأنكار الربوبية[١]. والبراءة براءتان براءة من أهل الحدود (سنة)، وبراءة من أهل الجحود (فريضة)[٢].

٧- يرون أن التقية جائزة فى القول دون العمل[٣].

٨- يرون جواز تزويج المسلمات (الخارجيات) من كفار قومهم (أى بقية المسلمين). فى دار التقية دون دار العلانية[٤].

٩- يرون عدم إسقاط حد الرجم[٥].

١٠- يرون أن جميع الصدقات سهما واحدا فى حال التقية[٦].

نسبة لهذه الاراء المعتدلة نجحت الدعوة الصفرية فى بلاد المغرب . يضاف الى ذلك مغايرة أسلوبهم الذى كان سائدا فى المشرق باتجاههم الى تنظيم الدعوة السرية، وبث الدعاء، فى أنحاء البلاد لنشر تعليم الدعوة[٧]. حيث لقى المذهب الصفرى ترحيبا حارا من القبائل لتمتعه بالسمعة الحسنة، وعدم إخفاء قصدهم الذى كانوا يسعون اليه فوجدت القبائل فيه ما يناسب وضعها الاجتماعى والسياسى والفكرى[٨].

من القبائل التى إعتنقت المذهب الصفري، قبيلة مطغرة من البربر البتر، أشار ابن خلدون الى ذلك بقوله[٩]:((لما سرى الخارجية أخذت مطغرة هؤلاء مذهب الصفرية)). كما أنتشر بين قبائل زناتة، وكان زعيمهم خالد بن حميد الزناتى؛ كما أعتنقه من زناتة بنو يفرن، وزعيمهم أبى قرة اليفرنى الصفرى[١٠]. وأنتشر بين قبيلتى برغواطة وغمارة وقد ساهمت

---

١. الشهرستانى : الملل والنحل : ج ٢: ص ٢٥.

٢. الرازى : إعتقادات فرق المسلمين والمشركين :ص ٦٥.

٣. الشهرستانى : المصدر السابق والصفحة.

٤. الرازى : المصدر السابق والصفحة.

٥. الشهرستانى : المصدر السابق والصفحة.

٦. المصدر نفسة : ص ٢٥١.

٧. إبن الخطيب : المغرب فى العصر الوسيط :ص ١٠.

٨. المصدر نفسه والصفحة ، محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير : ج٣ :ص ٢٤٣.

٩. العبر : ج ٦ : ص ٢٣٩.

١٠. ابن خلدون : العبر :ج٧ : ص ٢٣ . محمد على دبوز : المرجع السابق : ص٣١-٣٢.

الأولى فى أول ثورة خارجية في بلاد المغرب[١]. وأنتشر داخل قبيلة نفزاوة، وكان عكاشة بن ايوب النفزاوى من قادتها[٢]، واعتنقته قبيلة ورفجومة[٣]. كما أنتشر وسط صنهاجة، الذين شاركوا فى ثورة ميسرة المطغرى[٤]. كما أعتنقه سكان سجلماسة خاصة قبيلة مكناسة البترية، التى إتخذت من سجلماسة عاصمة لها جمعت شمل هؤلاء الخوارج، وانضم اليها فيما بعد بعض من زنوج السودان الغربى[٥] الذين رحبوا بالمذهب الصفرى لما تنطوى عليه مبادى الخوارج من مساواة دون اعتبارا للعنصر أو اللون[٦]، يبدو أن عدد هؤلاء الزنوج كان كبيرا، حتى أن الامام الاول لسجلماسة كان منهم ، ويدعى عيسى بن يزيد السودانى.

كما أنضم للمذهب الصفرى بعض العرب المقيمين فى افريقية (تونس) وقد أتهم أحد ولاة بنى أمية وهو يزيد بن أبى مسلم بأنه خارجى صفرى[٧].

أنتشر المذهب الخارجى الصفرى فى اجزاء واسعة من بلاد المغرب مثل برقة وطرابلس، والمغرب الاوسط. إلا أن تركيزهم الاكبر كان فى الجزء الجنوبى من المغرب الاقصى[٨].

---

١. حسين مؤنس : فجر الاندلس :ص ٦٤.

٢. ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص ١٩٣ ومابعدها.

٣. المصدرنفسه والصفحات.

٤. المصدر نفسه : ص ١٤٤. حورية عبده سلام : علاقات مصر ببلاد المغرب: ص ١٢٠.

٥. ابن خلدون : المصدر السابق : ص ٢٦٧.

٦. البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص ١٤٩.

٧. المبرد : الكامل : ج ٣ : ص ٩٤٩.

ابن الاثير : الكامل فى التاريخ : ج ٥ : ص ٧٠.

٨. عبدالرحمن حسب الله : جماعات الخوارج فى بلاد المغرب : ص ١٠٧.

٣. أبعاد النشاط الفكري من خلال المؤسسات التعليمية:.

كل الشواهد تؤكد أن سجلماسة لم تتأثر بأى ثقافة من ثقافات الدول التى أحتلت بلاد المغرب قبل الفتح الاسلامى[١] فالشعب السجلماسى ظل فى حالة من البداوة[٢]. الى أن حل الاسلام بأرضها على يد عقبة بن نافع ومن بعده موسى بن نصير، فرحب بربر سجلماسة بالاسلام وحسن اسلامهم وازدهرت الحركة الثقافة فيها، حتى أصبحت أحد المراكز الثقافية الاسلامية الهامة فى بلاد المغرب العربى قاطبة[٣].

أما فيما يختص بالنشاط الثقافى فى سجلماسة فتغلب الندرة على المصادر العربية التى تناولت بالبحث الدراسات والعلوم الدينية خلال العصور الوسطى، الا اشارات متناثرة تناولت تواريخ البلدان الاسلامية ومدنها ومؤسساتها التعليمية المتمثلة فى الكتاتيب والمساجد والاربطة والزوايا[٤].. فيبدو أن المؤسسات التعليمية فى بلاد المغرب -فى العصور والوسطى- استمدت أصولها من المشرق فهى حلقة متكاملة للمؤسسات التعليمية التى قامت فى العالم الاسلامى بأسره[٥].

على العموم ذكرت الروايات التاريخية أن سجلماسة أول بلد بالمغرب درس بها العلم. وتمثل ذلك فى الكتاتيب وهى الدور التى أنشأت لتعليم الناشئة وتربيتهم[٦]. حيث تدرج بهم عبر المبادئ الاولية لانواع العلوم المعروفة فى تلك الازمنة والتى تتمثل فى القرآن الكريم، والقراءة والكتابة. وكان موضع الكتاب خارج المسجد خوفا من عبث الصبية بحرمة

---

١. حورية عبده سلام : علاقات مصر ببلاد المغرب : ص ٣٠٥. ٣٠٦.

٢. ادريس بن أحمد العلوى : الدرر البهية والجواهر النبوية : ج ١ : ص ٦٣،

٣. ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ : ج ١ : ص. ١١.

٤. الحبيب الجنحانى : المعاهد والمؤسسات التعليمية فى العالم الإسلامى ; ص ٥٦٣.

مؤتمر وقائع ومحاضرات المؤتمر العالمى لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية : جامعة دمشق : كلية الآداب : (١٤٠١هـ).

٥. المرجع نفسه والصفحة.

٦. يحى بن معمر : الاباضية فى موكب التاريخ : ج ٢ :ص ٥٩.

المسجد، لان أعمارهم لم تتجاوز السادسة[١] وقد أتخذت الكتاتيب نظام الداخليات المعروفة اليوم لإيواء الطلاب الذين يفدون من أماكن بعيدة فيجدون المأوى والغذاء والتعليم والاشراف التربوى السليم، وتقدم لهم كل هذه الخدمات مجانا[٢]. وقد ساهمت الكتاتيب مساهمة كبيرة فى نشر التعليم الأولى لإنتشارها فى القرى النائية و المدن المزدهرة[٣].

يستمر الناشئة فى تلقى العلوم الدينية المقررة لهم فى الكتاتيب ثم تنتهى بهم أو ببعضهم الدراسة لمرحلة أخرى يشهد لهم فيها ببلوغ درجة معينة من التحصيل تؤهله للإنتقال لمرحلة أخرى[٤].

المرحلة التى تلى الكتاتيب هى الإنتقال الى المسجد والدراسة فيه، فقد ظل المسجد منذ أن شيد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مسجد قباء بالمدينة المنورة مكانا للعبادة، واقامة الشعائر الدينية التى كان يتعلمها الناس عمليا على أيدى الدعاة والمعلمين، حيث يتخذون المسجد مكانا للوعظ والارشاد ومنتدى للإستفسار عن كثير من المسائل الدينية وايضاحها[٥]. يتلقى الطالب مرحلة تعليمية أعلى مما كان عليه فى الكتاتيب[٦]،وهذه المرحلة متعارف عليها ومتفق على دراستها فى جميع المؤسسات التعليمية الاسلامية فى المشرق والمغرب[٧].

١- الحبيب الجنحانى : المعاهد والمؤسسات التعليمية فى العالم الإسلامى ؛ ص ٥٦٢.

٢- يحى بن معمر : الإباضية فى موكب التاريخ : ج ٢: ص ٦٢.

٣- الحبيب الجنحانى : المرجع السابق والصفحة.

٤- يحى بن معمر : : المرجع السابق : ص ٥٩.

٥- حسن ابراهيم حسن: أنتشار الإسلام فى القارة الافريقية :ط٢ : ص ٦٦ :مكتبة النهضة المصرية:القاهرة ١٩٨٤م].

٦- الحبيب الجنحانى : المرجع السابق والصفحة .

٧- البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب :ص ١٤٧-١٤٨.

أما المواد التى تدرس فى المساجد فقد توجهت العناية والاهتمام بها حيث شملت، كل العلوم المتعلقة بكتاب الله الكريم من تفسير للقرآن[١]، واستنباط أحكامه واسباب نزوله[٢]، هذا بجانب العلوم المتعلقة بالسنة النبوية والتى تأتى فى الاهمية بعد القرآن الكريم [٣] بجانب ذلك كانت تدرس علوم الفقه والسيرة، واللغة العربية[٤]، بالإضافة لهذه العلوم قام فقهاء الخوارج الصفرية بتدريس العلوم الخاصة بالمذهب الصفرى[٥].

بجانب ذلك ساهم المسجد فى الوعظ والارشاد والتوجيه حيث عقد بعض العلماء حلقات لتثقيف العامة وتنمية معلومات الطلاب الذين حالت ظروفهم دون مواصلة الدراسة المنتظمة[٦].

---

١. البرادى : الجواهر المنتقاة : ورقة ١١٠، ١١١. (مخطوط) بدار الكتب المصرية رقم ٨٤٥٦خ.

٢. عبدالله قاسم الوشلى : المسجد ودوره التعليمى عبر العصور من خلال الحلق العلمية : ص ٤٤. مصر: (١٩٨٩م).

٣. البرادى : المخطوط السابق والاوراق.

حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام : ج ١ : ص ٥٠٤.

٤. البرادى : المخطوط السابق والاوراق.

عبدالله قاسم الوشلى : المرجع السابق والصفحة.

٥. البرادى : المخطوط السابق والاوراق.

٦. يحى بن معمر : الإباضية فى موكب التاريخ : ج ٢ : ص ٦٠.

أما عن النظام الدراسى فقد كان الطلاب يلازمون المسجد وغالبا ماينامون فيه[١]. وقد كانوا يجتمعون فى حلق يترأسها الشيخ، والغالب أن تنسب الحلقة الى شيخها[٢].

اما أهم الطرق المتبعة فى التدريس فهى التلقين عن طريق التكرار حتى يتمكن الطالب من الحفظ، خاصة فى حلق الحديث، وتتميز هذه الطريقة بما يتيحه الشيخ من فرص أمام تلاميذه من مناقشة وأستفسار عن الغامض مما يساعد فى ظهور مواهبهم[٣].

كذلك من طرق التدريس ، المناظرات والمناقشات وهذه الطريقة لم تستعمل فى كل الحلق الدراسية وانما فى حلق خاصة[٤]، كحلق التفسير والحديث والمناقشة فى آراء المذاهب المختلفة[٥]. وهذه المناظرات والمناقشات كان قصدها هو ترسيخ المعلومات والتمرن على سرعة التعبيروالتعود على الثقة بالنفس والقدرة على الارتجال لا التعالى والافتخار[٦]. يشير البرادى الى ذلك بقوله[٧] :((كانوا يجتمعون للبحث والمناظرة ولم يبغض بعضهم بعضا، ولم يوغروا صدور بعضهم بعضا، وكان هذا دأبهم دوما)). وتتم مثل هذه المناظرات والمناقشات الدينية مع أهل المذاهب المختلفة ومناظرتهم دون حدوث مايعكر صفو العلاقات بينهم، وهذا دليل على التسامح الدينى ورحابة صدر أئمة سجلماسة فادى ذلك الى ازدهار الحركة الثقافية بالبلاد.

وكنتيجة لتطور الحركة التعليمية أدخل الرباط ضمن الحقل التعليمى لان مهمته فى

١.عبدالله قاسم الوشلى : المسجد ودوره التعليمى عبر العصور : ص ٦١.

٢. جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى : ج١ : ص ٢٢١-٢٢٢.

٣.عبدالله قاسم الوشلى : المرجع السابق :ص ٦٣-٦٤.

٤. المرجع نفسه : ص ٦٦.

٥.. حسن على حسن : تاريخ المغرب : ص ٢٢٧.

حورية عبده سلام : علاقات مصر ببلاد المغرب : ص ٣٠٥-٣٠٦.

٦.عبدالله قاسم الوشلى : المرجع السابق : ص ٦٣-٦٦.

٧. الجواهر المنتقاة : ورقة : ١١٠.

Scanned by CamScanner

الاساس هى القيام بالدور الجهادى[١]. وهو لايقل أهمية عن المسجد فى كونه مكانا تشع منه الدعوى الى الاسلام[٢]. وقد أشار أحد الباحثين: أن بلاد المغرب عرفت الرباط قبل أن تعرف الزاوية، ولعل عهدها به يرجع الى زمن الفتح الاسلامى فى القرن الأول الهجرى[٣]. عندما أنشأ رباط شاكر فى جنوب المغرب الاقصى فى القرن الأول الهجرى[٤].

يمتاز الرباط عموما بطابعه الحربى، حيث ساهم مساهمة كبيرة فى صد هجمات الاعداء الذين كانوا يغيرون من وقت لآخر على بلاد المغرب الإقصى الجنوبية[٥]. هذا بالاضافة الى وظائفه الدينية من العبادة، وتلاوة القرآن الكريم، والتفقه فى الدين[٦].

مما سبق يمكن القول .. أن الرباطات تعد خزانات علم ومعرفة حيث كانت عبارة عن معاهد تعليمية، الى جانب وظيفتها الحربية. فتاريخ الربط يؤكد هذه الحقيقة ويبرزها[٧].

بالإضافة للرباط أنشأت الزواية وهى عبارة عن مساكن ملحقة بالمسجد ثم تطورت فيما بعد الى ابنية صغيرة منفصلة فى جهات مختلفة من المدينة فى شكل دور أو مساجد صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس ويعقدون الحلقات الدراسية فى علوم الدين وبعضا من العلوم العقلية[٨].

---

١. المقريزى : الخطط :ج٢ : ص ٤٣٧.

٢. جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى : ج ١ : ص ٢٢١-٢٢٢.

حسن ابراهيم حسن : انتشار الإسلام فى القارة الافريقية :ص ٧١-٧٢.

٣. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام : ج ٤ : ص ٤٣٦-٤٣٨.

٤. الدرديرى البيلى حسن اسماعيل : الربط فى بلاد المغرب. نشأتها وتطورها حتى منتصف القرن الخامس الهجرى : ص ٣١. رسالة (ماجستير) : جامعة القاهرة :(١٩٧٨م).

٥. ابن عزارى : البيان المغرب : ج ١ : ص ٣٤٧. الدرديرى البيلى : المرجع السابق : ص ٥٩-٦٠.

٦. حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق : ص ٤٣٦ ومابعدها.

٧. الدرديرى البيلى : المرج السابق : ص ٦٤.

٨. على ابراهيم حسن : التاريخ الإسلامى العام : ٦٦-٦٧. مكتبة النهضة المصرية : القاهرة (بدون تاريخ).

والزاوية عموما ذات خصائص معينة جعلتها تنقسم الى ثلاث :-

أولا : الزاوية البسيطة، وهى عبارة عن مجموعة أبنية متلاحقة تتكون من حجرات للطلبة، وأخرى للدراسة، وحجرات اضافية كمرافق عامة[١]. وكثيرا ماتلحق بالزاوية حجرات ينزل فيها الضيوف والمنقطعون للعلم أو العبادة فكانت الزاوية مدرسة دينية ودارا لضيافة الأغراب[٢].

ثانيا: الزاوية التى تقوم حول ضريح أحد المرابطين أو الأولياء.

ثالثا: الزاوية التى يعتزل فيها أحد المشائخ ويعيش وسط طلبته يبثهم تعاليمه وطريقته[٣].

اما فيما يتعلق بالعلوم العقلية كالتاريخ والجغرافيا والطب والنجوم والرياضيات والسير والمغازى وخلافه، فالمصادر العربية المتاحة لم تشر لها. وليس من شك أن التعليم لم يكن قاصرا على العلوم المتصلة بأمور الدين وحدها فأغلب الظن إن المعارف الادبية والانسانية درست بجانب العلوم النقلية[٤]، يشير النيسابورى الى ذلك بالقول[٥] :((أن العبيديين استولوا على مكتبة سجلماسة الكبرى التى كانت تحوى نفائس الكتب فى شتى ضروب المعرفة، فاخذوا منها مايحتاجونه لدولتهم الجديدة، وقاموا باحراق المتبقى)).

٤- أثر العلماء فى الحياة الفكرية :-

ساهم العلماء مساهمة مقدرة فى الحياة الفكرية فى سجلماسة، فبالنسبة لعماء الخوارج الصفرية وأثرهم فى الحياة الفكرية فقد نقلت الاخبار بانهم من مشاهير العلماء فى صفوف التابعين حيث أخذ بعضهم علمه من كبار الصحابة (رضوان الله عليهم). من هؤلاء العلماء يذكر: عكرمة مولى بن عباس (رضى الله عنهما). جاء فى الروايات التاريخية أن عكرمة كان جادا فى طلب العلم، فقد مكث أربعين سنة يطلب العلم من مولاه ابن عباس

١- نقولا زيادة: المدرسة فى المغرب العربى: مقال بمجلة الحصاد الطرابلسية : العدد التاسع: [١٩٦٨م] : ص ٨.

٢- على ابراهيم حسن : التاريخ الإسلامى العام : ص ٦٦-٦٧.

٣- نقولا زيادة : المرجع السابق والصفحة.

٤- عبدالله قاسم الوشلى : المسجد ودوره التعليمى عبر العصور : ص ٤٤.

٥- إستتار الإمام : ورقة ٤٧.

(رضى الله عنهما)، حتى صار من كبار الفقهاء والمحدثين، سمع لابى هريرة وعائشة وعبدالله بن عمر (رضى الله عنهم). قام بتدريس العلوم الشرعية الحديث والتفسير وقد اعتنق المذهب الصفرى[١]. وأجمع العلماء على حفظه ومعرفته للعلم وتفسيره للقرآن الكريم، وروى عنه جماعة من التابعين[٢].

ومن العلماء المشهورين ابوالقاسم سمكو بن واسول المكناسى السجلماسى جد أئمة بنى وأسول، (الإمام الثانى على سجلماسة)، نشأ فى بيت علم، ادرك التابعين، واخذ عن عكرمة، فصار من مشاهير حملة العلم[٣] ومن الاولياء الصالحين.كان ذا عبادة وصلاح وزهادة، ظاهر البركات، فى السكنات والحركات[٤]، أهتم بنشر العلم فتدافع الناس اليه يتدارسون ويتنافسون فى اخذ العلم عنه ، فقد كان بجانب شهرته العلمية من اهل الصدق والمتحمسين لقول الحق[٥].

ومن علماء سجلماسة عيسى بن ابراهيم المشهور (بعيسى بن سعادة) والمكنى(بابى موسى)، من كبار اهل العلم وفضلائهم ،ما تكلم فى مسألة قط حتى يتقنها،[٦]. له رواية بالاندلس عن ابراهيم اسحاق بن ابراهيم[٧]، واخذ منه العلماء الكثير أمثال: ابن زيد[٨]

---

١. المالكى : رياض النفوس : ج ١ : ص ١٤٥-١٤٦.

ابن سعد : الطبقات : ج ٥ : ص ٢١٦.

٢. ياقوت : معجم الأدباء : ج ١٢ : ص ١٨١-١٨٢.

٣. ابن خلدون : العبر : ج ٦ : ص ٢١٠.

٤. السملالى : الاعلام : ج١ : ص ٣٩٢. المطبعة الملكية : الرباط : (١٩٧٤م).

٥.المصدر نفسه والصفحة.

٦.ابن بشكوال : الصلة :ج٢: ص٧١٠٧ . القاهرة (١٩٥٥م).

٧.له رواية واسعة وشيوخ عدة، اخذ عنه الناس ، له كتاب اسماء النصائح .راجع:

عياض : الغنية: ص٢٦٧. الدار العربية للكتاب : ليبيا. تونس: (١٩٨٨م).

٨. هو محمد بن زيد بن على بن جعفر بن مروان البغدادى نزيل الكوفة راجع:

الحنبلى: شذرات الذهب: ج٢:ص٩٠ . منشورات دار الافاق : بيروت .

الذى صرح به بقوله:(حدثنى عيسى بن سعادة ، عن جبر الله بن قاسم)[1]. الى جانب علمه عرف اديبا وشاعرا ذائع الصيت مشهورا بالشعر مليح المقاطع نقتطف من شعره:[2]

اهدى الى الغصن الرطيب قواما

والى فؤادى لوعة و غراما

ظبى اعار الظبى منه مهاجرا

واعارنى من سقمهن سقاما.

مات ابن سعادة بمصر (٣٥٥هـ/٩٦٥م) وتنازعت الفقهاء والمحدثون كلهم يدعيه ويقول أنا احق به[3].

يضاف الى هؤلاء العلماء الامام أبوعلى أمدقنو ((أمدكنو)) من أعلام العلم المعروفين فى المدن والبوادى، كان ذا جذالة، وشهامة، وفصاحة[4]. لم تمدنا المصادر العربية وكتب التراث بالكثير عن أخباره إلا هذه الاشارات المقتضبة.

كذلك يذكر من العلماء أبوعبدالله محمد ابى القاسم السجلماسى كان شيخا صالحا، عابدا، زاهدا، كان مجودا فى علم التوحيد وكان يرى أن التوصل الى الحقائق أنما هو بالتوحيد. والترقى الى المراقى انما هو بالتوحيد. كان لايملك من الدنياشيئا ولا يلتفت الى ملك ولا ملك ولا الى غير ذلك[5]. كذلك من علماء سجلماسة محمد بن الطيب

---

١. عياض : المدارك : ج ٤ : ص ٥٣٩-٥٤٠. لبنان (بدون تاريخ).

٢. الاندلسى: الحلل السندسية: ص٢٩١. دار الغرب الإسلامى: بيروت (١٩٨٥م).

٣. عياض: المصدر السابق والصفحات.

٤. المصدر نفسه : ص ٤٩٤.

٥. الغبرينى : عنوان الدراية : ط ٢ : ص ١٢٣-١٢٤. منشورات دار الآفاق الجديدة: بيروت :(١٩٧٩م).

السجلماسى كان فقيها، صالحا، صواما، قواما مجودا لكتاب الله تعالى، يعطى مخارج الحروف حقها، ويحسن نطقها، حج الى بيت الله الحرام مرتين، قرأ القرآن بالرويات السبع(١).

كذلك من العلماء أحمد الحبيب بن محمد الصديقى السجلماسى هو أحمدبن محمد ابن صالح بن أحمد المشهور (باحمد الحبيب) قال عنه تلميذه العلامة أحمد بن عبدالعزيز الهلالى :((فريد عصره، ذو المآثر التى لايدركها الحصر، المتضلع من المعقول والمنقول، المتحلى من الفضائل والفواضل بما يبهر العقول)). كان من آكابر الزهاد، وممن شاعت كراماته وفضائله فى البلاد، وأعترف له بتحقيق العلوم ودرايتها، أخذ العلم عن عدة شيوخ فى المغرب والصحراء المغربية وغير ذلك وأخذ عنه نفر كبير فى سجلماسة وغيرها(٢).

نتيجة لزيادة العمران وأزدهار العلوم الدينية جذبت سجلماسة الآدباء ورجالات العلم من البلاد الاخرى للإفادة والاستفادة وساهموا مساهمة كبيرة فى إثراء الثقافة الإسلامية، ساعدهم فى ذلك تشدد الخوارج فى أصدار الاحكام بالتكفير واعلانهم لعن مخالفيهم، والخروج لحربهم، مما أدى الى اثارة الاذهان للبحث فى تحديد الكفر والإيمان، وعن طبيعة ودرجات العصيان، وما الخطأ وما الفسق، وما الى ذلك من أسئلة ومناقشات كانت لها نتائج باهرة فى تاريخ تطور الحركة الثقافية(٣).

من العلماء الوافدين على سجلماسة يذكر: ابو الفضل النحوى، وهو يوسف بن محمد بن يوسف التوزرى التلمسانى، ابو الفضل المعروف (بابن النحوى). من أهل تلمسان، اصله من توزر (بتونس)(٤). تنقل بين سبتة، وسجلماسة، وفأس، وكان عالما بالفقه، عارفا باصوله، متكلما، فصيحا، يميل الى الاجتهاد ولا يقلد(٥). كما كان ابوالفضل النحوى اديبا وشاعرا وهو

---

١. السملالى : الإعلام : ج٦ : ص ٣١٥-٣١٦.

٢. المصدر نفسه : ج ٢ : ص ٣٨٣-٣٨٤.

٣. ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ : ج١ : ص ١٣.

٤. الغبرينى : عنوان الدراية : ٣٢٦، عياض : الغنية : ص ٢٣١.

٥. محمد المنونى : ابوالفضل النحوى : مقال نشر بمجلة المناهل : العدد السادس : ص ٢٤٩.

ناظم المنفرجة التى مطلعها (اشتدى ازمة تنفرجى). استطاب له المقام فى سجلماسة فسكنها وأثناء رحلاته العلمية توفى بقلعة بنى حماد قرب بجاية[١].

كذلك من العلماء الوافدين ابو الربيع سليمان بن عبدالله بن زرقون النفوسى، جد وراء الدراسة حتى بلغ شاوا كبيرا[٢]، درس فى سجلماسة على يد العلامة ابن الجمع[٣]، وقد كانت سجلماسة فى ذلك الوقت من المراكز العلمية الهامة التى يؤمها الطلاب من جميع الاقطار لاكمال الدراسة[٤]. كان أبو الربيع رجلا بهئ المنظر، حسن المخبر، فصيح العبارة بالعربية واللهجة البربرية، أتم دراسته فى سجلماسة حتى أصبح أحد علماء عصره[٥]، تنحنى أمامه الرقاب فقد كان قوى الحجة، فصيح اللسان، غزير المادة، شديدا فى دين الله[٦]. بجانب ذلك كان شاعرا اديبا ماهرا له شعر مدون[٧].

١.عياض : الغنية : ص ٢٣١. الغبرينى : عنوان الدراية : ص ٣٢٦.

٢. يحى بن معمر : الإباضية فى موكب التاريخ : ج١ : ص ١٦٢-١٦٣.

٣. ابن الجمع : احد علماء المشرق واحد تجارها الأثرياء نزل توزر ابتونس) وفيها التقى به ابو الربيع سليمان فلزمه لزوم الظل وكان يخدم الشيخ ليكون اتصاله به أكثر واستفادته منه مستمرة فكان يتلقى عنه دروسا فى جميع الاوقات، وعندما انتقل ابن الجمع الى سجلماسة انتقل معه الطالب. راجع :

يحى بن معمر : المرجع السابق : ص١٦٢.

٤. المرجع نفسه : ص ١٦٢-١٦٣.

٥. الدرجينى : طبقات الإباضية : ورقة ٩٧.

٦. يحى بن معمر : المرجع السابق والصفحات.

٧. المقرى : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب : ص ٣، ٦٠١، ١. دار صادر : بيروت :١٩٦٨م).

ومن العلماء الوافدين والذين اشتهروا بتفسير الحديث العالم محمد بن على بن عقيل ابن الازهر بن عقيل المشهور (بابن العقيل)[١]، كان مجاورا لمكة (شرفها الله)[٢]، سمع من أهل صناعة الحديث وممن يفهم هذا العلم أمثال : على بن خشرم، ومحمد بن الفضل وغيره بخرسان والعراق. وحدث عنه محمد بن عبدالله وعبدالرحمن بن ابى شريح وجماعة من أهل تلك الديار[٣]. رحل الى سجلماسةفسمع من بكار بن الفرديس، صاحب ابى ذر الهروى[٤].

كذلك من العلماء ابو عبدالله مروان وهو الفقيه ابو عبدالله مروان بن عبدالملك بن ابراهيم بن سمجون اللواتى، زعيم المغرب وشيخه ذو الجاه العريض، والقول المسموع، كان من أهل العلم والفقه والادب له سماع من المصريين أمثال : ابن نفيس، وابن عقيد (ابن منير)، وابى محمد بن الوليد. رحل الى سجلماسة وسمع من ابى على امدقنو (امدكنو) فقيه سجلماسة، وحصل علما جما، كان ذا جزالة، وشهامة، وفصاحة، رحل الى سبتة حيث ولى هناك الصلاة والفتيا[٥].

كذلك من زمرة العلماء الوافدين أحمد بن عمر بن يوسف التميمى، يكنى (ابا القاسم)، ويعرف (بابن ورد)[٦]، من الفقهاء، موفور الحظ من الادب والنحو والتاريخ، متقدما فى علم الاصول والتفسير، حافظا متقنا[٧]. رحل الى سجلماسة وأشترك فى المناظرات التى كانت تعقد فى المساجد، وسمع من بكار بن برهون بن الفرديس[٨].

---

١. الذهبى : سيرة أعلام النبلاء : ج ١٤: ص ٤١٥.

٢. البلوى : تاج المفرقة فى تحلية علماء المشرق :ج٢ : ص ١٠٣، ١٠٤، ١٠١.

مطبعة فضالة المحمدية : المغرب : (بدون تاريخ).

٣. الذهبى : المصدر السابق والصفحة.

٤. عياض : الغنية : ص ١٦١.

٥. المصدر نفسه: ص ٢٥٨.

٦. ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة : ج ١ : ص ٧٥-٧٦. دار المعارف : مصر.

٧. المصدر نفسه والصفحات.

٨. ابن الآبار : المعجم : ص ٢٣ - ٢٤. مكتبة المثنى : بغداد، مؤسسة الخانجى : مصر.

كان الحج الى بيت الله الحرام من أهم وأقوى الأسباب في اتصال طلاب سجلماسة بعلماء الفقه والأدب باقطار المشرق وتقوية الصلاة العلمية[١] وقد كانت الرحلات الى المشرق ترجع للحنين الى مهبط الوحى والارتواء من معين الينابيع الاسلامية والأخذ من علماء الاسلام المشهورين، وقد كان الطلاب الذين يخرجون لهذه الرحلات كثيرا ما يدونون تاريخ الخروج والوصول وكافة المعلومات التى تصادفهم فى الطريق من وصف للمدن والقرى، والأودية، والحياة الاجتماعية، والتجارية وغيرها. ومن هؤلاء الطلاب الذين أهتموا بتدوين هذه الملاحظات يذكر : أحمد بن عبدالله بن ابى محلى السجلماسى[٢].

جانب ذلك شد طلاب سجلماسة الرحال الى مراكز العلم الكبرى في مصر والشام والعراق[٣]. ومن اللافت للنظر أنه لاتتوفر أخبار عن عودة الطلاب الى سجلماسة من رحلاتهم المشرقية هذه لمعرفة مدى مساهماتهم فى الحياة الثقافية، فيبدو أن بعضهم طاب له المقام فى تلك البلاد فلم يرجع، والذين عادوا لم يستقروا فى سجلماسة.

ليس هنالك تفاصيل كافية عن الحياة الفكرية بين طيات المصادر العربية وقد علل أحد الدارسين المحدثين الى ذلك بقوله : أن السر وراء ندرة كتب طبقات علماء الصفرية التى ألفوها يرجع الى عامل التكتم والحذر الشديدين من الناس خشية أن تقع كتبهم فى أيدى الناس فيجمعون قواهم ضدهم ، أو ينفر الناس منهم لتشددهم فى آرائهم فهذا ماجعلهم يكتفون بأن يتداول الناس عنهم المنطق العقدى الذى شكلوا على ضوئه سيرتهم التاريخية[٤]. هذا التعليل يبدو مقبولا بالنسبة لاراء الخوارج الغلاة الآخرين المتشددين في آرائهم. ولكن مما لاشك فيه أن سجلماسة كانت تذخر بعدد من علماء الصفرية وغيرهم من الذين لهم الفضل فى إثراء

---

١. ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ : ج١ : ص ١٣٨.

٢. البلوى : تاج المفرقة فى تحلية علماء المشرق : ج١ : ص ٨٩..٩٠.

٣. ابراهيم حركات : المرجع السابق والصفحات.

٤. صابر عبدالرحمن طعيمة : الإباضية : ص ١٣٣. دار الجيل : بيروت : [١٩٨٦م].

الحركة الثقافية في البلاد، حتى أصبحت سجلماسة أحد المراكز الثقافية الهامة في بلاد المغرب[١]. هذا فضلا عن دورهم المقدر في نشر الاسلام والثقافة الاسلامية في نواحي المغرب الاوسط، وصحارى المغرب الاقصى وبلاد السودان الغربي[٢]. إلا أن المصادر العربية وقفت عاجزة عن تقديم الاخبار المفصلة عن العلماء ومساهماتهم في الحياة الفكرية إلا النزر اليسير، وقد أشارت الدراسة في أماكن عدة لاسباب ندرة كتب طبقات علماء الصفرية[٣].

خاتمة القول ... استطاع الخوارج الصفرية ان يعزفوا علي وتر المساواة بين المسلمين وعدم تفضيل قريش على غيرها، واجازة الثورة على ولاة الجور والفساد ضمن إطار مبادئها بضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وعلى العموم أن الحياة الفكرية في سجلماسة في هذه الفترة من الأمور العسيرةالتي يمكن إستنباطها من طيات المصادر العربية، فالقليل منها اشارت الى وجود تلك المؤسسات التعليمية والتي فيها دلالة على وجود حركة فكرية دائبة بالمنطقة، وان المنطقة على أتصال بالثقافة الاسلامية يبرهن ذلك وجود علماء من سجلماسة ومن خارجها على درجة من العلم لهم مساهمات واسعة في الحركة الثقافية.

---

١. حسين مؤنس : فجر الاندلس : ص ١٨٧.

٢. المرجع نفسه والصفحات. سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي : ج ٢ : ص ٥١٩..٥٢٠.

٣. ابن عذارى : البيان المغرب : ج١ : ص ٢٠٩.

الخَاتِمَةُ

الخاتمة والتوصيات :-

من خلال الدراسة بمقدمتها وتمهيدها وفصولها، وتحقيقا لأهداف الرسالة فقد توصلت الدراسة لهذه النتائج :

الدراسة فى تناولها للفتح الاسلامى لبلاد المغرب أوضحت ان السياسة العامة فى صدر الاسلام كانت قائمة على بقاء المسلمين فى بلاد العرب والمدن التى أنشأها العرب فى الولايات المفتوحة . ولكن حينما ذاق القواد لذة الفتح مع سهولته عليهم، أصبحوا يلحون على عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) بالفتح والتقدم شرقا وغربا، فاضطر أخيرا أن يأذن لهم. فتفرق العرب وفتحوا مصر، وفارس، وبلاد المغرب وغيرها.

وفى خلافة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) أطلق العنان للعرب ان يخرجوا للفتح ، فخرجوا وتفرقوا فى الارض وانتشروا فى مصر والشام والعراق وبلاد المغرب.

والدراسة فى تتبعها لمراحل أنتشار الاسلام فى بلاد المغرب، أبرزت أن بلاد المغرب الأقصى والاجزاء الجنوبية من بلاد المغرب، لم يتم فتحها كلية إلا فى زمن يزيد بن معاوية (٦١هـ/ ٦٨١م) على يد قائده عقبة بن نافع الذى غامر بنفسه، واقحمها المخاطر من أجل رفع راية الاسلام عالية خفاقة. فانتشر الاسلام فى ربوع تلك المناطق، وبدات الديانات والمعتقدات الاخرى تنزوى بالتدريج من هذه المناطق ، حتى صارت البلاد تعيش فى أمن ودعة لاعهد لها بهما من قبل. واصبحت البلاد ذات سيادة، وذات قوة، وعزة، وحضارة وقيم، فدخلت محبة الاسلام وتعاليمه قلوب البربر فنبذوا كل ماسبقه وراء ظهورهم.

كما ابرزت الدراسة فى تناولها للتعريف بسجلماسة ان الاوضاع الاجتماعية والفكرية فى المنطقة قبل الاسلام كانت لاتختلف كثيرا عن بقية المناطق المغربية، وابرزت ان المنطقة عاشت فترة من الفوضى السياسية والفكرية تمثلت فى تعدد الأديان والمعتقدات.

وبوصول المد الاسلامى الى المناطق الجنوبية ، والجنوبية الغربية، حظيت المنطقة عند

منتصف القرن الثانى للهجرة بقدوم القائد الاسلامى الجسور عقبة بن نافع كأول قائد اسلامى تطأاقدامه هذه المنطقة . إكتمل اسلام هذه المناطق على يد موسى بن النصير. ورويدا رويدا أصبحت منطقة سجلماسة تعج بالسكان . واستطاعت قبيلة مكناسة ان تهيمن على المنطقة بفرض سلطانها على بقية القبائل وان تؤسس سجلماسة على اساس جديد لتواكب الزحف السكانى المتزايد حتى اصبحت بحق عاصمة مستحدثة تضارع مدن الشرق وبقية مدن المغرب الكبرى.

كما ان الدراسة فى إستعراضها للحياة السياسية اوضحت ان الاوضاع العامة فى بلاد المغرب قبيل ظهور الخوارج كانت مستقرة. فلم يحدث مايعكر صفو العلاقات المميزة بين العرب المسلمين والبربر، مما ساعد فى تدفق البربر نحو الاسلام بنية خالصة طالما ان العرب المسلمين ملتزمين بتعاليم الاسلام المتمثلة فى بسط الشورى والمساواة والحرية والعدل. فهذه التعاليم فتحت شهيتهم للدخول فى الاسلام، وبذلوا ارواحهم رخيصة فى سبيل نصرة الدين.

إلا ان هذه الاوضاع لم تستمر طويلا ، ففى نهاية الدولة الاموية وبداية الدولة العباسية اختلف الامر تماما ، فولاة المغرب لم يكونوا كسابقيهم، والتعاليم الاسلامية التى بنى عليها البربر امالهم صارت شعارات فقط وبدأوا فى ابتزاز اموال الشعب البربرى وارهقوه بالضرائب، فظهرت المظالم الاجتماعية والنعرات العنصرية . فهب الشعب البربرى مدافعا عن حقوقه التى كفلها له الاسلام وتزامن مع ذلك أن الخوارج ثبتوا أقدامهم فى بلاد المغرب وبداوا يبثون تعاليمهم وسط البربر والتى لاقت قبولا لانها تدعوا للمساواة ونبذ تفضيل جنس، على جنس كما تدعوا الى الثورة ضد الظلم. فتقبل البربر هذه الاراء وبدأوا يخططون للثورة ضد ولاة الخلافة فى بلاد المغرب.

كما ابرزت الدراسة ان الخوارج الصفرية استطاعوا ان يقودوا عدة ثورات ناجحة من نتائجها اقتطاعهم للاجزاء الجنوبية من بلاد المغرب والتى أسسوا عليها دولتهم الجديدة مستقلة تماما عن سلطان الخلافة فى القيروان، وطوروا مدينة سجلماسة لتكون عاصمة لهذه الدولة الجديدة، وبدأوا يستغلون امكانات المنطقة الزراعية والتجارية ونجحوا فى ذلك نجاحا كبيرا، واصبحت الدولة المستحدثة تتمتع بكيان سياسى مستقل تماما عن الخلافة فى القيراون.

كما بينت الدراسة أن السياسة الداخلية لأئمة سجلماسة كانت منصبة فى تطوير وتنمية المنطقة تجاريا، وزراعيا وفى نشر تعاليم الخوارج الصفرية الى جانب العلوم الإسلامية الاخرى وقد نجحوا فى ذلك نجاحا كبيرا.

أما السياسة الخارجية، فقد كان طابعها السلم وحسن الجوار مع الالتزام التام بعدم ايواء المعارضين أو التدخل فى شئون الغير الداخلية. فهذا المسلك الدبلوماسى الراقى أكسبهم حب وصداقة الدول المجاورة والمعاصرة لهم.

والدراسة فى مناقشتها للحياة الاجتماعية توصلت على ان دخول الإسلام لمنطقة سجلماسة كان فاتحة خير. فبفضل الإسلام تخلصت المنطقة من براثن الديانات والمعتقدات الفاسدة. ونتيجة للتغيير الاجتماعى الكبير فى المنطقة نزحت اليها جماعات من القبائل البربرية واخرى من المشرق الإسلامى . واستطاع العنصر المكناسى احد قبائل البربر البتر الكبرى ان يكون لهم القدح المعلى فى السيطرة على الاوضاع السياسية. فأصبح المجتمع السجلماسى مجتمعا اسلاميا متجانسا متعدد العناصر والطبقات والوظائف، فانعكس ذلك بجلاء على نمط الحياة العامة والخاصة وكذلك على تطور العمران.

كما اظهر البحث فى تناوله للحياة الاقتصادية ان منطقة سجلماسة تقع فى نطاق المناطق الصحراوية الشحيحة الامطار ومع ذلك فقد اهتم اهل سجلماسة بالزراعة اهتماما كبيرا وذلك بتنظيم اساليب الرى مستغلين مياه نهر زيزوالامطار التى تهطل احيانا ، هذا فضلا لعنايتهم بخصب الارض وجودتها. وقد تجلى ذلك فى ان البلاد اكتفت ذاتيا من المحاصيل المتنوعة الغذائية منها والنقدية. بل وقامت بتصدير الفائض للدول الاخرى وبخاصة بلاد السودان الغربى.

وساعدت وفرة الصوف والقطن على الاهتمام بالجانب الصناعى فاهتمت سجلماسة بصناعة الملابس الصوفية والقطنية . هذا بالاضافة لبعض الصناعات الخفيفة المرتبطة بوجود الذهب والفضة والحديد.

Scanned by CamScanner

أما فى المجال التجارى فتعد سجلماسة من اهم المراكز التجارية الصحراوية فى طريق الذهب لبلاد السودان الغربى ، لذا جاء إهتمام اهلها بالنشاط التجارى كبيرا. حيث وظفوا امكاناتهم لتسهيل الحركة التجارية وذلك بتذليل الصعاب التى تعترض الحركة التجارية والتى تتمثل فى توفيرالأمن والمنازل لإيواء التجار وتوفير الادلاء كما سعى أئمة سجلماسة جاهدين فى فرض ضرائب مناسبة فشجع ذلك ارتياد اعداد كبيرة من التجار طريق سجلماسة . فاسهم العائد المادى فى رقى وتقدم المنطقة.

وأخيرا توصلت الدراسة فى تناولها للحياة الفكرية ان الخوارج بصفة عامة استطاعوا ان ينشروا تعاليمهم وسط مجتمع البربر مستغلين الظروف المرحلية التى مرت بها بلاد المغرب والمتمثلة فى ظلم الولاة ، بارهاق كاهل الشعب بالضرائب والمغارم، علاوة على تمييزهم الجنس العربى دون سواه مما يتنافى وتعاليم الاسلام.

فى ظل هذه الظروف نجح الخوارج الصفرية بارائهم المعتدلة في تأليب الشعب البربرى وبالفعل قادوا عدة ثورات ناجحة استطاعوا من خلالها ان يسحبوا البساط من تحت أقدام ولاة الخلافة وان يكون لهم كيان سياسى مستقل.

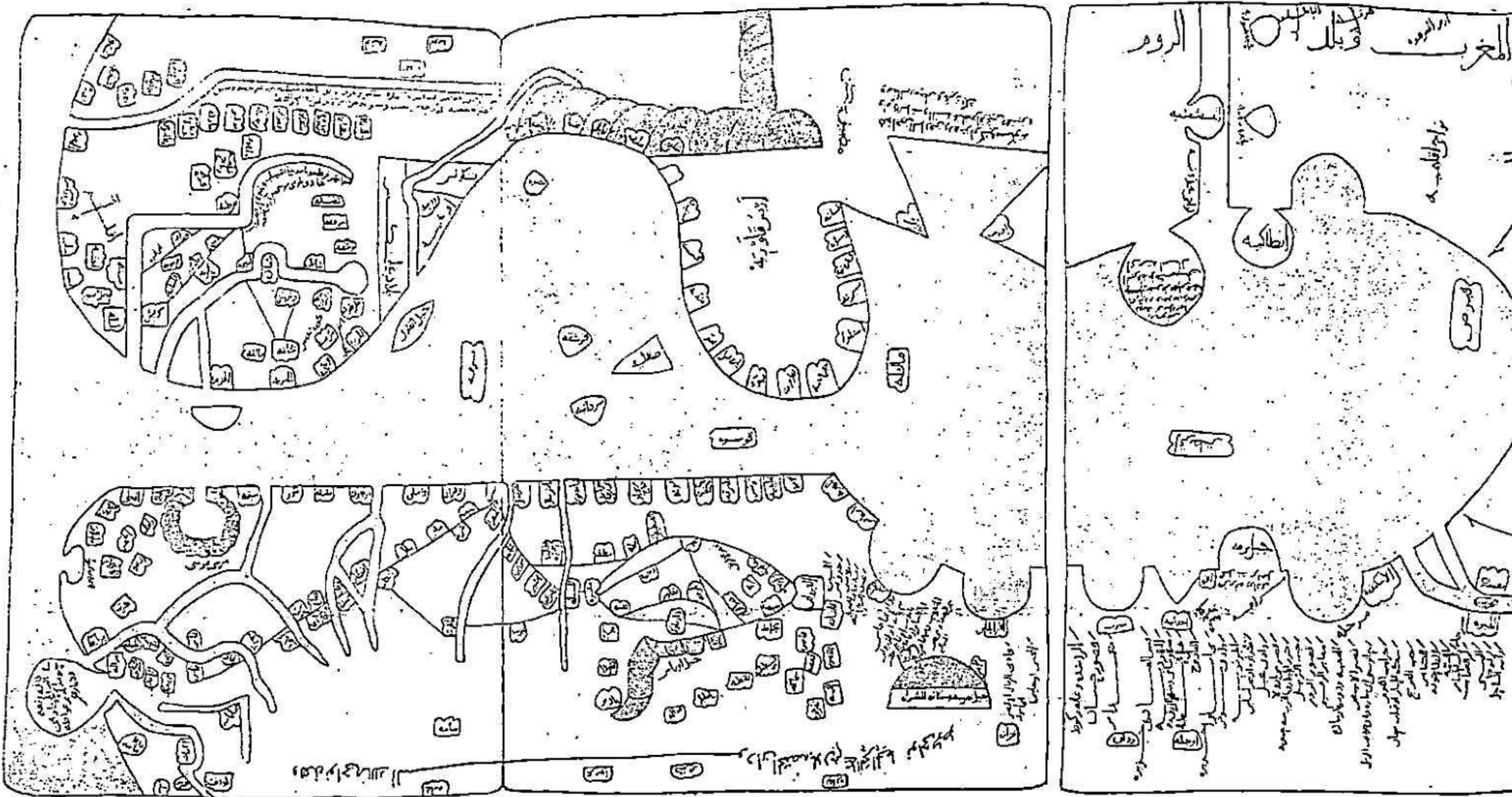
ساهم أئمة الخوارج الصفرية فى الحياة الفكرية وذلك بانشاء المؤسسات الدينية المتمثلة فى الكتاتيب والمساجد والاربطة والزوايا، حيث ابدت الدولة اهتمامها بهذه المؤسسات وبالطلبة وقدمت العون اللازم لهم وشجعتهم على دراسة العلوم النقلية والعقلية. فساعد ذلك على ان يرتاد المنطقة عدد من العلماء من خارج سجلماسة للافادة والاستفادة . وقد اسهم هؤلاء العلماء مع اخوانهم علماء الخوارج الصفرية فى اثراء الحياة الفكرية، فانعكس ذلك بجلاء على المجتمع السجلماسى.

يأمل الباحث فى توصياته ان تتاح له الفرصة او لغيره من الباحثين على ضوء الحفريات المستقبلية او العثور على معلومات جديدة غير مطروقة تساعد فى دراسة هذه المنطقة خاصة فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية فحقيقة ان تاريخ المنطقة الاجتماعى لم يكتب بعد بالتوثيق الضرورى ، والاحاطة العلمية، والوعى النقدى . فالباحث عانى كثيرا فى سبيل تناول تاريخ

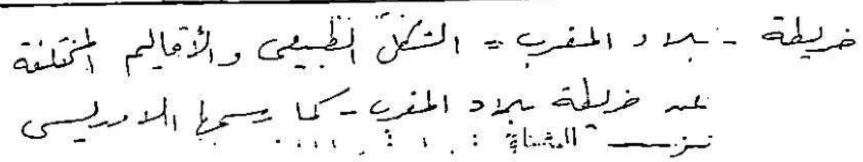
المنطقة الاجتماعى خاصة فيما يختص بمظاهر الحياة الاجتماعية العامة والخاصة وكذا النشاط العمرانى . كذلك الحياة الثقافية تحتاج لدراسة خاصة فيما يتعلق بالفكر الخارجى للخوارج الصفرية ومدى مساهمتهم فى الحياة الفكرية.

فى الختام لا اقول اننى بهذه المساهمة المتواضعة طرقت كل جوانب البحث واوفيته حقه من نواحيه المختلفة ولكننى استطيع القول بأننى طرقت بابا من ابوابه واحسب ان مشوارا طويلا ينتظر الباحثين المخلصين المحايدين لكى ينبشوا فى لعطاف الزمان فيميطوا اللثام عن تاريخنا الاسلامى الحضارى وذلك بالتوثيق الضرورى والاحاطه العلمية، وهى الخصائص التى لاغنى عنها فى مناهج الكتابة التاريخية.

الملاحق



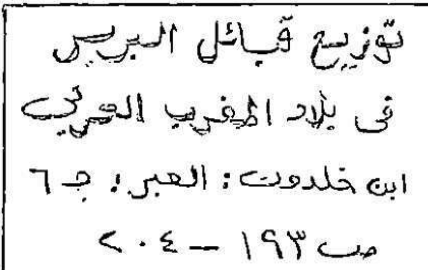
ابن حوقل : كتاب صورة الارض : ص ٦٤



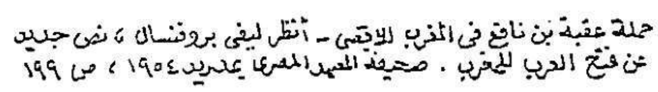
خريطة - بلاد المغرب = الشكل الطبيعي والأقاليم المختلفة

عن خريطة بلاد المغرب - كما رسمها الادريسي

الملحق الثالث



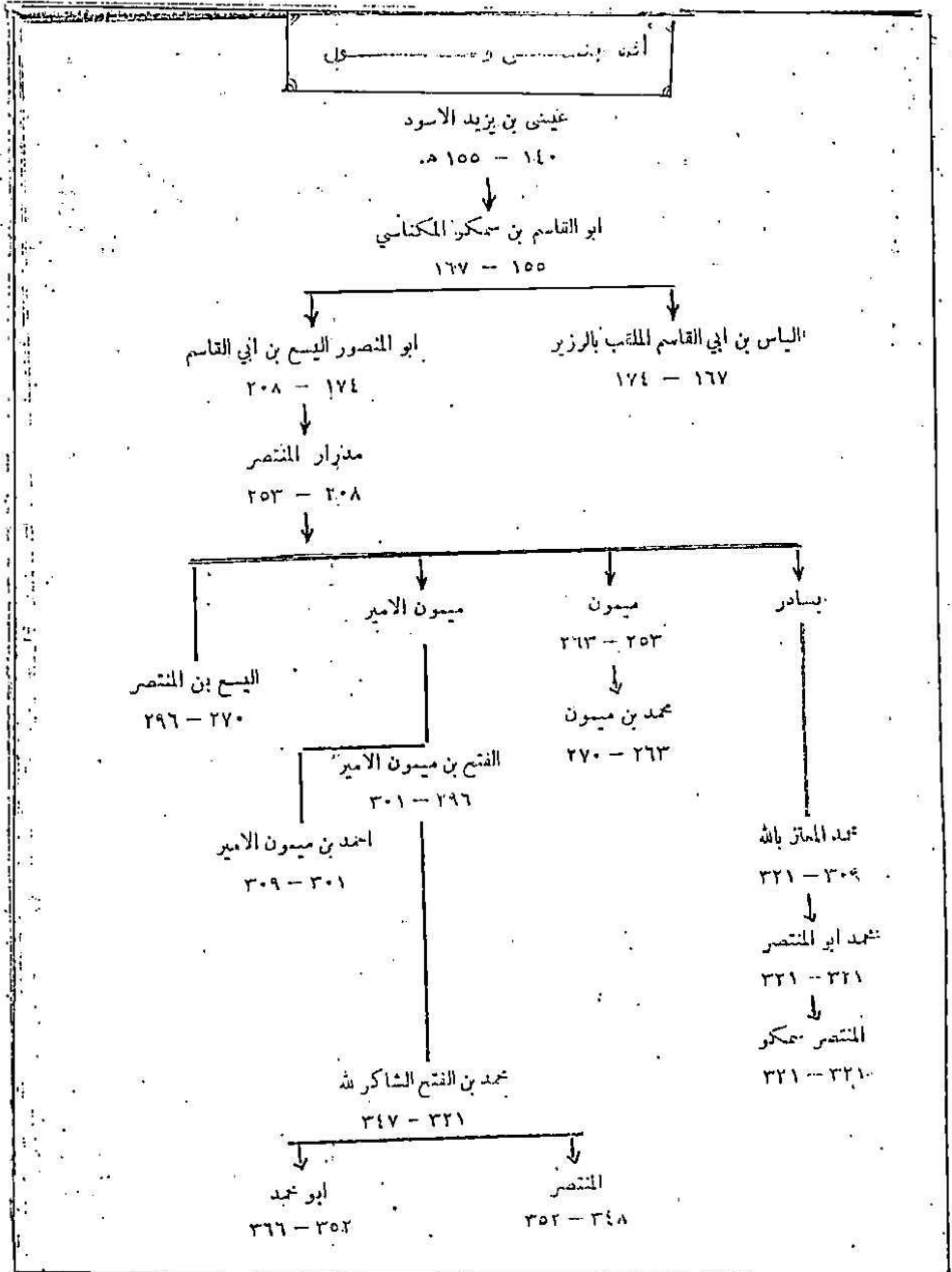
الملحق الرابع



حملة عقبة بن نافع في المغرب الاقصى - أنظر ليفي بروفنسال ، نص جديد عن فتح العرب للمغرب . صحيفة المعهد المصري بمدريد ١٩٥٤ ، ص ١٩٩

بتصرف : عبد الرحمن حسين أحمد : رسالة ماجستير ... تاريخ في بلاد المغرب : ص ١٠١ .

الملحق الخامس



انما اخبر انه الحق ليشهد ولو سمعوا ما
سمع اولو العلم فلم يعرفوه ولم يعرفوا
ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم فاخبر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قد جمع مثل هؤلاء فيما سمع
مع دعوى العلم وقد تشاهد بامثال هؤلاء و
انما اكثر [illegible] يسمعون ولا يعلمون
ما سمعوه ولا يعلمون شيئا من [illegible]
يسمعوا ذلك لانهم [illegible] ولا يتبعوا
[illegible] الله [illegible]
[illegible]
[illegible] من ذلك [illegible]
[illegible]
[illegible] قال

لما نادى امير اللعين [illegible] وارتكب
ما ارتكبوه [illegible] من [illegible]
[illegible] طاعة [illegible]
الامام امير المؤمنين الناصر لدين الله وهو
الكافر بالله [illegible] ما ارتكبه من [illegible]
[illegible] الذين [illegible]
[illegible] التتر [illegible]
[illegible] العسكر [illegible] من [illegible]
[illegible] من [illegible]
[illegible] ذلك العسكر [illegible] الى اهل
[illegible] من قبل ان [illegible]
منهم [illegible] ان قتلوا ذلك
امنهم واحسن اليهم وعفا عن ذنوبهم التي

١٧٠

تعجز ولتضرع انسوا لما ذكر النعم فإذ
الأذى ما أقر رسول الله النعم وانتم إلي
حتى أتى مضجعه هذا الذي قد مرضه ظلما
جاؤوا بحجة وهو الذي نساه امير
المؤمنين قد بسطها في البلاد والعباد
حتى أن احد اليهود لا بد أن الناس
حتى ملوا دم واحد منهم امير المؤمنين صالح
فلما تحملوا بعد ذلك ذهبوا الامر ودونه
ذلك اليهود لامه صغت وطرق ساعة وامر
الواحد وانت لم تعدم لم يستطع احد
معه ان يطع حرضا لما كان من الحدث
وتحمل اليه فقال ان الامر انما اسعله
ما فعله بنا والحمد لله صلى الله عليه

أكثر مرة بعد أخرى فقال أخبرني
بكم الأمر كان منكم رجال أن كم
مدة وأنا أسترضيكم كما يرعاه من أجل الله
على من كرم الملائكة وحسن نسج من عمر
بعد ذلك احترزه والذي من الخليل فتقدم
لكن لا يرضى بالحق وعفا ان أبى العزم
ذلك حق على البشر والعجم يشكر منهم نحو
نبيكم أعني من السلطان يأمره وحكم الله
إلى ما يحسنه فإن امر نبيكم وعفى فيما أحدثا من مرضي
على ما أنزل الله قد عرفتم تبسره وعرفتم سبيله
بعد ذلك على إمام الامة كرهتم بالرياسة
التسع الأجر وتسمى بأمير المؤمنين وإمام
المسلمين لأمر وأنتم على جبل الاسلام وفيه

موقف المعز من أهل سجلماسة

النص :

((لما تمادى امر اللعين ابن واسول ، وارتكب ما ارتكبه ، وتعاطى ما تعاطاه ، من التغلب بسجلماسة ، وخلع طاعة الائمة ، وتسمى بالامام امير المؤمنين الشاكر لله ، وهو الكافر بالله (عج) لعظيم ما ارتكبه ... رأى المعز لدين الله (صلع) جهاده لعظيم جرمه ، وانه لا يسعه تركه لما تعدى اليه وتعاطاه ، فأنهض اليه عسكرا ، فامكنه الله (عز وجل) منه من غير يد لاحد من الخلق عليه فيه وذلك ان قائد ذلك العسكر تقدم الى اهل سجلماسة من قبل ان يحل بعم بمدة ، يكتب منه فى القبض عليه ، وانهم ان فعلوا ذلك ، امنهم واحسن اليهم ، وعفا عن ذنوبهم التى اقترفوها بطاعته ، على ما ارتكبه من عظيم جرمه والقائهم بايديهم اليه ، فلم يفعلوا . ولما قربت العساكر المنصورة منه خرج من المدينة هاربا بنفسه ، فلقيه نفر من اهل المدينة ، فأخذوه واتوا به القائد فعاتب القائد اهل سجلماسة فى تركه ، ثم رأى الصفح عنهم وولى عليهم واليا منهم وانصرف .

فوثبوا على ذلك الوالى فقتلوه واقاموا مقامه ((منتصر بن محمد بن المعتز)) وكان ابوه وجده قد وليا البلد باستعمال امير المؤمنين وكانا من اهل الولاية وكان ابن واسول ، هذا الفاسق المتغلب ، لما تغلب على البلد ، اعتقل منتصرا هذا وهو غلام حدث ، فاقام معتقلا عنده ، فقدمه اهل البلد لما قتلوا العامل الذى استعمله عليهم القائد ، ونسبوا إليه من القبيح ما زعموا انه اوجب قتله ، وذكروا ان الغوغاء والعامة قتلوه ، وذهبوا فى تقديمهم هذا الذى قدموه الى ما هو عليه من الولاية والمحبة . وقيل انه سعى فى قتله فى ذلك ، وارسل رسولا من فوره ، وارسل اهل البلد وكتبوا الى امير المؤمنين المعز لدين الله (ص) يذكرون ذلك ويعتذرون ويصفون حالهم ، فصرف رسولهم بانه غير قابل ذلك من عذرهم ، وانهم لا امان لهم عنده ، الى ان يأتى وجوههم وسماهم ، ويأتى منتصر هذا اليه ، محكمين فى انفسهم فحينئذ يرى رايه فيهم وانصرف الرسول بذلك اليهم ، فما كان الا مقدار مسافة وصوله اليهم وانصرافه حتى اتى منتصر هذا الذى قدموه ومائتا رجل من وجوههم ، وهم الذين سماهم امير المؤمنين قد ركبوا طرق الرمال والفلوات ، خوفا من ان يصل اليهم احد دون الباب ، حتى حلوا به فادخلهم امير المؤمنين (صلع). فلما مثلوا بين يديه وقبلوا الارض ، ووقفوا نظر اليهم نظرة مغضب واطرق ساعة فامتقعت الوانهم وارتعدت

ابن حيون : المجالس والمسايرات : ج١ : ورقة ٢٩٥ ـ ٢٩٨.

بداية الحديث

حديث المعز لدين الله الفاطمى الى المنتصر لله المدرارى وشيوخ الصفرية فى سجلماسة

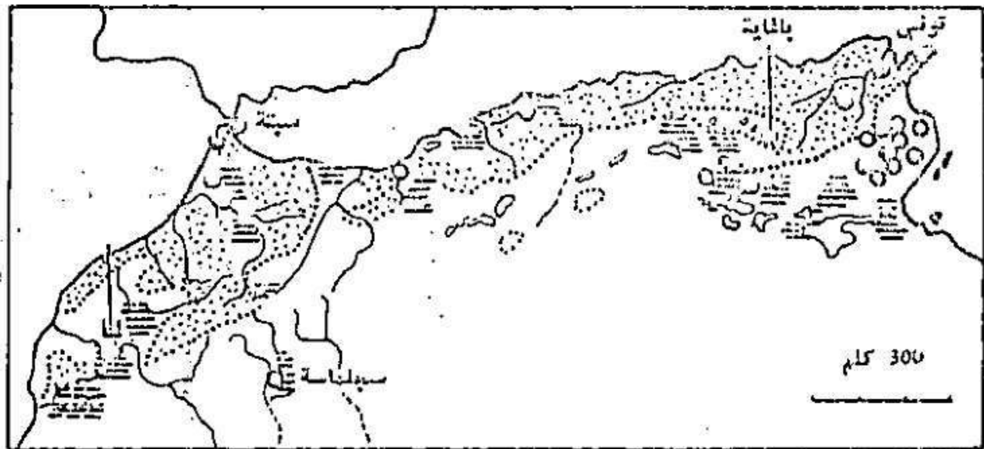
النص :-

يا أهل سجلماسة ، فعلتم ما فعلتم فى أيام المهدى بالله واقتدر عليكم مرة بعد اخرى ، فعفا عنكم، واحسن اليكم لحلوله فيكم ومجاورته اياكم مدة اقامته فيكم كما يرعاه من احله الله محله من كرم الطباع وحسن الضيع من غير يد كانت له عنده ، ولا فعل من الجميل تقدم لكم لديه . فصفح واحسن وعفا واجمل فما رعيتم ذلك حق رعايته ولا فهمتم بشكره ، ثم نعق فيكم ناعق من الشيطان فلبيتموه ، ودعاكم اليه داع فأجبتموه قام فيكم دعى فيما ادعاه يتوثب على ما تولاه ، قد عرفتم نسبه ودريتم سببه فتغلب على ظاهر امركم ، وتحلى بالرياسة والتصنع لكم وتسمى بأمير المؤمنين وامام المسلمين لكم ، على علم لا تشكون ويقين لا تمترون ان ذلك لا يجوز ولا يحل تسليمه ، فسلمتوه لمثله له ، والهمتموه وتوليتموه واتبعتموه ، ففارقتم جماعة المسلمين ، وخرجتم من حزب المؤمنين واحدثتم حدثا عظيما فى الدين ، وانتهى الينا من امركم وأمره ما لم يسعنا تركه والغفلة عنه ، لما افترضه الله علينا عز اسمه من القيام بحقه فى ارضه وجهاد من صرف عن دينه وعن سنة رسوله . وحل محلكم ومحل هذا الفاسق فيكم ، فانهضا اليكم جيشا من اوليائنا وانصار دولتنا وعبيدنا مع عبد امرناه عليهم وفقدمنا إليه فى الاعذار والانذار اليكم فى الانابة والتوبة قبل الوقوع بكم ، فلم يزل مع طى المراحل نحوكم يتابع الكتب مع رسوله كيدا فى الحجة عليكم ، مرة بالوعد ومرة بالوعيد ، وتارة باللين وتارة بالتشديد ، يدعوكم الى الطاعة والنزوع عما انتم عليه من المعصية . والضلال والقبض على عدو الله فيكم ان تمادى على ما هو عليه من الغى والضلال ان استطعتموه والبراءة منه وتركه بجانب ان لم تقدروا عليه ، ووصلت كتبه اليكم ، وادى اليكم من أختار به منكم ، وكل ذلك وانتم على باطلكم مصرون ، بالفاسق المضل لكم متمسكون، الى ان وصلت جيوشنا بقربكم ، وانتشرت عساكرنا ببلدكم ، وعاين من عاينكم من عيون عدو الله من جمعها وعتادها وقوتها ما انهاه اليه وقد علم انه لا طاقة لكم ولا له بعسكر من عسكرها ، فلما نزلت بداركم وانتم مع الفاسق على ما أنتم عليه ، نهض موليا وهاربا متسللا بين اظهركم ، وقد كنتم تقدرون على أخذه لو ارتموه ويمكنكم منعه من ذلك ومن حصاره فى داره فى داره حتى اجبتموه لو أخذتم بحظكم فى ذلك ففعلتموه ، لكنكم أقمتم

مصرين على طاعته وتوليه الى ان نزع عنكم واقدرنا الله بفضله واحسانه عليه كعادته الجميلة بلا صنع ولا لغيركم فى ذلك ، واقدرنا عليكم وامكننا منكم ، وانتم على ما أنتم عليه من غيكم وضلالكم ومما تستوجبون به اجتياحكم ودماركم ، فسار عبدنا فيكم بما امرناه من العفو والصفح والرحمة وانصرف عنكم فأحدثتم بعده ما احدثتم ، فماذا تستحقون ان يفعل بكم ؟

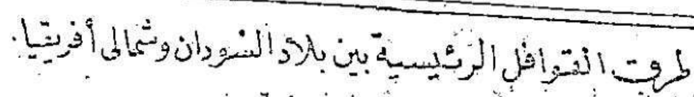
فقال قائلهم ان يعاقب أمير فنحن أهل العقوبة ، وان يعفى فهو أهل العفو والفضل والرحمة فدعا منتصر بن احمد بن المعتز فقربه اليه وامره بالجلوس . فقبل الارض مرارا وشكر لامير المؤمنين ثم عطف على الوفد فقال : قد كنتم تستحقون اليم العذاب والنكال ولكنا للذى جبلنا عليه من الصفح والعفو والرحمة قد عفونا ما سلف من ذنوبكم ما استقمتم واصلحتم ، وقد استعملنا عليكم عبدنا هذا . واومى الى منتصر . فقبل وقبلوا الارض مرارا وشكروا بما قدروا عليه وزال ما ظهر عليهم من الهلع والجزع وامر بصرفهم الى موضع انزلهم فيه وخلع على منتصر وفعل كذلك بجملة من وجوههم ... وأمر باجراء النزل لهم اجمعين ، واقاموا بذلك مدة فى ارفة عيش واحسن حال . ثم لما رأى صرفهم ، عقد لمنتصر على سجلماسة وعملها ، وخلع عليه خلعا سنيه ، وحمله على عدة من الخيل سروجا مفرقة ووصله بصلات جزيلة ، وحمل جميع من قدم معه ، وكساهم ووصلهم وصرفهم الى بلدهم مما لم يؤملوه ، ولم يتوهموه ن وكان غاية امالهم ان يسلموا من القتل ، فانصرفوا وقد طالت بالشكر السنتهم وملئت فرحا قلوبهم .

ابن حيون : المجالس والمسايرات :ج١ : ورقة ٢٩٨ - ٣٠٥: منطوط مصور عن الاصل : كلية الاداب : جامعة القاهرة : المكتبة المركزية : رقم ٢٦٠٦٠ عربى .



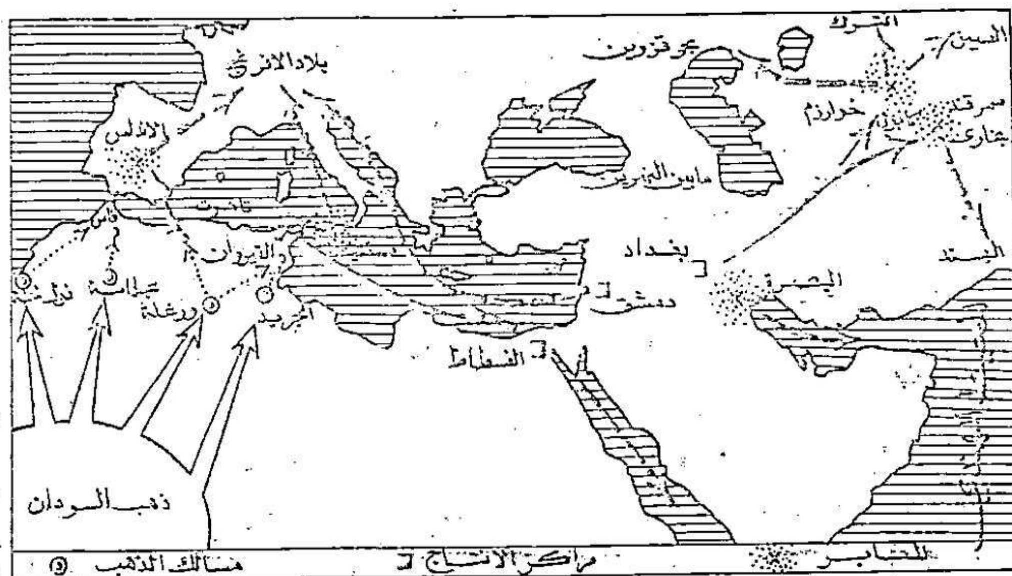
نظام الري (حسب الجغرافيين العرب)

الملحق التاسع



طرق القوافل الرئيسية بين بلاد السودان وشمالى أفريقيا.

الملحق العاشر



مسالك الذهب ـ مراكز الانتاج ـ المعابر

الحبيب الجنحاني : المغرب الإسلامي ، ص ٢٢٦ .

كتاب ابانة المناهج في نصيحة الخوارج

تأليف القاضي العلامة جمال الإسلام والمسلمين
حسن بن احمد بن عبد السلام رضوان الله
عليه وسلامه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت المهيمن عليها بما اسرت واعلنت الذي لا
يعزب عنه عاصيه مما اذنب واكتسب ولا يغادر عليه صغيره ولا كبيره
مما اساء واحسن وصلواته على نبيه المبعوث رحمه للعالمين المكرم
على كافة المرسلين وعلى اخيه المختار لامرة المؤمنين الصادعين المسلم
بكسر قرون الفئة الناكثين والقاسطين والمارقين علي بن ابي طالب امام المتقين
واول المسلمين من اهل طاعته السابقين الذي حبه سمة المؤمنين وبغضه
علامة المنافقين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وابنائه الطاهرين وسلامه عليهم
اجمعين اما بعد فان بعض من يختص بي خلته ويكرم لدي اخوته
ويعتز عندي مسلمته ويتعين علي اجابته سالني ايراد جمل مما اجمعت
عليه الخوارج من المقالات واخذته من المذاهب والتنبيه على صحة الصحيح
من ذلك وفساد الفاسد فاسعفت سؤله وبلغته مأموله وقابلت اجابته
واعتناما لبركة دعائه واوردت من ذلك بحسب ما تعلق به
الحاجة واقتضته المسألة بعيدا عن التطويل واستغناء بالجملة عن التفصيل
وسميت هذه الرسالة بابانة المناهج في نصيحة الخوارج اذ كان الرجا
صادقا في الظن قويا بانها تكون بانيه للناظر المنصف وموضحة للطالب
المستكشف ومن الله سبحانه استمد الاعانة على الابانة والتثبيت على
القول من تضليل الديانة انه ولي ذلك بمنه ولطفه اعلم ان الخوارج
وان تفرقت آراؤها واختلفت مذاهبها فانها قد اطبقت على اصول اربعة
فاجتمعت فيها وتشددت فيها وصارت لها كالاصول التي عليها تفرع
واليها ترجع احدها القول بكفر امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام
وعثمان بن عفان وثانيها القول بكفر من ارتكب كبيرة من العاصين
وثالثها القول بالخروج على الامام الجائر ورابعها انكار التحكيم فهذه

البداية

الفصول التي انتهجوا عليها بما اعرضوا عنه ذلك فرقا كثيرة ترجع اصولها الى خمس
الازارقه ينسبون الى نافع بن الازرق والاباضيه ينتسبون الى يحيى بن عبد الله الاباضي
والصفريه ينسبون الى زياد بن الاصفر والبيهسيه ينسبون الى ابي البيهس والنجديه
ينسبون الى نجده بن عامر الحنفي ثم انشعبت هذه الفرق شعبا كثيره
يطول الكلام بذكرها ويخرج عن الغرض الذي هو الكلام على هذه الفصول التي جعلوها
كالاصول لمقالتهم ليتبين وضح الحق لذي التبيين دون المساهل بديان العامه
فان اهم امور الراغب في النجاه والطالب للسلامه امعان النظر في قواعد دينه
التي عليها استعمل ببيانه وبها ينال اثباته واحسانه وان لا يركن فيه الى تقليد
الرجال ويتساهل عن الاخذ بالوثيقه لنفسه والبحث الكلي عما له من ذلك وعليه
ولو لم يكن في ذلك منبها ولا اليه سابقا غير ما الا قول النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم
الذي رويناه عنه بالاسناد الصحيح الموثوق به انه قال من اخذ دينه عن التفكر
في الاء الله وعن التدبر لكتابه والتفهم لسنتي زالت الرواسي ولم يزل ومن اخذ
دينه عن افواه الرجال وقلدهم فيه ذهب به الرجال من يمين الى شمال وكان من دين
الله على اعظم زوال ن وما روي عنه عليه السلام انه قال من دق في الدين نظره
جل يوم القيمه خطره لكفي بذلك داعيا الى النظر كافيا ومنبها عليه سافيا كيف وقد
ذم الله تعالى من اعتمد على تقليد الاباء ويعترف اذ بالمشايخه القدما فقال واذا قيل لهم
اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا او لو كان الشيطان يدعوهم الى
عذاب السعير ن ونحو ذلك مما يكثر عدده من ايات الكتاب الباعثه على النظر
والاستدلال والصارفه عن الركون الى تقليد الرجال والتقليد فهو قبول الغير
واعتقاد حقيته من غير مطالبه بحجه ولا اسناد الى بينه عادله ن وكان المقلد
جعل اعتقاده لذلك كالقلاده في رقبه من اخذ عنه وقلده ومثل ذلك لا يخفى على
عاقل انه يغرر بالنفس ويخوض في بحار الخطر واقدام على ما لا يامن العاقل كونه
باطلا موديا الى الهلاك ولو ساغ ذلك لاحد من المكلفين لساغ لغيره اذ ليس
البعض لذلك اولى من البعض ن وهذا يودي الى جواز اتباع من يدعوا الى الالحاد
كما يجوز اتباع من يدعوا الى الاقرار ويقضي بتقليد من يعتقد التثنيه كما يقضي
بتقليد من يعتقد التوحيد ن وذلك يوذن بالمساواه بين الحق والمبطل
وكل ذلك باطل ن وانما كان هذا يودي الى ما ذكرنا لان المقلد لا يعرف الحق و
اهله ولا يعرف الباطل واهله ن ولا يرضى بهذه المنزله الدنيه الا من باع نفسه
بثمن بخس والتي يسده الى مهاوي المهالك لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان
سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون نعوذ بالله من هذه الخطه فانها

رضي ه

البيان

الخوارج : ارائهم وفرقهم المشهورة

النص :

لعلم ان الخوارج وان تفرقت اراؤها واختلفت مذاهبها فانها قد اطبعت على فصول اربعة فاختصت بها وتشددت فيها وصارت لها كالاصول التى عليها تفرع واليها يرجع احدها : القول بتكفير امير المؤمنين على ابن ابى طالب عليه السلام وعثمان بن عفان . وثانيهما القول بتكفير من ارتكب كبيرة من المعاصى . وثالثهما القول بالخروج على الامام الجائر . ورابعها انكار الحكمين.

فهذه الفصول التى اجمعوا عليها ثم افترقوا بعد ذلك فرقا كثيرة يرجع اصولها الى خمس : الازارقة ينسبون الى نافع الازرق . والاباضية ينسبون الى يحى بن عبدالله الاباضى . والصفرية ينسبون الى زياد الاصفر ، والبيهسية ينسبون الى ابى البيهس . والنجدات ينسبون الى نجده بن عامر الحرورى . ثم تشعبت هذه الفرق شعبا كثيرة .

جعفر احمد بن عبدالسلام : ابانة المناهج فى نصيحة الخوارج : ورقة ١٥٤ ـ ١٥٥.

مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩٩ ب.

ثبتُ

المصادِّر والمراجِّع

اولا المخطوطات:

١. الأندلسى :عجائب البلدان : مخطوط بمعهد المخطوطات العربية؛ القاهرة رقم ٣٦.

٢. البرادى: (ابو القاسم بن إبراهيم): الجواهر المنتقاة فى اتمام ما أخل به كتاب الطبقات للدرجينى: مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٨٤٥٦ح. مصور على ميكروفيلم رقم ١٥٧٩.

٣جعفر احمد بن عبدالسلام : إبانة المناهج فى نصيحة الخوارج . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٤٩٩ب. مصور على ميكروفيلم رقم ٣.٩٢٥.

٤.ابن حيون :(القاضى النعمان بن محمد) : (ت٣٦٣هـ) : المجالس والمسايرات . مخطوط مصور عن الاصل .كلية الاداب جامعة القاهرة.المكتبة المركزية رقم ٢٦.٦٠عربى.

٥. الدرجينى : (أبو العباس احمد) : طبقات الاباضية :مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٦١٢تاريخ تيمور : مصور على ميكروفيلم رقم ١٠٤١٨.

٦. الشماخى : (ابو العباس احمد بن سعيد الشماخى) :(ت ٩٦٥هـ):السير الاباضية : مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٧٦٩ تاريخ. مصور على ميكروفيلم رقم ٢٥٩٣٦.

٧عبدالله المأمون :جغرافية المأمون : مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٣٤٩ جغرافيا .

٨مجهول المؤلف : مفتاح الراحة فى علم الفلاحة. مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٥ زراعة.

٩.الناصرى :(عثمان بن عبدالعزيز منصور الناصرى) : منهج المعارك لأخبار الخوارج بالا شراف .على الاسراف من دينهم المارق : مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢١٤٤تاريخ تيمور : مصور على مايكروفيلم تحت رقم ٢٨٦٥٣

١٠.النويرى : (شهاب الدين احمد) : (ت اواخر القرن الرابع الهجرى):

نهاية الأرب فى فنون الأدب : (الاجزاء٢٢-٢٦) مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة.

١١. النيسابورى : (احمد ابراهيم النيسابورى) : (ت اواخر القرن الرابع الهجرى) : إستتار الامام: مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٤٩٧ ح.

١٢. ابن وردان : تاريخ الأغالبة بتونس : مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢١٩٩ تاريخ تيمور مصور على مايكروفيلم رقم ٣٨٤٣.

١٣.الورجلانى: (أبو زكريا يحى بن أبى بكر) : كتاب السير وأخبار الائمة فى انتشار مذهب الاباضية بالمغرب : مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩٠٢٠ح مصور على مايكروفيلم تحت رقم ١٦٥٥/١٨٤٢٥/٣٤٩٧٣.

ثانيا: المصادر العربية :.

١. ابن الابار (محمد بن عبدالله بن ابى بكر القضاعى المعروف بابن الابار) : (ت ٥٩٥-٦٥٨هـ) : (١١٩٩-١٢٦٠م): كتاب الحلة السيراء : الطبعة الاولى : الشركة العربيـة للطبلعـة والنشر : القاهرة : ١٩٦٣م: تحقيق حسين مؤنس.

٢. ابن الاثير (عزالدين بن الحسن علـى بـن ابـى الكرم محمـد بـن عبدالواحد): الكامل فـى التـاريخ: بيروت: (١٩٦٥م) .

. اللباب فى تهذيب الأنساب: دار صادر :بيروت : (١٩٨٠م).

٣. الأدريسى :(أبو عبدالله محمد بن محمد بـن عبدالله بـن ادريس): (ت السادس الهجرى) : كتاب نزهة المشتاق فى إختراق الافاق . القاهرة : (١٩٤٧م).

٤. الاصطخرى: (ابن اسحق ابراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى المعروف بالكرخى)
المسالك والممالك: مطابع دار القلم : القاهرة : (١٩٦١م).

٥. الاندلسى: (الامام ابن حزم الظاهرى الأندلسى) : (ت ٤٥٦هـ) الفصل فـى الملـل والاهـواء والنحـل: مكتبة محمد صبح بميدان الازهر : القاهرة .

٦. الاشعرى: (ابـو الحسـن علـى بـن اسمـاعيل الاشعرى): (ت. ٣٣٠هـ) : مقـالات الاسـلاميين وإختـلاف المصلين: الطبعة الثانية: مكتبة النهضة: القاهرة: (١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) : تحقيـق محمـد محـى الديـن عبدالحميد.

٧. الاندلسـى: (محمـد بـن الاندلـس الوزيـر السـراج): (ت ١١٤٩م): الحلـل السندسـية فـى الاخبـار التونسية: الطبعة الاولى: دار الغرب الاسلامى : بيروت: (١٩٨٥م) تحقيق محمد الحبيب الهيلة .

٨.البخارى: (ابـو عبدالله البخـارى): صحيح البخـارى بشـرح الكرمـانى: الطبعـة الثانيـة: دار احيـاء التراث العربى: بيروت (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

٩.ابن بشكوال: (ابو القاسم خلف بـن مـالك): (ت٤٩٤-٥٧٨هـ/ ١١٠١-١١٨٣م) الصلة فـى تـاريخ أئمـة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وادبائهم. القاهرة (١٩٢٥م).

١٠. ابن بطوطة: (ابو عبدالله محمد بن ابراهيم اللواتى) : (ت ٧٠٤-٧٧٩ هـ): تحفة النظار: دار صادر وبيروت للطباعة والنشر : بيروت (١٩٦٠م).

١١. البغدادى: (عبد القاهر بن طاهر أبى منصور البغدادى): (ت ٧٢٩هـ): مختصر: كتاب الفرق بين الفرق. مطبعة الهلال: مصر: (١٩٢٤م): إختصار: عبدالرازق بن رزق بن ابى بكر بن خلف الرسغنى .

١١. البغدادى: (عبد القاهر بن طاهر أبى منصور البغدادى): (ت ٧٢٩هـ): مختصر: كتاب الفرق بين الفرق. مطبعة الهلال: مصر: (١٩٢٤م): إختصار: عبدالرازق بن رزق بن ابى بكر بن خلف الرسغنى .

١٢. البغدادى: (صفى الدين عبدالمؤمن بن عبد الحق البغدادى): (ت ٧٣٩ هـ) : مواصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع . الطبعة الاولى: دار احياء الكتب العربية : مصر (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م) : تحقيق : على محمد البجاوى.

١٣. البكرى: (ابو عبدالله بن عبدالعزيز البكرى): (ت ٤٨٧هـ) المغرب فى ذكر بلاد افريقيا والمغرب: مكتبة المثنى: بغداد (١٨٥٧م).

١٤. البلاذرى: (الامام ابى العباس احمد بن يحى): فتوح البلدان: دار النشر للجامعيين: تحقيق عبدالله انيس الطباع . عمر انيس الطباع .

١٥. البلوى: خالد بن عيسى البلوى: تاج المعرفة فى تحلية علماء المشرق: مطبعة فضالة المحمدية.المغرب تحقيق العلامة الحسن السائح.

١٦. ابن تغرى بردى: (جمال الدين ابى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى): النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة: الطبعة الاولى: مطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة: (١٣٤٨هـ/١٩٢٩م).

١٧. التلمسانى:(الشيخ احمد بن محمد المقرى التلمسانى): نفح الطيب فى غصن الاندلس الرطيب . دار صادر: بيروت (١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م): تحقيق احسان عباس.

١٨. الجاحظ:(ابوعثمان عمر بن بحر الجاحظ) : (ت ١٥٠-٢٥٥هـ) . البيان والتبيين: الطبقة الثانية : مكتبة الخانجى مصر :(١٩٦٠م).

١٩. الحميرى: (محمد بن عبد المنعم الحميدى): الروض المعطار فى خبر الاقطار: الطبعة الثانية : مكتبة لبنان: بيروت: (١٩٨٤م).

٢٠. ابن ابى الحديد: نهج البلاغة: دار احياء الكتب العربية : (١٩٥٩م).

٢١. ابن حوقل: (ابو القاسم محمد بن على الموصلى الحوقلى البغدادى): كتاب صورة الارض: مكتبة الحياة: بيروت (بدون تاريخ).

٢٢. الحنبلى شذرات الذهب: منشورات دار الاوقاف: بيروت (بدون تاريخ) .

٢٣. ابن حيون (القاضى النعمان بن محمد): (ت ٣٦٣هـ): رسالة افتتاح الدعوة : الطبعة الاولى: دار الثقافة بيروت :(١٩٧٠م) : تحقيق وداد القاضى .

٢٤.ابن خرداذبة: (ابو القاسم بن عبيد الله بن عبد الله) (ت. ٣٠٠هـ) : المسالك والممالك مكتبة المثنى: بغداد. (بدون تاريخ).

٢٥. ابن الخطيب: (لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد ابن الخطيب السلماني) (ت٧١٣-٧٧٦هـ/١٣١٣/١٣٧٤ م):

. تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط: دار الكتاب: الدارالبيضاء: (١٩٦٤م).

تحقيق وتعليق: محمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني.

. الاحاطة في اخبار غرناطة: دار المعارف: مصر: تحقيق: محمد عبد الله عنان.

.مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس: (الرسالة الثالثة في مجموعة رسائله ، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار) . مطبعة جامعة الاسكندرية: الاسكندرية (١٩٥٨م). نشر وتعليق : احمد مختار العبادي .

. كتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار : مطبعة فضالة . المحمدية : المغرب : تحقيق : محمد كمال شبانة .

٢٦. ابن خلدون : (عبدالرحمن بن خلدون المغربي) : العبر وديوان المبتدأ والخبر : دار الكتاب اللبناني : لبنان (١٩٥٦م).

٢٧. ابن خلكان: (القاضي احمد) : وفيات الاعيان وانباء الزمان : الطبعة الاخيرة : مطبوعات دار المأمون : مصر (بدون تاريخ).

٢٨. ابن دقماق : (ابراهيم بن محمد بن العلائي، المعروف بابن دقماق) (ت ٧٥٠ - ٨٠٩هـ) الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين : القاهرة (بدون تاريخ).

٢٩. الدمشقي : (شمس الدين ابي عبدالله محمد بن ابي طالب الانصاري : الدمشقي . المعروف بشيخ الربوة) : (ت ٧٢٧هـ): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر. مكتبة المثنى: بغداد . (بدون تاريخ).

٣٠ . ابن إبي دينار : (ابوعبدالله محمد بن ابي القاسم الرعيني القيرواني) : المؤنس في اخبار افريقيا وتونس : الطبعة الثالثة : تونس : (١٣٨٧هـ) تحقيق : محمد شمام .

٣١. الذهبي : (شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان) : (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م) : سيرة اعلام النبلاء : الطبعة السابعة : مؤسسة الرسالة : بيروت : (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) : تحقيق : شعيب الارنؤوط .

٣٢. الرازي : (فخرالدين محمد بن عمر الخطيب الرازي) : (ت ٥٤٤ - ٦٠٦هـ/١١٤٩ - ١٢٠٩م) : إعتقادات فرق المسلمين . القاهرة (بدون تاريخ) .

٣٣- ابن رستة (ابو عبدالله بن عمر بن رستة) وورد (ابوعلي احمد بن عمر بن رستة) : الاعلاق النفيسة : مطبعة بريل : لندن : (١٨٩١م).

٣٤- الرقيق القيرواني : (ابو اسحق ابراهيم بن القاسم) : الرقيق القيرواني : (ت ٥ هـ) : تاريخ افريقيا والمغرب : مطبعة الوسط : تونس : تحقيق وتقديم المنجي الكعبي .

٣٥- الزبيدي : (محي الدين بن الفيض السيد محمد مرتضى الحسين الواسطي الزبيدي) تاج العروس من جواهر القاموس .

٣٦- الزهري : (ابوعبدالله محمد بن ابي بكر) : (ت في اواسط القرن ٦هـ) : كتاب الجغرافية. مكتبة الثقافة الدينية : القاهرة : تحقيق : محمد حاج صادق .

٣٧- ابن سعيد :(ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي) : كتاب الجغرافية : الطبعة الثانية : ديوان المطبوعات الجامعية : الجزائر (١٩٨٢م) . حققه ووضع مقدمته وعلق عليه : اسماعيل العربي .

٣٨- السلاوي : (أبو العباس احمد بن خالد الناصري) الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصا : دار الكتاب : الدار البيضاء : (١٢٧٢هـ / ١٩٥٤م) : تحقيق وتعليق ولدي المؤلف جعفر ومحمد الناصري .

٤٠ . الشناوي : (احمد الشناوي واخرون) : دائرة المعارف الاسلامية : مطبعة الاعتماد : مصر : (١٩٣٣م).

٤١- الشهرستاني : (ابو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني) : (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م) الملل والنحل : الطبعة الاولى : مطبعة الازهر : (١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م).

٤٢- الشيزري : (عبدالرحمن بن نصر بن عبدالله بن محمد الشيزري) : نهاية الرتبة في طلب الحسبة : القاهرة : (١٩٤٦م).

٤٣- ابن عبدالحكم : (عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم) : (ت١٨٧ - ٢٥٧هـ/٨٠٣ - ٨٧١م) : فتوح افريقيا والاندلس : دار الكتاب اللبناني : بيروت : (١٩٦٤م): تحقيق وتقديم : عبدالله انيس الطباع .

٤٤- ابن عذاري : (ابن عذاري المراكشي) : البيان المغرب في اخبار المغرب : مكتبة صادر : بيروت : (١٩٤٧ - ١٩٥٠م).

٤٥-عياض : (ابو الفضل القاضي عياض المغربي)

- المدارك : لبنان : بدون تاريخ .

- الغنية(فهرست شيوخ القاضي عياض). الدار العربية للكتاب : ليبيا : تونس : (١٣٩٨هـ / ١٩٨٨م).

٤٦- الغبرينى : (ابو العباس احمد بن احمد بن عبدالله) : (ت٦٤٤هـ/١٣١٤هـ) : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية.

الطبعة الثانية : منشورات دار الآفاق الجديدة : بيروت : ١٩٧٩م : تحقيق : عادل نويهض .

٤٧- ابو الفداء : (عماد الدين اسماعيل بن عمر ابى الفداء) :(ت ٧٣٢هـ):

- تقويم البلدان : باريس (١٨٤٠م).

- المختصر فى اخبار البشر : الطبعة الاولى : المطبعة الحسينية : مصر : (بدون تاريخ).

٤٨- ابن الفقيه : (ابوبكر احمد بن محمد الهمزانى) : مختصر كتاب البلدان : ليدن : ١٨٨٥م.

٤٩- القزوينى : (زكريا بن محمد بن محمود القزوينى) : (ت ١٢٠٣م - ١٢٨٣م) : اثار البلاد واخبار العباد : دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر : بيروت : (١٩٦٠م).

٥٠ - القلشقندى : (ابو العباس احمد بن على القلشقندى) : (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) : صبح الاعشى فى صناعة الانشا : مطابع كوستا تسوماس : القاهرى : (١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م): الطبعة الاولى .

٥١ - المبرد : (ابو العباس محمد بن يزيد المبرد) : الكامل : مطبعة نهضة مصر - الفجالة : القاهرة : (١٩٣٧م) : عارضه باصوله وعلق عليه : محمد ابو الفضل ابراهيم .

٥٢- مجهول المؤلف :(كاتب مراكش من كتاب القرن ٦هـ /١٢م) - الاستبصار فى عجائب الامصار : مطبعة جامعة الاسكندرية : كلية الاداب : المطبوع رقم (١٠) : الإسكندرية : (١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م) : نشر وتعليق : سعد زغلول عبدالحميد .

٥٣- المراكشى : (عبدالواحد المراكشى) : (ت ٦٤٧هـ) : المعجب فى تلخيص اخبار المغرب : مطابع شركة الاعلانات الشرقية : القاهرة : ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م : تحقيق محمد سعيد العريان .

٥٤- المسعودى : (ابو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى) : (ت ٣٤٦هـ) : مروج الذهب ومعادن الجوهر : الطبعة الاولى : دار الاندلس للطباعة والنشر : بيروت (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م).

٥٥- المقدسى : (ابوعبدالله بن محمد بن احمد المقدسى) : أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم : الطبعة الثانية . مطبعة بريل : ليدن : (١٩٠٦م).

٥٦- المقريزى : (تقى الدين احمد بن على المقريزى) : اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا: دار الفكر العربى : القاهرة : (١٣٦٧هـ /١٩٤٨م).

٥٧- المالكى : (ابوبكر عبدالله بن محمد المالكى) : كتاب رياض النفوس : دار الغرب الاسلامى للطباعة والنشر : بيروت : (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م): تحقيق بشير البكوشى بمراجعة : محمد العروسى المطوى .

٥٨. ابن الوردى : (سراج الدين ابى حفص عمر بن الوردى) : خريدة العجائب وفريدة الغرائب : المكتبة التجارية الكبرى : مصر (بدون تاريخ) .

٥٩. ياقوت : (شهاب الدين ابى عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الرومى البغدادى)

معجم البلدان : دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ١٣٧٦هـ /١٩٥٧م.

٦٠. اليعقوبى : (احمد بن ابى يعقوب بن جعفر بن وهب) : تاريخ اليعقوبى : دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر : بيروت : ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

ثالثا :. الرسائل الجامعية الغير منشورة :.

١. أحمد الياس حسين : الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى : رسالة (ماجستير) : كلية الآداب : جامعة القاهرة :(١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).

. العلاقات بين غانة والمغرب العربى فيما بين القرنين الثانى والخامس الهجريين : رسالة (دكتوراة) : معهد البحوث والدراسات الافرقية : قسم التاريخ : جامعة القاهرة : (١٩٨٣م).

الرسالتان محفوظتان بمكتبة الدكتور/عبدالرحمن حسب الله. (الخاصة).

٢. احسان محمد السعيد عبدالله : الدولة الرستمية فى تاهرت (١٤٤-٢٩٦ هـ/ ٧٦١-٩٠٩م). (رسالة ماجستير) : معهد البحوث والدراسات الإفريقية . قسم التاريخ . جامعة القاهرة (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

(الرسالة محفوظة بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية).

٣. حسين مراد : دولة بنى مدرار :(١٤٠-٢٩٠هـ): رسالة (ماجستير) : معهد البحوث والدراسات الإفريقية: جامعة القاهرة :(١٩٨٧م).

٤. حورية عبده عبدالمجيد سلام : علاقات مصر ببلاد المغرب من الفتح العربى حتى قيام الدولة الفاطمية : رسالة (دكتوراة) : كلية الآداب : جامعة القاهرة : قسم التاريخ :(١٩٧٤م)

(الرسالة محفوظة بمكتبة القاهرة كلية الآداب . قسم الرسائل).

٥. الدرديرى البيلى حسن أسمعيل : الربط فى بلاد المغرب . نشأتها وتطورها حتى منتصف القرن الخامس الهجرى : رسالة (ماجستير). جامعة القاهرة :(١٩٨٧).

(الرسالة محفوظة بجامعة القاهرة . كلية الآداب . قسم الرسائل. وكذلك بجامعة الخرطوم مكتبة السودان).

٦. شوقى عبدالقوى عثمان حبيب : العلاقات التجارية بين مصر والدول الافريقية : رسالة (ماجستير) : معهد البحوث والدراسات الافريقية . جامعة القاهرة.

(الرسالة محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة ـ كلية الآداب ـ قسم الرسائل).

٧ـ عبدالرحمن حسب الله الحاج أحمد : جماعات الخوارج فى بلاد المغرب حتى نهاية القرن الرابع الهجرى : رسالة (دكتوراة) : جامعة عين شمس ـ كلية البنات : قسم التاريخ الاسلامى :(١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

(الرسالة محفوظة بمكتبته الخاصة).

٨ـ عبدالباقى محمد أحمد كبير: المرابطون ودورهم فى نشر الاسلام فى غرب افريقيا.

رسالة (ماجستير) : جامعة الأزهر : كلية الآداب : قسم اللغة العربية (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

(الرسالة محفوظة بجامعة أفريقيا العالمية ـ قسم الرسائل).

٩ـ عفيفى محمود ابراهيم : أحوال بلاد المغرب الاقتصادية فى ظل السيادة الفاطمية:(٢٩٦ـ ٤٤٣هـ) : رسالة (ماجستير): كلية الآداب جامعة القاهرة:(١٩٧٧م).

(الرسالة محفوظة :ـ كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ قسم الرسائل)

رابعا: المراجع العربية الحديثة

١ـ ابراهيم حركات :(الدكتور) : المغرب عبر التاريخ : الطبعة الأولى : دار السلمى للطباعة والنشر الدار البيضاء : (١٣٨٤هـ/١٩٦٥م).

٢ـ ابراهيم على طرخان:(الدكتور) : إمبراطورغانة الإسلامية: المكتبة العربية للتأليف: القاهرة: (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).

ـ دولة مالى الإسلامية : الهيئة العامة للكتاب : مصر (١٩٧٣م).

ـ امبراطورية البرنو الاسلامية : الهيئة المصرية العامة للكتاب : القاهرة (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).

٣ـ أحمد شلبى:(الدكتور) : التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية : الطبعة الخامسة : مكتبة النهضة المصرية : القاهرة (١٩٧٨م).

٤ـ أحمد مختار العبادى :(الدكتور) : ـ دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس : مؤسسة الثقافة الجامعية ـ الإسكندرية (بدون تاريخ).

ـ تاريخ المغرب العربى .

٥ـ إحسان حقى :(الدكتور): تاريخ المغرب العربى : دار اليقظة العربية للتأليف (بدون تاريخ).

٦ـ أحمد محمد أحمد جلى : دراسات عن الفرق فى تاريخ المسلمين ـ الخوارج والشيعة : الطبعة الأولى : شركة الطباعة العربية : الرياض : السعودية : (١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م).

٧- أحمد أمين : ضحى الإسلام : الطبعة الثانية : مطبعة لجنة التأليف والنشر : القاهرة : (١٣٦٠ هـ/١٩٤١م).

- فجر الإسلام : الطبعة الثالثة : مطبعة لجنة التأليف والنشر : القاهرة : (١٣٥٤هـ).

٨- أحمد سوسه: العرب واليهود في التاريخ - الطبعة الخامسة - منشورات وزارة الثقافة والأعراف - العراق (١٩٨١م).

٩- حسن ابراهيم حسن (الدكتور) - انتشار الإسلام في القارة الافريقية - الطبعة الثانية :دار الكتاب الجديد - بيروت (بدون تاريخ).

- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي : الطبعة السابعة : (١٩٦٤م).

- المعز لدين الله: الطبعة الثانية : مكتبة النهضة - القاهرة (١٩٦٣م).

- تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب: الطبعة الثالثة: مكتبة النهضة المصرية: القاهرة : (١٩٦٤م).

١٠- حسين مؤنس:(الدكتور) فجر الاندلس: الطبعة الاولى: الشركة العربية للطباعة والنشر : القاهرة (١٩٥٩م).

- اطلس تاريخ الإسلام: الزهراء للإعلام العربي ١٩٨٧م.

١١- حسن على حلاق : النقود والدواوين في العصر الاموي: الطبقة الاولى: دار الكتاب المصري: القاهرة: (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

١٢-حسن على حسن: (الدكتور) تاريخ المغرب العربي: عصر الولاة: الطبعة الاولى: مكتبة الشباب: القاهرة (١٩٧٧م).

١٣- الجيب الجنحاني:(الدكتور) المغرب الإسلامي-الحياة الاقتصادية والاجتماعية . الدار التونسية للنشر: تونس:(١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

١٤- حسن حسني عبد الوهاب:(الدكتور) ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية: مكتبة منار: تونس: (١٩٦٥م).

١٥- حسن احمد محمود: (الدكتور) العالم الإسلامي في العصر العباسي. القاهرة (١٩٦٦م).

١٦-زكي محمد حسن: (الدكتور) - اطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية: مطبعة جامعة القاهرة (١٩٥٦م).

- فنون الإسلام: مطبعة لجنة التأليف والنشر: القاهرة (١٩٤٨م).

Scanned by CamScanner

١٧.السيد عبد العزيز سالم: (الدكتور) تاريخ المغرب الكبير: الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة (١٩٦٦م).

١٨.سعد زغلول عبد الحميد: (الدكتور) تاريخ المغرب العربي: منشأة المعارف: الاسكندرية (١٩٧٩م).

٢٠. صبيحة رشيد رشدي: الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية: مؤسسة المعاهد الفنية (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

٢١. صلاح الدين المنجد: مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين: الطبعة الاولى: دار الكتاب الجديد: بيروت.

٢٢. صابر عبد الرحمن طعيمة: الاباضية عقيدة ومذهب . دار الجيل: بيروت (١٩٧٤م).

٢٤. عبد القادر زبادية: مملكة سنغي في عهد الاسيقيين: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: الجزائر . (بدون تاريخ).

٢٥. عبد العزيز حميد وصلاح حسين العبيدي: الفنون العربية الإسلامية: دار الحرية: بغداد (١٩٧٩م).

٢٦. عبد القادر شيبة الحمد: الاديان والفرق والمذاهب المعاصرة: مطبوعات الجامعة الإسلامية المدينة المنورة . (بدون تاريخ) .

٢٧. عبد العزيز بن عبد الله: معطيات الحضارة المغربية: الطبعة الثالثة: نشر وتوزيع دار الكتب العربية: الرباط: (١٩٦٣م).

٢٨عبد الرحمن فهمي محمد: صنج السكة في فجر الإسلام: مطبعة دار الكتب المصرية: القاهرة (١٩٥٧م).

عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام: الطبعة الاولى: المطبعه العربية: كتاب الجزائر (١٢٧٣هـ/١٩٥٣م).

٣٠. عرفات عبد الحميد: دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية: مؤسسة الرسالة: بيروت (١٩٨٤م).

٣١. علي حسن الخربوطلي: تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي: دار المعارف: مصر: (١٩٥٩م).

٣٢عمر ابو النصر: الخوارج في الاسلام: منشورات عمر ابو النصر للتأليف والنشر: بيروت (١٩٧٠م).

٣٣. محمد احمد ابو زهرة: المذاهب الإسلامية: المطبعة النموذجية بالحلمية الجديدة . مصر (بدون تاريخ) .

٣٤. محمد ابراهيم الصيحي : الفن والعمارة عند العرب : مكتبة نهضة مصر . القاهرة .

٣٥. محمد عبدالله عنان : (الدكتور) دولة الاسلام في الاندلس الطبعة الثالثة : نشر مؤسسة الخانجي : القاهرة : (١٩٦٠م).

٣٦. محمد الغزالى : الاسلام والاستبداد السياسى : دار الكتاب العربى (بدون تاريخ).

٣٧. محمد على دبوز : (الدكتور) : تاريخ المغرب الكبير : الطبعة الأولى . مطبعة عيسى البابلى : مصر : (١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م).

٣٨. مصطفى الرافعى : الاسلام نظام انسانى : منشورات دار مكتبة الحياة : بيروت : (١٩٥٨م).

٣٩. محمد الحبيب بن الحوجة : يهود المغرب العربى : معهد البحوث والدراسات العربية : جامعة الدول العربية : (١٩٧٣م).

٤٠. محمود اسماعيل : الادارسة فى بلاد المغرب : الطبعة الاولى : مكتبة الفلاح : الكويت : (١٩٨٩م). دعوة الخوارج فى بلاد المغرب : القاهرة : (١٩٦٤م).

٤١. المنجد العربى : بداية الحكم المغربى فى السودان الغربى : مؤسسة الخليج : الكويت .

٤٢. يحى بن معمر : الاباضية فى موكب التاريخ : الطبعة الاولى : مطابع دار الكتاب العربى : مصر .

خامسا : المراجع الاوربية المترجمة

١. آدم متز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى: الطبعة الرابعة: مكتبة الخانجى: القاهرة:(١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) نقله الى العربية محمد عبدالهادى ابو ريده.

٢. انثونى سلوى : الجغرافيا الاجتماعية لافريقيا : دار النهضة العربية : مصر: نقل الى العربية إبراهيم أحمد رزقانة ومحمد جمال الدين رزقانة.

٣. الحسن الوزان: (الحسن بن محمد الوزان الفأسى): وصف أفريقية : الطبعة الثانية : دار الغرب الاسلامى: بيروت : (١٩٨٣م). ترجمه عن الفرنسية : محمد حجى محمد الأخضر.

٤. رولاند اوليفر وفيج: موجز تاريخ أفريقية: ترجمة: دولت أحمد صادق: مراجعة: محمد السيد غلاب.

٥. شارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية: الطبعة الحادية عشر. دار العلم للملايين: بيروت (١٩٨٨م). نقله الى العربية: أمين فارس.

٦. شارل اندرى جوليان: تاريخ افريقية الشمالية. الدار التونسية للنشر. تونس(١٩٦٩م) تعريب: محمد مزالى والبشير بن سلامة.

٧. غوستاف لوبون: حضارة العرب: الطبعة الرابعة: مطابع عيسى البابى وشركاؤه : مصر (١٩٦٤م). تعريب عادل زعيتر.

٨ـ فيج جى: تـاريخ غـرب أفريقيـة: الطبعـة الاولى: دار المعـارف: القـاهرة (١٩٨٢م). ترجمـة يـوسف نصر ـ مراجعة بهجت رياض صليب.

سادسا : المراجع بـاللغات الاجنبيه :

1- Alfred, B : "La religion Musulmane en -
Berberie " Vol . 1. Paris (1938).

2- Bovill, E : W :-" the golden trade of the moors."
2nd-edition, Oxford : U, press (1968)
- " Cravan of the old sahara." London , (1933).

3- Abu-nasr, jamil : " A history of the magrib" . 2nd . edition .
Cambridge university, press, London (1977).

4- Fage , J.D. " Ahistory of west Africa".
4 th edition, cambridge, u , press, London (1969).

5- Fornal :" les Berberes " : Vols. 1-2.
Paris (1895).

6- Mercier, E : " History de constantine " Paris, (1958).

7- Mercier, G. W : " La Barbene Musulmane et L' orient ou moyen a-
-Ge". Paris, (1950).
- Manuel d' art musulamane: L'architecture". vol.1 . Paris : (1926).

8- Hallett, R : " Africa to (1875)".
Heinemann, educational Books. London .

9- Roland, O: " the middle age of Africa history".
Oxford, University , Press, London, (1967).

10- Robert Mantran : " L' expansion musulamane".
Paris. (1969).

11- Trimingham , S. J : " Ahistory of Islam of west Africa". 1rst edition. Vol. 1. Oxford, U. Press, London (1962).

سابعا : الدوريات العربية :.

١. مجلة المؤرخ العربى : تصدرها الامانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب . بغداد العراق : ١٩٧٥م.

٢. مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية : تصدرها جامعة محمد الخامس : الرباط : (١٩٨٩ . ١٩٩٠م)

٣. مجلة المناهل : تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشئون الثقافية : الرباط (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) .

٤. المجلة التاريخية المصرية : تصدرها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .

٥. دراسات افريقية : تصدرها المركز الإسلامى الافريقى فى الخرطوم .

٦. مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم : تصدرها الهيئة العامة للكتب والاجهزة العلمية : جامعة القاهرة .

٧. مجلة الدراسات التاريخية : العدد الثالث : (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) جامعة الجزائر ، مجلة دورية يصدرها معهد التاريخ .

٨. مجلة الاصالة : تصدرها وزارة التعليم الاصلى والشئون الدينية . مطبعة البعث . الجزائر .

٩. مجلة الدوحة : تصدرها وزارة الاعلام بدولة قطر .

ثامنا : الدوريات الاجنبية :.

10- Do,G, A, G : " Islamic thought and culture their impact on Africa " . The Journal of muslim world league", No 6 , (1974).

11- Le vtzion, n: " IBN. HWAGUAL , the chegue and Awdagost" vol. 9.no 2, (1968).

12- Lane, P. " catalogue of the collection of the Arab coins presents in the khedivial liberay" Cairo, London (1897).